www.ibtesamah.com/vb

روايات الحبيب

سكاروش

نسخة معالجة
وصفحات فردية

مجلة الابتسامة

www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

عبد غاص

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

التحويل لصفحات
فردية والمعالجة
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية

بقيادة
** معرفتي **

www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا لمن قام بسحب الكتاب

روايات الجيب

سكاراموش

للكاتب الانجليزى

رفاييـــل ساباتيـــنى

ترجمـــة

عمر عبد العزيز أمين

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

القسم الأول

الثائر

* * *

الفصـــل الأول

بذور الثورة

كان اندريه لويس مورو يمتاز بميله الى الدعابة .. ويشعوره بأنه يعيش فى عالم مجنون ..

اما نسبه فكان غامضـــا .. وان يـــكن اهل قريـــة (جفريلاك) قد استطاعوا او ظنوا انهم استطاعوا جلاء هذا الغموض .

وجفريلاك هى احدى قرى مقاطعة (بريتانى) التى اشتهر اهلها بالسذاجة والبساطة .. بيد أن ســـــكان جفريلاك لم يكونوا من البساطة والسذاجة بحيثتخدعهم الصلة الظاهرة المزعومة بين اندريهلويس مورووالكونت دى كركاديو ..

والواقع .. ان رجلا نبيلا ثريا كالكونت دى كركاديو .. اذا جاء فى أحد الايام بطفل مجهول الاصل والنسب .. فتبناه وانشاه فى قصره .. واهتم بتربيته وتعليمه.. واغدق عليه نعمه وعطفه .. فان ابسط الناس واشدهم سذاجة من حقهم أن يظنوا الظنون فى حقيقة الصـــلة بين الطفل المجهول . والرجل النبيل .. وهكذا .. تهامس الناس فى (جفريلاك) وجرى على السنتهم ان اندريه لويس مورو ليس فى الواقع سوى الابن غـــير

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الشرعى للكونت دى كركاديو .. وان الكونت انما كفل الطفل وتبناه تغطية للموقف .. ومنعا للفضيحة .

وقد نشأ اندريه لويس فى مدرسة القرية .. ثم تثقف على يد رابوبيه المحامى الشيخ الذى اسند اليه الكونت دى كركاديو مهمة الاشراف على شئونه القضائية والقانونية .

ولما بلغ اندريه لويس الخامسة عشرة من عمره بعث به الكونت الى جامعة (لوى لجران) بباريس حيث توفر على دراسة القانون . وعاد الى (جفريلاك) للتمرن على الاعمال القضائية تحت اشراف رابوبيه .

واهتم الفتى فى خلال ذلك بتثقيف نفسه .. حتى اذا بلغ الرابعة والعشرين من عمره .. كان قد أصاب من الثقافة مايتخم ذوى العقول العادية . ولم تزده دراساته الاجتماعية والفلسفية الا شعورا بانه يعيش بين قوم مجانين . فى عالم كله جنون .. ومن سوء الحظ انه لم يصادف فى مستقبل ايامه مايحمله على العدول عن هذا الاعتقاد .

كان فتى متوسط القامة نحيل الجسم .. أسود الشعر .. رقيق الشفتين .. له عينان سوداوان برآقتان تنم نظراتهما عن الذكاء ..

وقد أوتى اندريه لويس من قوة الحجة وحضور الذهن وذلاقة اللسان حظا يحسد عليه .. وهى صفات تجلت كلها اثناء اشتراكه فى عضوية المنتدى الادبى بمدينة (رين) .. وكان فى فرنسا فى ذلك العهد عدد وفير من المنتديات الادبية يختلف اليها الشباب المثقف لتبادل الرأى فى الفلسفة والادب والاجتماع .. وقد اشتهر اندريه لويس بين زملائه فى منتدى (رين) بتشاؤمه من مستقبل البشر

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

.. وغرامه بتسخيف رفاقه ودحض نظرياتهم عن تطور الجنس الانسانى نحو الكمال . وكانت نتيجة هذه اللجاجة من جانبه ان برم به زملاؤه .. وفكروا جديا فى اقصائه عن المنتدى وطرده منه .. وقد اختمرت هذه الفكرة عندما ذاع ان الكونت دى كركاديو قد اختار ربيبه اندريه لويس لينوب عنه فى مجلس مقاطعة بريتانى .. اذ شعر اعضاء المنتدى بالاجماع أن الرجل الذى يمثل شخصا من النبلاء الرجعيين الذين يحاربون الشعب لايجب ان يكون له محل فى مثل هذا المنتدى الذى انشىء كغيره من المنتديات الادبية المماثلة لمحاربة الرجعية والاقطاع وقلب نظام المجتمع . واقرار المساواة فى الحقوق والواجبات بين النبلاء وغير النبلاء .

وقد كان جو السياسة الداخلية فى فرنسا فى ذلك العهد مشحونا بالكهرباء .. فان الامل الذى تبلج عندما نصح الوزير (نيكر) للملك لويس السادس عشر بأن يعقد مجلس الشعب — ولم يكن قد عقد منذ مائتى عام — هذا الامل مالبث أن خبا بسبب قحة النبلاء ورجال الاكليروس الذين اصروا على أن هذا المجلس اذا تالف على الاطلاق فيجب أن يمثل فيه النبلاء ورجال الاكليروس تمثيلا يكفل صيانة حقوقهم المكتسبة والامتيازات الموروثة التى يستمتعون بها منذ عهد البطش والجبروت .

وقد كانت مدينة (نانت) هى أولى المدن التى عبرت عن الشعور الشعبى الذى اكتسح فرنسا كلها فيما بعد .. فبعثت الى الملك بالتماس تطالب فيه بألا يكون مجلس مقاطعة (بريتانى) الذى تقرر انعقاده فى مدينة (رين) اداة لخدمة مصالح النبلاء ورجال الاكليروس وحدهم دون سائر طبقات الشعب كما كان الحال قبل ذلك .. كما

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

طالبت بان ينتخب مجلس الشعب من ابناء الشعب وحدهم . دون النبلاء او ممثليهم.ودون رجال الاكليروس او مندوبيهم . وبحيث لايقل عدد نواب الشعب فى هذا المجلس . عن عدد اعضاء مجلس النبلاء .

ولاحظ مسيو نيكر ان روح الثورة تتغلغل بسرعة وان نظام الدولة يوشك على الانهيار . ورأى ان خير وسيلة لانقاذ السفينة المشرفة على الغرق هى ان يهدى الملك الى سواء السبيل . يلفته الى الهوة التى ينساق اليها بحكم خضوعه لضغط النبلاء ورجال الاكليروس واهل الطبقة الممتازة . وقد نزل الملك على رأيه.واجاب مدينة (نانت) الى مطالبها . وكانت وقتئذ من اعظم مدن فرنسا — وامر بأن تعقد مقاطعة (بريتانى) مجلسها لاتخاذ القرارات التى تكفل تمثيل الشعب فى المجلس تمثيلا صحيحا .

ووعد الملك فى ذات الوقت بأن يتدخل فى الامر اذا عارض النبلاء ورجال الاكليروس او ابدوا شيئا من المقاومة .

ولكن النبلاء ورجال الاكليروس قاوموا بكل قوتهم. وكانت النتيجة أن الملك امر بتأجيل اجتماع مجلس (بريتانى) .

غير ان النبلاء رفضوا هذا التأجيل . واصروا على أن يجتمعوا على طريقتهم . وان يتخذوا من القرارات بشأن الانتخابات والتمثيل النيابى مايلائم مصلحتهم ويوطد نفوذهم دون غيرهم من الطبقات الشعبية الاخرى التى تدفع الضرائب . وتوفر سبل الرفاهة والعيش الرغيد للطبقات الممتازة .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصـــل الثانى

الجمهـــورى

* * *

كان رفض النبلاء النزول على ارادة الملك واصرارهم على الاجتماع هو آخر الانباء فى الجو السياسى . وقد عاد فيليب دى فلموران الى قرية (جفريلاك) حاملا هذا النبأ .. ولكنه وجد فى القرية بانتظاره نبأ آخر ضاعف من سخطه على النبلاء .. وتعسفهم ..

علم ان مزارعا من اهل القرية يدعى (مابى) قتل فى صباح ذلك اليوم برصاصة من بندقية حارس املاك المركيز دى لاتور . والظاهر ان الحارس فاجأ (مابى) وهو يحاول سرقة ارنب من غابة (موبون) التى يملكها دى لاتور .. فاطلق عليه الرصاص كما امره بذلك مولاه المركيز .

وقد استشاط فلموران غضبا وحنقا عندما اتصل به هذا النبأ .

كان فتى مثقفـــــا . يدرس علم اللاهوت فى (رين) استعدادا لان يصبح قسا .. وقد انطبعت نفسه على حب الناس ومخافة الله .. فازعجه ان يقتل فلاح مسكين .. لاشىء الا انه سرق او حاول ان يسرق من املاك احد النبلاء الاثرياء ارنبا ربما كان هو واولاده فى اشـــد الحاجة اليه ليقتاتوا به .

وقد كان (مابى) من اتباع الكونت دى كركاديو . ففكر دى فلموران فى انه يقابل هذا الكونت وان يطالبه بالتفاهم مع زميله المركيز دى لاتور لعل هذا الاخير يتخذ شيئا

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

من الاجراءات لتعويض الارملة والايتام الثلاثة الذين تركهم (مابى) بغير عائل .

وكان دى فلموران من اخلص اصدقاء اندريه لويس واحبهم اليه . واكرمهم عليه فخطر له ان يجتمع به اولا وان يتحدث اليه فى الامر قبل ان يبدا سعيه لدى الكونت دى كركاديو .

وقد وجد دى فلموران صديقه اندريه لويس يتناول الطعام فى بيت مسيو رابوييه المحامى الشيخ .. فتعانق الصديقان . وبدا القس الشاب حملته على المركيز دى لاتور فقال له لويس اندريه :

ـــ لقد اتصل بى نبأ هذا الحادث ..

فقال دى فلموران مؤنبا :

ـــ انت تقول ذلك بكل بساطة وهدوء .. كما لو ان الحادث لم يثر دهشتك وحنقك .. وهو خليق بأن يثير حنق كل انسان فى قلبه ذرة من الرحمة .

ـــ ان اعمال القسوة والوحشية لاتدهشنى اذا صدرت عن وحش قاسى القلب . والمركيز دى لاتور رجل معروف بقسوته ووحشيته . وقد كان (مابى) مغفلا حين سرق ارانبه .. كما يحسن به ان يسرق ارانب اى انسان آخر .

ـــ هل هذا كل ماتستطيع قوله فى هذا الصدد ؟؟

ـــ وماذا استطيع ان اقول اكثر من ذلك .. اننى رجل عملى قبل كل شىء .

ـــ اذا كان هناك شىء آخر يمكن ان يقال فساقوله للكونت دى كركاديو .. نعم .. اننى سالجأ الى الكونت فى طلب العدالة والانصاف لارملة مابى واطفاله .

فرفع اندريه لويس حاجبيه واجاب :

ـــ تطلب اليه ان ينصفهم من المركيز دى لاتور ؟

ـــ ولم لا ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ياعزيزى فيليب .. ان الكلب لاياكل اخاه .
ـــ انك شديد القسوة على الرجل الذى كفلك وتوفر على تربيتك وتثقيفك .. انه من النبلاء ولكنه طيب القلب . مطبوع على الرحمة .
ـــ نعم .. انه طيب القلب .. ورحيم .. ولـــكن المسالة ليست مسالة رحمة .. انها مسالة حقـــوق وامتيازات يحرص النبلاء على التمسك بها .
فقال دى فلموران حانقا :
ـــ انت تتكلم كما يتكلم المحامى .
ـــ هذا طبيعى .. فتلك مهنتى .. ولكن باللهلاتصب على جام غضبك ونقمتـــك .. انبئنى ماذا تريدنى ان اصنع ؟
ـــ اريدك على ان ترافقنى الى الكونت دى كركاديو .. وان تستغل نفوذك عنده وصلتك به لحملـــه على انصاف الارملة التعسة .. والايتام الثلاثة .
ـــ اننى رهن اشارتك ياعزيزى فيليب . ولـــكنى اسارحك من الان بان هذا المسعى عقيم ولن يؤدى الى نتيجة .
سأذهب معك اليه .. وفقط ارجوك ان تمهلنى حتى افرغ من تناول طعام الافطار .
فتهالك القس الشاب على مقعد وثير بالقرب من الموقد . وأراد أن يقطع الوقت حتى يفرغ صاحبه من طعامه فراح يحدثه عن آخر الانباء السياسية .. ويعبر بحماسة شديدة عن استيائه من سلوك النبلاء .
قال :
ـــ الا تدرك معنى هذا التمرد من جانب النبلاء ؟ انهم بعصيانهم اوامر الملك يزعزعون العرش ويعملون فيه معاول الهدم .. وكأنى بهم لايعلمون انهم يدينون

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

بحياتهم وكيانهم لهذا العرش . ولايرون ان العرش اذا انهـــار كان اقرب النـــاس اليه هم اول من يهلك تحت انقاضه . .

فاجاب اندريه لويس :

ـــ كلا . . انهم لايرون ذلك . . ان النبلاء هم الطبقة الحاكمة . ولم اسمع قط ان طبقة الحكام ابصرت غير مصلحتها الذاتية .

ـــ ذلك هو الفساد الذى نبحث له عن علاج

ـــ وهذا الفساد لايعالج الا اذا محيت الطبقـــات الحاكمة . . فهل فى نيتكم محو هذه الطبقات ؟ اذا فعلتم كانت التجربة طريفة وجديرة بالاهتمام . . ولكنها لاتكون جديدة . . لانها جربت عند بدء الخليقة . . وفشلت بسبب ظلم قابيل لاخيه هابيل .

فقال دى فلموران بحدة :

ـــ مانريد ان نفعله هو ان ننقل زمام الحكم الى ايد اخرى .

ـــ وهل تعتقد ان ذلك هو العلاج . . وان نقل الحكم من يد احدى الطبقات الى يد طبقة اخرى من شانه ان يغير الحالة ؟

ـــ نعم .

ـــ اصغ الى ياعزيزى فيليب . . لكى تقوم حـــكومة من النوع الخيالى الذى تتوهمه . حكومة منصفة تسوى بين الطبقات . . حكومة يستوى فيها الحاكم بالمحكوم . اقول لكى تقوم حكومة من هذا الطراز ينبغى اولا ان تتغير طبائع البشر . . والا فحدثنى . هل فى استطاعة انسان فى كل فرنسا او فى كل العالم ان يبتكر طرازا من الحكومة لم يسبق له مثيل ؟ ليس فى استطاعة احد ان يفعل ذلك .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لقد قامت فى العالم جميع انواع الحكومات الممكنة. واسفرت جميع التجارب عن فشل ذريع . لسبب واحد. هو ان الانسان لايتغير .. فهو دائما جشع . انانى . ردىء .

— هل تزعم انه من المستحيل تحسين مصائر الناس؟

— عندما تقول (الناس) فمعنى ذلك طبعا (الشعب) او بمعنى أصح (الطبقة المحكومة) . فهل تريد محو هذه الطبقة وابادتها ؟ ! تلك هى الوسيلة الوحيدة لتحسين مصائرها . لانها لن تشعر بالحرية والانصاف. مادامت تعلم انها محكومة .

فقال دى فلموران فى حزن واستنكار :

— انت طبعا تدافع عن الجانب الذى تنتمى اليه بحكم نشاتك .. واعنى جانب النبلاء الظالمين . وهذا طبيعى فيما اعتقد .

— الامر على العكس .. اننى اناقشك بروح الانصاف وبغير تحيز .. فدعنا نضع آراءك ونظرياتك على بساط البحث .. اى نوع من انواع الحكومات تريد ؟ افهم من كلامك انك تطالب بقيام حكومة جمهورية .. على ان هذه الحكومة قائمة الان فى فرنسا فعلا .. ان فرنسا الان جمهورية ..

فحملق فيليب فى وجه صديقه . وقال :

— وكيف تكون فرنسا جمهورية .. وفيها ملك ؟

— ملك ؟ ان جميع الناس يعلمون انه لم يقم فى فرنسا ملك بعد لويس الرابع عشر ...

نعم .. ان فى قصر (فرساى) رجلا يضع على راسه تاجا . ولكن الانباء التى حملتها الى فى التو واللحظة .. تدلك على ان هذا الرجل المتوج لا قيمة له .. وليس له نفوذ او سلطان .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ان النبلاء ورجال الاكليروس الذين يتبوأون ارفع المراكز ويضعون اقدامهم على رؤوس الشعب .. هم حكام فرنسا الحقيقيون .. ولهذا قلت لك ان فرنسا جمهورية .. وجمهورية على الطراز الرومانى العتيد. وقد قامت فى روما اسر من عامة الشعب .. جمعت ثروات طائلة .. واستمتعت بنفوذ واسع..بينما كانت بقية الشعب تتضور جوعا وترزح تحت نير العبودية.

ومع ذلك فقد كانت حكومة روماهى اعظم الحكومات الجمهورية التى قامت فى العالم .

فعض فيليب على شفته وقال :

ـــ مهما يكن من امر فانك لا تملك الا الاعتراف بانه لايمكن ان يقوم فى فرنسا نظام حكم اسوأ من النظام الحاضر

ـــ هذه ليست المسألة .. انما المسألة هى هل يمكن الارتقاء بنظام الحكم واساليبه اذا نحن استبدلنا الطبقة الحاكمة فعلا بطبقة سواها ؟ وما هى الطبقة التى يجب ان تحكم ؟ ؟ . او بمعنى آخر .. ماهى الطبقة التى تريد ان تتولى الحكم ؟ ؟ دعنى اجيبك .. انها طبقة الراسماليين ...

وهى اسوأ من طبقة النبلاء ورجال الاكليروس

ـــ ماذا تقول ؟ ؟

ـــ ايدهشك هذا ؟ ؟ ان الحقيقة كثيرا ما تثقل على الاسماع ... ولكنى سأوضح لك الموقف...هل قرأت الالتماس الذى بعث به اهل (نانت) الى الملك ؟ ؟ من الذى حفز بلدية (نانت) على رفع هذا الالتماس الى الملك ؟ ؟

ـــ ان البلدية رفعت الالتماس الى الملك نزولا على ارادة آلاف من الصناع وعمال الغزل والنسيج وبناء

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

السفن وغيرها من الطوائف .
فاجابه اندريه لويس :
ـــ هذا صحيح .. ولكن هؤلاء الصناع والعمال قد فعلوا ذلك مسوقين بارادة الراسماليين اصحاب المصانع والمتاجر واحواض بناء السفن .
الراسماليون هم الذين يحرضون اولئك الفقراء البلهاء على ان يتظاهروا ويريقوا دماءهم فى طلب الحرية المزعومة .
والمولين الباريسيون الذين يسيطرون على اكثر سندات الدين الوطنى ويخشون ان يقوم فى فرنسا ديكتاتور قوى يلغى هذه السندات بجرةقلم يتآمرون كذلك مع الراسماليين فى الاقاليم لهدم نظام الحكم الحاضر واقامة نظام جديد تكون لهم السيطرة فيه .
هؤلاء واولئك ينفخون فى نيران الثورة . وقد راينا الدماء تجرى كالانهار فى مقاطعة (دوفنى) ولا يبعد ان نرى مثل ذلك فى مقاطعة (بريتانى) .
فاذا حدث فى النهاية ان انتصرت المبادىء الجديدة وتداعى النظام الاقطاعى وانهار نفوذ النبلاء فماذا تكون النتيجة ؟
تكون اننا استعضنا عن الحكم الارستقراطى بحكم الراسماليين والدهماء .
فهل تستحق النتيجة كل هذا العناء . وهل يكون الشعب اسعد حالا اذا حكمه المولون والراسماليون ؟
والان حدثنى يافيليب . هل تعلم ماذا يجعل حكم النبلاء ثقيلا لايطاق ؟
الجشع ..
ان الجشع هو لغة البشر ..
ولكن هل تنتظر ان يكون الراسماليون اقل جشعا

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

من النبلاء ؟

كلا .. والف مرة كلا..لان الجشع هو اظهر صفات الراسماليين .

اننى اعترف معك بان الحكومة الحاضرة هى حكومة ظالمة جائرة متعسفة .. ولكن ارجوك ان تنظر الى الامام . فترى ان الحكومة التى يراد اقامتها ستكون اسوأ من هذه بكثير .

ـــ ولكنك لا تنكر حرفا واحدا عن سوء استغلال السلطة ومساوىء الحكم فى هذا العهد .

ـــ طالما ان هناك سلطة .. فهناك مساوىء .

ـــ ان الانصاف والمساواة يذهبان بمساوىء السلطة.

ـــ ان الحكومة معناها القوة .. ونحن لانستطيع ان نملى ارادتنا على الحاكمين .

ـــ بل فى استطاعة الشعب القوى ان يملى ارادته على الحكومة

ـــ اننى اسالك مرة اخرى .. هل تعنى بالشعب الدهماء والغوغاء ؟

واذا كان ذلك فاية قوة يملكها الدهمـــاء ؟ ان فى استطاعتهم ان يثوروا . وان يحرقوا ويخربوا .. ويقتلوا .. وان يكونوا اقوياء .. ولكن لمدة قصيرة .. ذلك لان القوة الدائمة الوطيدة الثابتة الجذور تتطلب صفات ليست للغوغاء والدهماء .

فقال فيليب ساخرا :

ـــ وما دام الغوغاء يفتقرون الى بعض الصـــفات فيجب ابادتهم وقتلهم رميا بالرصاص كما قتل (مابى) .. اليس كذلك ؟ اننى اتوقع منك الان ان تتصدى للدفاع عن المركيز دى لاتور وان تقول ان قتله (مابى) كان عملا من اعمال الرحمة.

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ لقد كان تأثرى لمصرع هذا الرجل لايقل عن تأثرك يافيليب ولكن لايجب ان ننسى على كل حال ان الرجل قتل وهو متلبس بجريمة السرقة .

فأجاب فيليب بلهجة الاستنكار :

ـــ هذا هو الراى المنتظر من شاب مثلك عاش فى الاوساط الارستقراطية. واختاره احد النبلاء لينوب عنه فى مجلس (بريتانى)

ـــ ارى انك ساخط على يافيليب .

ـــ ان موقفك يؤلمنى . ولست انا الشخص الوحيد الذى يبرم بآرائك الرجعية . ولعلك لاتجهل ان اعضاء المنتدى الادبى فى (رين) يفكرون جديا فى طردك من المنتدى .

فهز اندريه لويس كتفيه بقلة اكتراث واجاب :

ـــ ان ذلك لا يدهشنى ولا يزعجنى .

ـــ انا اعتقد فى بعض الاحيان انك رجل بلا قلب .. فانت تنظر الى الامور بعين المحامى الذى لايرى غير القانون . ولا يقيم وزنا لاعتبارات الانسانية والرحمة .. واكبر الظن اننى اخطات بالالتجاء اليك فانك لن تنتصر لى عند الكونت دى كركاديو .

وتناول قبعته . وهم بالانصراف. فاسرع اليه اندريه لويس . وامسك بساعده . وقال :

ـــ اقسم لك ان هذه اخر مرة اتحدث اليك فيها عن القانون او السياسة .

اننى احبك يافيليب . ولا ارضى ان اضحى بصداقتك فى جدل عقيم حول شئون الاخرين

فقال فيليب باصرار :

ـــ ولكنى مازلت افضل ان اقابل الكونت بمفردى ..

ـــ على رسلك اذن .. بيد ان شيئا فى الوجود لايمنعنى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

من مرافقتك الى القصر .. وانتظارك هناك حتى تنتهى مقابلتك مع الكونت

الفصـــل الثـالث

الارستقراطى

تقع قرية جفريلاك فى حضن نهر (مو) على بعد نصف مرحلة من الطريق الموصل الى مدينة رين وهى قـــرية هادئة وادعة بعيدة عن ضوضاء المرور وحركة المركبات وعربات النقل فى الطرق العامة

وعلى الرغم من سوء الحالة المالية والاقتصادية فى تلك القرية . فقد كان اهلها ينعمون برخاء نسبى بالقياس الى اهل بعض القرى الاخرى .. وخاصة فى المناطق الواسعة التى يملكها المركيز دى لاتور والتى تقع فى الجانب الاخر من نهر (مو)

اما سيد هذه المقاطعة وهو الكونت دى كركاديو فكان يقيم فى قصر شاهق عتيق شيد على طراز القصـــور فى العصور الوسطى .. ويدل مظهره على كثير من خلق صاحبه . فقد كان القصر خلوا من مظاهر الاناقة والترف .. كذلك كان الكونت رجلا بسيطا صريحا . لايعرف الرياء والنفاق .. وهو لذلك لم يحاول البحث عن الشهرة الكاذبة فى بلاط الملك . او فى الجيش كما فعل شقيقه (اتيان) . بل قنع بالحياة الهادئة فى املاكه .. ولم يحط نفسه بجيوش من الخدم والاتباع كما كان يفعل معاصروه .. وكما كانت تشتهى (هيلين) ابنة اخيه .

وهيلين هذه هى ابنة اخ آخر للكونت توفى منذ خمسة عشر عاما . وقد اهتم الكونت بتربية هيلين . وكان لها

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ابا واما .. ثم بعث بها الى (فرساى) حيث تعلمت تقاليد البلاط واختلطت بأرقى الاوساط تحت اشراف عمها (اتيان) .. ولما عادت الى (جفريلاك) كان عقلها مفعما بآراء عصرية كثيرة لم يقرها عليها الكونت دى كركاديو .. ولكنها كانت ترجو أن توفق فى احد الايام الى اقناعه بوجهة نظرها .. وحمله على الخروج من العزلة التى يعيش فيها .

* * *

كانت هيلين تسير فى حديقة القصر عندما اقبل اندريه لويس وفلموران . فحيتهما بابتسامة ساحرة.وفاجأتهما بان قالت بحدة :

ـــ اذا كنتما ترغبان فى مقابلة عمى فقد جئتما فى وقت غير ملائم .. لانه الان فى شغل بأمر هام

فقال فلموران فى ادب . وهو يقبل اليد التى بسطتها اليه الفتاة :

ـــ اذن فسننتظره ياآنسة .. والواقع .. من ذاالذى يسرع الى مقابلة العم .. اذا كان فى استطاعته ان يتحدث قليلا مع ابنة أخيه ؟؟

فقالت تداعبه :

ـــ ايها القس الصغير ..متىلبست مسوح القسوس فاننى سأكون أول من يسعى الى التماس بركتك .

فضحك الشابان . وحانت من فلموران نظرة الى باب القصر . فرأى هناك مركبة فخمة .. على جدرانها شعار المركيز دى لاتور فهتف :

ـ اذن فعمك الكونت فى شغل بالحديث مع المركيز دى لاتور

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فأجابت وفى عينيها نظرة غامضة :

ـــ نعم ياسيدى ..

ـــ آه .. اذن ارجو المعذرة ياآنسة ..

واحنى راسه باحترام . وانطلق مسرعا نحو القصر .. فصاح اندريه لويس :

ـــ هل ارافقك يافيليب ؟

فأجاب القس الشاب وهو يغمز بعينيه :

ـــ ليس من اللياقة أن تفضل صحبتي على صحبة الانسة .. وبعد .. فاننى لست بحاجة اليك .

وساد الصمت لحظة .. ثم ضحكت الانسة وقالت

ـــ ماالذى يحمله على الاسراع ؟

ـــ انه يود مقابلة المركيز وعمك معا .

ـــ ولكنه لن يتمكن من مقابلتهما .. انهما لايستطيعان مقابلته . الم أقل لك أنهما فى شغل بحديث هام انك لم تسالنى عن موضوع حديثهما ياأندريه .

فنظر اليها اندريه فى فضول ثم أجاب :

ـــ ولماذا أسأل .. مادمت ارى رغبتك الشديدة فى أن تبوحى لى بكل شيء من تلقاء نفسك .

ـــ اذا لم تكف عن اللف والدوران فاننى لاأقول لك شيئا حتى ولو سألتنى .. ولكن لا .. سأقول لك كل شيء .. لكى تنظر الى بالاحترام الخليق بى .

ـــ اننى احترمك دائما ياهيلين

ـــ ولكن لابد ان يتضاعف احترامك لى متى علمت الغرض من زيارة المركيز دى لاتور

ان هذه الزيارة تدور حولى .

ونظرت اليه بعينين لامعتين .. وانفرجت شفتاها عن ابتسامة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

أجاب :

ـــ انك تبالغين فى تقدير ذكائى ياهيلين .. وقدذكرت لى نصف النبأ .. ظنا منك اننى أستطيع فهم النصف الاخر .. ولكنى فى الواقع انسان غبى .. لاننى لمافهم بعد الصلة بينك وبين هذه الزيارة

ـــ انك لغبى حقا .. اعلم اذن ان المركيز دى لاتور قد جاء يطلب يدى ..

فهتف اندريه :

ـــ ياالهى ..

وحملق فى وجهها كأنه لايصدق اذنيه . ولكنها رفعت راسها بكبرياء . وقالت وقد تجهم وجهها قليلا :

ـــ يخيل الى ان النبا ادهشك .

فاجاب فى صراحة :

ـــ انه ازعجنى .. ولا أستطيع ان اصدقه واكبر الظن انك تريدين الهزؤ بى .

فقالت بلهجة رزينة :

ـــ كلا ياسيدى .. اننى جادة فيما اقول . وقد تسلم عمى صباح اليوم خطابا من المركيز دى لاتور يخطرفيه بامر هذه الزيارة والغرض منها . ولاانكر أن الخطاب أدهشنا الى حد ما .

فصاح أندريه بارتياح :

ـــ آه .. فهمت الآن لقد خشيت ان ..

وكف عن الكلام . وهز كتفيه ..

فقالت :

ـــ لماذا لاتتم كلامك ؟ .. هل كنت تخشى ان يذهب العامان اللذان قضيتهما فى (فرساى) هباء .. والايتقدم للزواج منى غير احد الفلاحين فى (جفريلاك) ؟!.

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لقد جاء المركيز يطلب يدى من عمى وفقا لتقاليدالبلاد .. ومتى وافق عمى فان ..

فقاطعها اندريه ..

ـــ وهل موافقة عمك هى كل شىء ؟

ـــ طبعا ..

ـــ ولكن يجب ان توافقى انت كذلك .

فضحكت وأجابت :

ـــ اننى فتاة طيعة .. لاتستطيع مخالفة عمها .

ـــ وهل تطيعين عمك اذا وافق على هذه الخطوبة الوحشية ؟

فهتفت :

ـــ الوحشية ؟؟ هل لي ان اعلم لماذا تصفها هكذا ؟

ـــ هناك اسباب كثيرة .

ـــ ارجوك ان تذكر لى احدها .

ـــانه اكبر منك سنا مرتين .

ـــ لااظن ذلك .

ـــ انه فى الخامسة والاربعين من العمر على الاقل.

ـــ ولكن الناظر اليه يتوهم انه فى الثلاثين .. فهو انيق رشيق .. وتلك حقيقة لاتستطيع ان تنكرها .. كذلك ليس فى استطاعتك ان تنكر أنه واسع الثراء والنفوذ . وانه أعظم النبلاء فى مقاطعة (بريتانى) وسوف يجعل منى سيدة عظيمة .

ـــ لقد خلقك الله سيدة عظيمة ياهيلين

فابتسمت وأجابت :

ـــانك تستطيع أن تقوم بدور الرجل المؤدب فىبعض الاحيان يااندريه ..

وراحت تتهادى بين اشجار الحديقة . فلحق بها وهو يقول :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ بل واستطيع ان اقوم باى دور آخر لكى امنع هذا الوحش من ان يهشم حياة الزهرة التى أودعها الله كل معانى الطهر والعفاف .

ـــ لاتنس انك تتحدث عن الرجل الذى سيكون زوجى .

فاجاب وقد امتقع لونه :

ـــ اذن فقد تم كل شىء .. ووافق عمك ؟! واذن ستباعين الى رجل لاتحبينه ولاتعرفينه ؟؟ لقد كنت ارجو لك مصيرا افضل من هذا ياهيلين .

ـــ افضل من أصبح المركيزة دى لاتور ؟

ـــ اليست فى الحياة سعادة اخرى غير سعادةالثروة الزائلة .. واللقب الاجوف ؟ لقد كنت دائما احلك من نفسى محلا رفيعا ياهيلين . كنت انظر اليك كما انظر الى مخلوقةمقدسة حقيقةبالسعادة التىيؤهلهالهاجمالها ونكاؤها . وصفاء نفسها .. ولم يخطر لى قط ببال انك ستبيعين جسدك وروحك فى أحد الايام لرجلكالمركيز دىلاتور منأجل مظاهر زائفة لاتقدم فىالسعادةالحقيقية ولاتؤخر .

ـــ انك رجل خشن الطباع ياأندريه .. ثم انك تثب الى النتائج فى غير روية .. الا تعلم ان موافقة عمى هى الخطوة الاولى .. وان الخطوة الاخيرة لاتكون الا برضاى وموافقتى ؟

اننى وعمى متفاهمان فى هذا الصدد . فانا لاابا ع كالسلعة كماتتوهم.واذا تزوجت فسيكون ذلك برضاى.

وبعد .. فان مظهر الرجل لاباس به . ومن بواعث الفخر لى انه آثرنى على سواى من بنات النبلاء .. واعتقد اننى سأوافق على الاقتران به .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فنظر الى وجهها الفاتن طويلا .. وغاض الدم من وجهه

قال بصوت اجش :

ـــ ليسدد الله خطاك ياهيلين .. وليرفع الغشـــاوة من عينيك حتى ترين الغث من السمين .. وتتبلج لك الحقيقة من بين المظاهر الكاذبة الجوفاء .

كل ماطالبك به متى تقدم اليك المركيز بشخصه ان تنظر ى اليه مليا . وان تحكمى فى امره انبل غرائزك .. لكى تقبيثى فيه الوحش الاثيم الكامن وراء مظهره اللامع البراق .

فكرى فى ان ..

ـــ اننى افكر ياسيدى فى انك تتجاوز حدودك .. وتستغل عطفى عليك .. وتنسى نفسك .

من انت . .وما انت حتى تجد الجراة على التحدث الى بمثل هذه القحة ؟

فاحنى راسه باحترام ..

وعندما نظر اليها بعد ذلك كان فى عينيه ذلك البريق الساخر المالوف

قال فى تهكم :

ـــ دعينى اهنئك ياآنسة على استعدادك العجيـــب للقيام بالدور الذى اسند اليك .

فاجابته فى غضب :

ـــارجو لك ايضا ان تحسن القيام بدورك .

ـــ اعدك بان اعرف مركزى فى المستقبل وان اكون كالتراب تحت قدمى سيدتى المركيزة .

فتحولت اليه ..

كانت فى عينيها فى هذه المرة نظرة عطف . واشفاق .. وندم ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

قال يستغفرها فى ذات الوقت الذى همت فيه بان تسأله المغفرة :

— يالهى .. اننى وحش ياهيلين .. لقد احزنتك وازعجتك .

فاغفرى لى اذا استطعت .

فاجابت على الفور :

— سأحاول ان اصفح عنك .. بشرط الا تلجأ الى الاهانة مرة اخرى .

— ولكنى لااستطيع ان اعدك بذلك ياهيلين . وسواء غفرت لى أو لم تغفرى .. فاننى سأناضل اذا قضت الضرورة حتى انقذك من نفسك .

* * *

وهمت الفتاة بان تجيب ولكن باب القصر فتح فى هذه اللحظة . وخرج منه المركيز دى لاتور .. يتبعه الكونت دى كركاديو . فالشاب دى فلموران .

كان المركيز رجلا طويل القامة رشيقا . يمشى معتدل الكتفين . مرفوع الراس . وقد ارتدى ثوبا أنيقا من القطيفة السوداء . قد وشيت اكمامه بالذهب .

وكانت مشيته وحركاته تدل على العظمة والنبل فى غير تكلف .. فارسل اليه اندريه لويس نظرة تنم عن الغيرة والحسد

رآه جديرا بالشهرة التى ذاعت عنه .. كرجل وسيم انيق سعيد الحظ مع النساء .

أما الكونت دى كركاديو فكان رجلا ضخم الجسم قصير الساقين . قليل العناية بهندامه . وهذه الصفات الطبيعية فيه مضافا اليها التشويه الذى احدثه الجدرى فى وجهه جعله يزهد فى الزواج فقضى كل حياته أعزبا .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وجاء دى فلموران .. فى المؤخرة . وكان ممتقع اللون منكس الراس

ولم يكد المركيز يخرج من الباب حتى وثب من المركبة التى كانت فى انتظاره شاب انيق فى مقتبل العمر فخف لاستقباله .

وقد عرف اندريه فى هذا الشاب الشيفاليه دى جابريلان ابن عم المركيز دى لاتور .

ومشى المركيز الى المركبة فى هدوء وعظمة . وقبل ان يهم بركوبها وقع بصره على هيلين واندريه . فابتسم للاولى .. وقصد اليها وهو يوسع الخطى .. وهناك أحنى قامته أمام اندريه على سبيل التحية . وتناول اليد التى قدمتها اليه هيلين . ورفعها الى شفتيه باحترام.

اما اندريه فانه رد تحية المركيز بمثلها .. ووجد مركزه دقيقا بين هيلين وخطيبها . فانسحب . ولحق بصديقه فلموران .

قال المركيز وهو ينظر الى هيلين ويتامل عينيها الزرقاوين الساحرتين :

ـــ لقد سمح لى عمك ايتها الانسة العزيزة بان احييك واعبر لك عن تقديرى واحترامى .. فهل يكون لى شرف مقابلتك متى جئت غدا ؟؟ سيكون من بواعث سرورى أن أنقل اليك غدا نبأ على جانب عظيم من الاهمية.

فهتفت :

ـــ نبأ على جانب عظيم من الاهمية ؟؟ هذا كلام يزعجنى ويخيفنى ياسيدى المركيز

ولم يظهر على وجهها شيء من دلائل الخوف او الانزعاج . ولكنها لم تقض عامين فى (فرساى) عبثا . فقد حذقت هناك ضروب الحديث والمناورات اللفظية بين الجنسين .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

قال المركيز :

ـــ ان ازعـــاجك هو ابعـــد الامور عن تفـــكيرى يا آنسة .

ـــ وهل النبأ على جانب عظيم من الاهمية بالنسبة اليك او بالنسبة الى يا سيدى ؟

فأجاب وعيناه تلمعان : بالنسبة الينا معا يا آنسة .

ـــ انك تثير فضولى يا سيدى .. ومهما يكن من امر فاننى اطيع عمى واحترم ارادته . وسيكون لى الشرف بان استقبلك غدا .

ـــ بل سيكون الشرف لى يا آنسة ... وكل رجائى ان يسعدنى الحظ برؤيتك غدا فى مثل هذه الساعة .

واحنى قامته باحترام . ورفع انامله الى شـــفتيه مرة اخرى . وافترق الاثنان ..

* * *

وبقيت الفتاة فى مكانها مضطربة لاهثة الانفاس .. وقد اذهلتها عظمة الرجل ووسامته . وروعة مظهره . وما يبـــدو فى كلامه وحركاته من دلائل القوة والحـــزم والثقة بالنفس .

وجرى ذهنها الى الشـاب الذى كان ينتقده ويحمل عليه منذ لحظة ..

جرى ذهنهـــا الى اندريه لويس .. ذلك المخـــلوق الهزيل النحيل المجهول النسب . الذى كفله عمها . ورباه .. واسكنه بيت المحامى العجوز رابوييه وانفق وما يزال ينفق عليه .

قلبت شفتيها احتقارا ..

لم يكن ثمة مجال للمقارنة بين الرجلين .. فأحدهما

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

نبيل عظيم حقيق بأن يعد بين الامراء .. والثانى لا يصلح لان يكون خادما للاول .

كلا .. انها لن تسمح لاندريه بعد الان ان يقول كلمة واحدة قدحا فى الرجل الذى جاء يعرض عليها ان تشاطره حياته وثروته وسلطانه .

* * *

وشد المركيز على يد دى كركاديو مودعا . وقال كلمة لفلموران . اجاب عليها هذا بأن احنى قامته فى صمت .

وصعد المركيز الى مركبته . وانطلقت به المركبة بين اشجار الحديقة الى الباب الخارجى .

* * *

وتابط فلموران ساعد اندريه . وقال له :

ـ هلم بنا .

فهتف الكونت دى كركاديو :

ـ كلا .. يجب ان نتناولا طعام الغداء معنا .. لكى نشرب نخب سعادة هيلين .

ونظر نحو ابنة اخيه وغمز بعينه .

ولكن فلموران اعتذر بموعد هام لا يسعه التخلف عنه . فقال الكونت :

ـ وانت يا اندريه ؟

فاجاب الشاب :

ـ شكرا لك يا سيدى .. ولكنى لا اتفاءل بشرب الانخاب .

والواقع .. ان اندريه لم يكن يشعر برغبة فى البقاء .. كان ساخطا لان هيلين احسنت استقبال المركيز دى لاتور .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصـــل الرابع

فصاحة دى فلموران

انحدر الصـــديقان من القرية الى الطريق العام . وكان دى فلموران صـــامتا مكتئبا تبدو عليه عـــلامات الاهتمام والتفكير .. اما اندريه فانه راح يتكلم ويثرثر . وكان موضوع محاضرته (المراة وغرابة اطوارها) .

قال انه لم يعرف المـــراة على حقيقتهـــا الا فى ذلك الصباح . وراح يرمى النساء بما لا يشرفهن .. ويسهب فى وصف حمقهن وضآلة عقولهن .. وضيق تفكيرهن .

وعلى الرغم من طرافة الموضوع بالنسبة الى شاب يذاهب لان يكون قسا .. فان دى فلموران لم يسهم فى حديث صاحبه بكلمة او راى . حتى وصل الاثنان الى حانة (بريتون ارميه) وهناك وقف دى فلموران واوما باصبعه الى مركبة المركيز دى لاتور وكانت بباب الحانة قال اندريه :

ـــ يخيل الى انك لم تصغ الى كلمة واحدة مما قلت .

ـــ لو لم تكن منصرفا بكل حواسك الى الموضـــوع الذى تناولته بالحديث اذن للاحظت ذلك منـــذ البداية ووثرت على نفسك بعض العناء .

والواقع .. انك خيبت املى فيك يا اندريه . فانه يخيل الى انك نسيت الموضوع الذى ذهبنا من اجـــله الى بيت الكونت .

اننى على موعد مع المركيز دى لاتور فى هذه الحانة .. فالرجل يريد ان يصـــغى الى بانتبـــاه .. ولم تكن الفرصة سانحة للكلام فى قصر الكونت .. فضرب لى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

موعدا هنا .. وانى عظيم الرجـــاء فى انه ســـيحقق مطلبى .

ـــ اى مطلب ؟

ـــ ارضـــاء عائلة (مابى) وتعويض ارملة الرجل واولاده .

نهز اندريه كتفيه وقال ساخرا :

ـــ يخيل الى انك تطلب المستحيل .

ـــ لماذا ؟

ـــ سوف ترى .. هلم بنا ..

* * *

ودخل الشـلبان الحانة وعرجا على غرفة خاصة .. افردها صاحب الحانة للمركيز .. وهناك وجدا المركيز جالسا بجانب الموقد .. ومعه ابن عمه الشـــيفاليه دى جابريلان .

وقد نهض النبيلان فى الحال لاستقبال القس الشاب. وقال المركيز :

ـــ يسرنى انك جئت الى الموعد بمثل هـــذه السرعة يا مسيو دى فلموران ، تفضـــل بالجلوس . ولكن من هذا ؟ مسيو اندريه لويس مورو ؟

هل جئت به معك يا سيدى ؟

فاجابه فلموران :

ـــ نعم يا سيدى المركيز .

ـــ لقد احسنت صنعا .. اجلس يا مسيو مورو .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ولقد نطق بالعبارة الاخيرة ببرود وفتور كأنه يتحدث الى احد خدمه .

قال فلموران :

ـ لقد كان كرما منك يا سيدى المركيز ان تسمح لى هذه الفرصة لاستئناف الحديث الذى بدأناه فى قصر الكونت دى كركاديو .

فوضع المركيز ساقا على ساق .. وبسط كفيه فوق النيران المشتعلة فى الموقد وأجاب دون ان يكلف نفسه عناء النظر الى محدثه :

ـ لنترك الان الكلام عن كرمى ..

فقال فلموران :

ـ ولكن يجب ان اشكر لك اهتمامك بقضية اولئك البؤساء ؟

فنظر اليه المركيز من فوق كتفه وسأل :

ـ قضية اولئك البؤساء ؟ من هم اولئك البؤساء يا سيدى ؟

ـ ارملة (مابى) التعس .. واولاده .

فحملق المركيز فى وجه فلموران .. ثم فى وجه الشيفاليه .. فضحك هذا الاخير واغرق فى الضحك .

قال المركيز ببطء :

ـ اظن يا سيدى ان فى الامر سوء تفاهم .. اننى دعوتك الى مقابلتى هنا لان قصر الكونت دى كركاديو لم يكن يصلح لاستئناف الجدل والنقاش . ولاننى لم اشأ ان اكلفك عناء الانتقال لمقابلتى فى قصرى فى (ازير) .

ولقد كان هدفى من مقابلتك ان استوضحك بعض العبارات افلتت من بين شفتيك فى قصر كركاديو . ومازلت ارجو ان اعرف رايك فى هذه العبارات .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وهنا تحرك اندريه فى مقعده بقلق .. ذلك انه كان فتى سريع الخاطر حاد الحساسية .. وقد شعر بأن فى الجو عاصفة لم يفطن اليها دى فلموران اما فلموران . فانه نظر حوله حائرا وقال فى دهشة :

ـــ عفوا يا سيدى المركيز .. اية عبارات تعنى ؟

فاعتدل المركيز فى مقعده . بحيث واجه فلموران . واجاب :

ـــ يخيل الى يا سيدى انه يجب على ان انعش ذاكرتك .. انك تحدثت الى فى القصر . وكنت تتكلم بفصاحة عظيمة .. وطلاقة لسان تحسد عليها . اقول انك تحدثت الى فى القصر عن (الوحشية) التى تتجلى فى حادث الاقتصاص من اللص (مابى) او لا ادرى ما هو اسمه .. نعم .. انك وصفت الحادث بأنه (وحشية) ولم تحاول ان تستدرك هذه الكلمة او تعدل عنها ، عندما افهمتك بان الحارس لم يفعل اكثر من انه نفذ اوامرى .

فاجاب فلموران :

ـــ اذا كان العمل خليق بان يوصف بالوحشية . فان مركز الشخص الذى امر به ـــ مهما كان عظيما ـــ لا يمكن ان يغير من هذا الوصف .

ـــ وهل افهم من كلامك انك ما زلت تعتبر الحادث ضربا من ضروب الوحشية ؟

فظهرت الحيرة على وجه فلموران . ولم يفهم الغرض الذى يرمى اليه المركيز .

قال :

ـــ يخيل الى من استعدادك للاضطلاع بمسئولية هذا العمل ان لديك من الاسباب ما يبرره .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فقال المركيز وهو يخرج من جيبه علبة السعوط (النشوق) :

ـ هذا حسن .. هذه مرونة لا بأس بها .. لقد بدأت أشعر الان بانك لست من ذوى الاملاك .. وان صاحب الاملاك قد تكون لديه اسباب تبرر اعماله .. والواقع أن سرقات هؤلاء اللصوص ضايقتنى فى المدة الاخيرة .. فرايت ضرورة الالتجاء الى عمل حاسم لوضع حد لهذا العبث .. واعتقد ان احدا لن يجرؤ على سرقتى الآن بعد اذ عرف العقوبة التى تنتظر السارق .

على اننى يجب ان اقول لك شيئا آخر يا مسيو دى مالموران .. وهو ان السرقة فى ذاتها لا تضايقنى وانما يضايقنى ما تنطوى عليه من معانى الاستهانة بحقوقي والعدوان على متاعى . والتمرد على اوامرى.

ولعلك لا تجهل يا سيدى ان الجو اصبح مشبعا بروح التمرد والعصيان . وان هناك طريقة وحيدة لمقابلة هذا التمرد ومعالجة هذا العصيان - تلك هى عدم التراخى واخذ المتمرد بالعنف قبل ان يستفحل أمره .

والان ارجو ان تكون قد فهمتنى بعد هذا الايضاح الذي لم اكن مرغما على الادلاء به اليك .. بيد انه اذا كان هناك مالا يزال يستعصى على فهمك .. فاننى أحيله على صديقك هذا .. فهو كما فهمت يشتغل بالمحاماة .. ويعلم ما لا علم لك به من قوانين الصيد والقنص التى تنص على ان صاحب الغابة هو المالك المطلق لما تحتويه من اشجار وحيوان .. وله كل الحرية في أن يدافع عن املاكه بكل الوسائل التى تكفل صيانة حقوقه .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

قال ذلك وحول وجهه شطر الموقد .. وهى حركة ، معناها فى الظروف العادية ان باب المناقشة قد اقفل .. وان الحديث قد انتهى .

ولكن اندريه شعر بأن الحديث لن ينتهى عند هذا .. لان المركيز نطق بالعبارات الاخيرة بصوت ينم عن السخرية والاحتقار .. وبلهجة تثير رجلا يدين بمثل المبادىء الاجتماعية التى يدين بها فلموران ..

وقد كان لهذه العبارات التأثير الذى توقعه اندريه . اذ نهض فلموران واقفا . وقال بلهجة تنم عن المرارة :

ـــ الا توجد فى العالم قوانين غير قوانين الصيد والقنص .. الم تسمع فى حياتك عن شىء يقال له القوانين الانسانية ؟

فتنهد المركيز فى ضجر واجاب :

ـــ وما شأنى بالقوانين الانسانية ؟

فصمت فلموران لحظة وقد الجمه السخط والحنق . ثم اجاب :

ـــ لا شىء يا سيدى .. وهذا مما يؤسف له . على اننى ارجو ان تعلم شيئا عن هذه القوانين متى حانت الساعة التى قد تضطر فيها الى استعطاف أولئك الذين تسخر منهم الان .. وتعتبر حياتهم ارخص من حياة الارانب التى تملأ غاباتك .

فنظر اليه المركيز بحدة وسأل :

ـــ ماذا تعنى على وجه التحديد ؟ هذه ليست أول مرة تردد فيها اليوم على مسامعى هذه العبارات الجوفاء .. التى تكاد تنطوى على التهديد والوعيد .

فأجاب فلموران :

ـــ اننى لا اهدد ولا اتوعد يا سيدى المركيز ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ولكنى احذر .. احذر من عواقب هذا البطش بمخلوقات الله .. اراك تبتسم ساخرا .. على رسلك .. ان سخريتك لن تغير من الحقيقة شيئا .. فهؤلاء الناس .. هؤلاء الرعاع .. هؤلاء الدهماء .. هؤلاء العبيد الارقاء . هم من صنع الله مثلى ومثلك .. وهم فى نظر الله .....

فقاطعه المركيز :

ـــ بالله ارجو ان توفر على سماع مواعظك يا سيدى القس .

ـــ انت تسخر وتضحك يا سيدى .. ولكن ترى هل ستضحك هكذا عندما يناقشك الله الحساب عن هذه الدماء التى تلطخ يديك ؟

وهنا نهض الشيفاليه دى جابريلان واقفا وهتف :

ـــ سيدى ..

انطلقت هذه الكلمة كفرقعة السوط .. ولكن المركيز امسك بساعده وقال فى هدوء :

ـــ اجلس يا شيفاليه .. انك تقاطع سيدى القس .. وانا اود ان اسمع حديثه الى النهاية .

وكان اندريه قد نهض واقفا بدوره وقد ازعجته علامات الخبث والشر التى ارتسمت على وجه المركيز . فاقترب من صديقه وقال له :

ـــ من الافضل ان تنصرف يا فيليب .

ولكن فلموران كان وقتئذ فى عنفوان غضبه وثورته . فاستطرد موجها كلامه الى المركيز :

ـــ نعم يا سيدى .. فكر جيدا فيمن انت الان .. وفيما سيصير اليه امرك .

فكر فى المساوىء التى تغرسها انت ومن هم على

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

شاكلتك .. ثم فى الثمار التى سوف ينتجها هذا الغرس
فقال المركيز باحتقار :
— أيها الفوضوى كيف تجد الجراة على ان تتفث امامى هذه الاراء الثورية ذات الرائحة الكريهة .
— ان الرائحة الكريهة لا تنبعث من الاراء الثورية .. ولكنها تنبعث من الحياة التى تحيونها .. ومن الامتيازات التى تسيئون استغلالها ..
الا يكفيكم انكم تفرضون لانفسكم ضرائب على الماء الطليق الذى يستقى منه الظمآن . وعلى النار التى يخبز بها الفقير رغيفه . وعلى الهواء الذى يدير به طاحونته ؟

ان الفلاح التعس لا يستطيع ان يخطو خطوة فى الطريق العام . ولا ان يعبر جسرا .. او يبتاع مترا من القماش فى الاسواق .. دون ان يعترضه واحد من اذنابكم فيقتضيه ضريبة عن الخطوة التى خطاها .. وعن قطعة القماش التى ابتاعها .. افلا يكفيكم هذا يا سيدى المركيز ؟؟ وهل من الضرورى ايضا ان تقتضوا الفلاح التعس حياته ثمنا لاقل عدوان على حقوقكم المقدسة .. غير آبهين بالايامى واليتامى ؟ الا تقنعون بشىء اقل من بسط ظلكم على الارض كلها كانه اللعنة الابدية ؟ .

وهل يزين لكم الوهم والغرور ان فرنسا تستطيع احتمالكم الى الابد ؟
وصمت كانه ينتظر الجواب. ولكنه لم يسمع جوابا . فقد تسلى المركيز بان راح ينظر اليه . وعلى شفتيه ابتسامة تهكم . وفى عينيه نظرة قاسية رهيبة .
وهنا امسك اندريه بساعد صديقه مرة اخرى .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وهتف به كاتما ليلفته الى تحرج الموقف :

ـ فيليب

ولكن فلموران لم يعبأ به . ومضى يقول :

ـ الا ترون السحب التى بدات تتجمع وتنذر بالعاصفة القريبة ! . اكبر ظنى انكم تمنون النفس بمثل (مجلس الشعب) الذى اوصى مسيو نيكر بانتخابه وعقده .. ولكن لا .. انكم تخدعون انفسكم .. فهذا المجلس الذى تحتقرونه سلفا .. وتحتقرون الطبقات التى سيمثلها سوف يكون صاحب القوة المطلقة .. وسوف يكون اول همه ان يمهد السبيل لاستئصال سرطان الامتيازات الذى ينهش قلب هذه الامة .

فقال المركيز بعد صمت قصير :

ـ ان فصاحتك من النوع الخطر يا سيدى .. وهذه الفصاحة هبة طبيعية فيك . وليس توامها عدالة القضية التى تدافع عنها .. والواقع انها قضية تافهة مبتذلة قد سبقك كثيرون الى الدفاع عنها . ولكن احدا منهم لم يفطن الى حقيقة بسيطة ظاهرة .. هى ان الحقوق والامتيازات التى تتكرونها علينا . هى حقوق قديمة موروثة دعمتها الاجيال العديدة التى انقضت .

فاجاب فلموران :

ـ ان الانسانية اقدم من القاب النبل يا سيدى .

وهنا نهض المركيز واقفا وقال :

ـ يا سيدى القس .. اننى اكرر لك القول بان فصاحتك من النوع الخطر الذى يثير الجماهير ويحرك الدهماء على انك لو كنت نبيلا عريق الاصلاب .. او على الاصح . لو كنت انحدرت من اصل كريم . اذن لما خطرت لك امثال هذه الاراء البراقة الزائفة . ولما

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

دافعت عنها بمثل هذه الحماسة .
فنظر اليه فلموران فى دهشة . وردد ببطء كأنه لا يصدق اذنيه :
ـــ لو كنت انحـــدرت من اصل كريم ! ؟ ان اسرتى عريقة فى النبل والكرم كاسرتك تماما يا سيدى .
فقطب المركيز حاجبيه . ونظر فى وجه فلموران بحدة وقال :
ـــ انك مخدوع فى ذلك يا سيدى .
ـــ مخدوع ؟
ـــ نعم .. فان مشاعرك وآراءك تفضـــح الخطيئة التى تورطت فيها امك .. حين انجبتك من غير ابيك .

• • •

كانت اهانة قاذعة مزعجة .. رماها المركيز فى وجه الشاب ببرود وقسوة ..
وساد صمت عميق .. استمر وقتا لم يستطع اندريه تقديره . لانه ذهل عما حوله .
أما فلموران .. فانه راح ينظر فى وجه المركيز .. كأنه يبحث فى ملامحه عن معنى لم يفهمه .
واخيرا ادرك الاهانة القذرة المقصودة . فصـــعد الدم الى وجهه .. وارتجفت اعضاؤه .. وأهوى على بيده على وجه المركيز .
وعندئذ وثب الشـــيفاليه دى جـــابريلان ووقفه بين الرجلين .

* * *

فى هذه اللحظة راى اندريه القنح الذى نصب لصديقه

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

.. وادرك ان كلمات المركيز دى لاتور لم تكن الا مناورة كمناورات الشطرنج تهدف الى اثارة القس وحمله على الاقدام على عمل يضعه تحت رحمة غريمه .
وذلك ما حدث .

* * *

كان وجه المركيز ناصع البياض فيما عدا البقعة التى هبطت عليها يد فلموران .
ولكنه لزم الصمت .
وتكلم الشيفاليه فقال محدثا القس :
ـــ هل تدرك يا سيدى ماذا فعلت وماذا يترتب على عملك ؟
ولكن فلموران لم يكن قد ادرك شيئا .
كان قد غضب لشرفه المهين . ففعل بالغريزة ما فعل .. دون ان يحسب حسابا للعواقب .
على انه بدا يفهم .. وتبلجت له الحقيقة .. وادرك ما يرمى اليه الشيفاليه .
ولكنه كان قسا .. والقس تحرم عليه تعاليمه ان يشترك فى مبارزة .
قال بصوت اجش :
ـــ لقد محوت الاهانة بالاهانة .. ولا يزال سيدى المركيز هو المعتدى فليقنع بذلك .
فهتف الشيفاليه :
ـــ هذا مستحيل .. انك صفعته يا سيدى .. واعتقد ان ذلك هو الحادث الاول من نوعه فى حياة المركيز .. اذا كنت قد وجدت فى كلامه اهانة لك .. فانه كان يحسن بك ان تدعوه الى تصفية الحساب بالوسيلة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

المألوفة بين الشرفاء . اما الان .. فانه لا مفر من مواجهة العواقب .

فثارت حماسة الشباب من جديد وغلبت فيه نزعة الشرف على تعاليم الكنيسة .

اجاب :

ـ اننى لا افر من العواقب يا سيدى .

فصاح اندريه فى ذعر :

ـ ولكنه لا يحمل سيفا ايها السادة ..

فاجاب الشيفاليه :

ـ هذا امر يمكن تداركه .. اننى اعيره حسامى .

فقال اندريه .. وهو نهبة الخوف على صديقه والاستنكار لسلوك النبيلين :

ـ انما اعنى انه قس ولا خبرة له بالقتال . ثم ان تعاليمه وطبيعة مركزه يحرمان عليه المبارزات .

فاجاب الشيفاليه فى ادب :

ـ كان يجب عليه ان يتذكر ذلك قبل ان يصنع المركيز .

فصاح اندريه فى غضب :

ـ ولكنه اثير عمدا .. هذه خطة مدبرة لاستدراجه الى المبارزة .. هلم بنا يا فيليب .. الا ترى الفخ الذى نصب لك ؟

فاجاب فلموران فى هدوء :

ـ مهلا يا اندريه .. ان سيدى المركيز على حق .

فصاح اندريه :

ـ تقول انه على حق ؟ .. يا الهى .. ماذا دهاك يا فيليب ؟

وسقطت يداه حول جنبيه فى يأس وقنوط .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

راى الشاب الذى يحبه اكثر من اى انسان آخر فى الوجود ينساق الى الفخ وهو مغمض العينين .. وينكشف صدره لحسام خصمه لاعتبار سخيف من اعتبارات الشرف .. وحتى لا يقال عنه انه نكص على عقبيه امام خصمه .

الفصل الخامس

المبارزة

اصر فلموران على ان تتم المبارزة باسرع ما يمكن .. اولا لكى ينقض يديه منها . وثانيا لانه اشفق ان تخمد حدته . وينفثىء غضبه فتخذله قواه .. ويعاوده الهدوء والدعة اللذان روض عليهما نفسه منذ قرر ان يصبح قسا .. فيبدو امام خصمه فى حالة من الضعف تتنافى مع الكرامة .

اما المركيز فانه لم يكن متعجلا .. ولكنه لم ير مانعا من تصفية الحساب باسرع ما يمكن .. طالما ان كلا من الشيفاليه واندريه لويس يستطيع القيام بدور الشاهد فى المبارزة .

وهكذا اعدت العدة فى بضع دقائق .. وخرج الاربعة الى الارض الفضاء الكائنة خلف الحانة . وبلغ من استهانة المركيز بامر غريمه انه لم يهتم بشىء من الاجراءات المألوفة .. بل ولم يخلع رداءه . وترك لخصمه ان يقطع براى فى طول الحسام .. وان يختار البقعة التى تلائمه فى ارض الميدان ..

* * *

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ووقف المركيز بقامته الطويلة .. وعضلاته المفتولة امام الشـــاب النحيف الهزيل الذى الف حمل الـــكتاب المقدس دون الحسام .

واستند الشيفاليه الى عصاه ـــ لانه نزل عن حسامه لفلموران .. وراح ينقل البصر بين الخصمين .. وفى عينيه نظرة سرور وتسلية .

اما اندريه لويس ـــ وكان اشد الجميع اضطرابا ـــ فانه وقف امام الشيفاليه .. وجعل يقبض اصـــابعه ويبسطها بحركة عصبية تدل على مدى انفعاله وتأثره .

حدثته نفســـه اول الامر بأن يقف بين الخصـــمين ويناشدهما ان يتصافحا .. ولكنه ادرك عقم هـــذه المحاولة .

ثم راح يطمئن نفسه بان المبارزة لا يمكن ان تؤدى الى نتيجة خطيرة لان فلموران اذا كان قد اضطر اليهـــا .. فان شرف المركيز ونبل خلقه يمنعانه من ان يلحق اذى خطيرا بالشـــاب التعس الذى كان هو البـــادىء باهانته واثارة غضبه وحنقه .

نعم .. ان المركيز رجل شريف .. ولا شك انه يضن باسمه ان يصبح مضغة فى الافواه اذا هو بطش بالشاب المســـكين .. ولا شـــك انه يريد فقط ان يلقى على فلموران درسا .. ومن المحتمل ان يكون درسا قاسيا .. ولكن من المؤكد انه سيترك الفتى يعيش ليفيد من هذا الدرس ويذكره بقية حياته .

فكر اندريه فى كل هذا .. واطمأن نفسا .

* * *

وبدات المبارزة .. وتصادم السيفان . وراح المركيز يجول ويصول دون ان يمكن لخصمه من جسده .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

اما فلموران . فكان يقابل المركيز مواجهة .. وبذلك جعل من جسده هدفا مكشوفا لطعنات غريمه ..

كانت كل اعتبارات الشرف والانصاف والنزاهة تصرخ استنكارا لمبارزة كهذه .. اظهر ما فيها عدم التكافؤ بين الخصمين .

• • •

وكانت المبارزة قصيرة بطبيعة الحال .. فان فلموران لم يكن يعرف من فنون القتال غير القليل مما يتلقاه الشباب عادة فى مستهل حياتهم على ايدى اساتذة السيف ، وما لا تجدى فتيلا امام براعة رجل محنك كالمركيز .. قضى كل حياته فى ممارسة ركوب الجياد والصيد والقنص واللعب بالسيف . وغير ذلك من الوان الرياضة التى هى مؤهلات النبلاء المترفين امثاله .

اشتبك الخصمان مرتين .. وافترقا ..

وفى المرة الثالثة .. انتهز المركيز غفلة من غريمه فتقدم خطوة الى الامام .. وبسط ساعده القوى . وسدد نصل حسامه بعناية شديدة .. واغمده فى قلب القس الشاب .

* * *

وثب اندريه الى الامام فى الوقت المناسب ليحتضن صديقه وهو يسقط ..

مدده على الارض . وركع بجانبه .

وتراخى ساعد فيليب . وانبثق الدم من صدره . فلطخ ثيابه وسال على الارض .

ورفع اندريه الى المركيز وجها شاحبا ترتجف شفتاه . فرآه واقفا ينظر الى جثة غريمه فى هدوء وبساطة .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

صاح به :
ـــ انك قتلته .
ـــ طبعا ..
وراح المركيز يزيل الدم عن نصل حسامه بمنديل مزركش . ثم القى بالمنديل وقال :
ـــ كانت فصاحته ـــ كما افهمته ـــ من النوع الخطر .
وترك اندريه يفكر فى معنى هذه العبارة .. وابتعد يريد الانصراف .
صاح به اندريه :
ـــ عد ايها القاتل النذل .. واقتلنى كذلك لتجعل نفسك بمامن منى .
فتحول اليه المركيز .. ونظر اليه بعينين يتطاير منهما شرر الغضب .
ولكن الشيفاليه اسرع فامسك بساعده .
كان دى جابريلان قد شجع على المبارزة وفرح بها .. ولكن نتيجتها ازعجته وروعته .
قال محدثا المركيز :
ـــ دعه .. فانه يهذى .. فقد كانا صديقين .
فهتف المركيز :
ـــ الم تسمع ما قال ؟
فصاح اندريه محدثا الشيفاليه :
ـــ لقد قلت انه قاتل جبان .. وليس فى استطاعته هو او سواه ان ينكر ذلك .
انه ذكر الان فقط لماذا قتل صديقى المسكين .. انه لم يقتله محوا للاهانة .. وانما قتله لانه يخشاه .. ويخشى ذلاقة لسانه .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ واذا صح هذا .. فماذا هنالك ؟

فصاح اندريه :

ـــ اتسألنى ماذا هنالك ! الا تعرف من معانى الحياة والانسانية غير ان ترتدى ثوبا انيقا وتصفف شعرك . وتقتل الابرياء ؟

اما لك عقل يفكر . ونفس تشعر ؟ وهل يجب ان يقال لك ان قتل الشخص الذى يخيفك هو الجبن بعينه وان قتله بهذه الصفة هو النذالة بكل معانيها ؟

لو انك طعنته من الخلف لكان ذلك اجدى فى اظهار شجاعتك فى الشر . وجراتك فى الاثم .. ولكنك اشفقت من النتيجة رغم سلطانك وجبروتك .. فحجبت جبنك ونذالتك تحت ستار المبارزة .

وهنا خلص المركيز ساعده من قبضة الشيفاليه . وامسك بالحسام كما يمسك بالسوط . وخطا الى الامام .

ولكن الشيفاليه لحق به وصاح :

ـــ كلا .. كلا يا جرفييه .. دعه يذهب بحق السماء ..

فهتف اندريه :

ـــ بل دعه يأتى يا سيدى .. ودعه يتوج جبنه ونذالته بقتلى .

فأفلت الشيفاليه ساعد المركيز .. وتقدم هذا الى الامام وهو شاحب الوجه مرتجف الشفتين .

تقدم بسرعة نحو الشاب الذى وجد الجراة على اهانته .

ولكنه ما لبث ان تمهل فى منتصف الطريق ولعله تذكر فجاة مكانة اندريه عند الكونت دى كركاديو . وما يذاع

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

عن نسبته اليه . . فأشفق ان يوقع نفسه فى مأزق دقيق اذا هو انزل به العقوبة التى يستحقها .

خشى اذا قتله ان يثير عليه حنق الكونت . . وهو الان فى اشد الحاجة الى صداقته .

وقف فى مكانه لحظة . ثم نكص على عقبيه . . وتابط ساعد الشيفاليه وابتعد به .

* * *

وعندما خرج صاحب الحانة وبعض رجاله الى المكان الذى جرت فيه المبارزة . . وجدوا اندريه محتضنا صديقه . . وهو يصيح فى اذنه التى احسها الموت :

— فيليب . . فيليب . . تكلم يا فيليب واجبنى الا تسمع صوتى ؟ يا الهى . .

* * *

وكانت نظرة واحدة الى الجسد المسجى كافية لاقناع القوم بانه لا فائدة ترجى من الاستنجاد بطبيب لاسعاف الشاب . او قس ليباركه . فحملوا الجثة الى داخل الحانة . . وتبع اندريه صديقه . . وهو لا يكاد يبصر من خلال الدموع التى تملأ عينيه .

وفى الحانة ركع الشاب بجانب الجثة . وقال يودع صديقه :

— لقد كانت فصاحتك وقوة ايمانك بمبادئك مبعثا لخوفه يا فيليب ولكن نم مطمئنا . . فما كان يخيفه منك سوف يخيفه منى .

كان يخشى ان تحرك الشعب المضطهد الجائع لهدمه وهدم أمثاله . فعمل على قتلك والخلاص منك . . ولكنى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

سأستعير فصاحتك . وسأستعير مبادئك وان كنت لا اومن بها .. وسأسعى للغاية التى كنت تسعى اليها . واسمع هذا القاتل الاثيم صوتك الذى كان يخشاه .. واشعره بأنه لطخ يديه بدمك بغير جدوى .

الفصـــل السادس

الرجل وربيبه

قصد اندريه الى قصر كركاديو للمرة الثانية فى ذلك النهار .

وكان اهل القرية قد سمعوا بنبأ المبارزة ونتيجتها .. وعلموا بدور اندريه فيهـــا .. فراحوا يتبعونه البصر ويتهامســـون .. ولكنه لم يعبأ بنظراتهم وهمســـهم . واسرع الخطى نحو القصر .

• • •

وقابل الرجل ربيبه . وقال له فى اسف :

ـــ لقد اتيانى الشيفاليه دى جابريلان بما حدث .. ومن بواعث الاسف حقا ان يموت صديقك وهو فى ريعان شبابه .

كان فتى ذكيا موهوبا .. وكان يرجى له مســـتقبل عظيم ..

ولكن ما الحيلة .. وتلك ارادة الله .

لقد اثبت المركيز دى لاتور انه رجل شديد الصـــلابة .. لا يلين امام اعتبارات الشرف والكرامة .. ولكن من يدرى .. فربما كان له عذره ! .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فقال اندريه بهدوء عجيب :

ـــ المسألة الان يا سيدى الكونت .. هى ماذا يجب عمله ؟

فنظر اليه الكونت فى دهشة . وقال :

ـــ وماذا يمكن عمله ؟؟ لقد علمت ان الجراة بلغت بصاحبك انه صفع المركيز .

ـــ انه فعل ذلك بعد ان تحداه المركيز واثاره .

ـــ ولـــكن لا تنس ان فلموران هو الذى بدأ باثارة المركيز بلهجته العنيفة وآرائه الثورية .

لقد اسرف الشاب التعس فى القراءة حتى تسمم عقله .. انا شخصيا لا أومن بمحتويات الكتب ... وخاصة كتب اولئك الذين يزعمون انهم فلاسفة مفكرون .. ان كتاباتهم تزعزع طمانينة الانسان .. وتغير وجهة نظره فى الحياة .. وتفسد البساطة التى هى قوام السعادة وراحة البال .

فليكن هذا الحادث المؤلم نذيرا لك يا اندريه . فقد لاحظت عليك بعض دلائل التمرد على نظام المجتمع .. وها انت قد رايت ما ينجم عن مثل هذا التمرد ..

انه آفة الشباب فى هذا العصر .. وقد زين لصاحبك ان ينسى كل شىء .. فنسى امه التى هو وحيدها ورجاؤها .. ونسى نفسه .. ومركزه .. وواجبه نحو امه .. ودفع بنفسه الى التهلكة .

نعم .. كل هذا مؤلم .. اقسم لك انه مؤلم .

فقال اندريه بشىء من المرارة وخيبة الامل :

ـــ ارى يا سيدى انك توجه اللوم كله الى القتيل لا الى القاتل .. فهل افهم من ذلك انك تعطف على مثل هذه الجريمة ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ الجريمة ؟؟ يا الهى .. انسيت يا فتى انك تتكلم من المركيز دى لاتور ؟؟

ـــ اعلم اننى اتكلم عنه .. وعن الجريمة البشعة التى ارتكبها .

فصاح الكونت بحدة :

ـــ صه .. اننى لا اسمح لك بأن تتحدث عنه بمثل هذه اللهجة .. لا اسمح .. هل سمعت ؟ ان المركيز صديقى .. ومن المنتظر ان تربطنا به صلة اوثق من مجرد الصداقة .

ـــ اتسمح بمثل هذه الصلة بعد هذا الذى حدث ؟

ـــ ان ما حدث امر يؤسف له .. ولكنه كذلك امر عادى .. وليست هذه اول مرة يكون فيها الحسام حكما بين رجلين .

ـــ اتعتقد ذلك حقا ؟

ـــ ماذا تعنى يا فتى ؟ هل تعلم عنى اننى اقول غير ما اعتقد ؟ انك توشك ان تغضبنى .

ـــ جميع القوانين والشرائع تحرم القتل .

ـــ يخيل الى انك مصمم على اغضابى .. قلت لك ان الحادث كان مبارزة وليس جريمة قتل .

ـــ اذا تبارز رجلان بغدارتين .. احداهما محشوة . والاخرى فارغة .. فهل تعتبر هذه مبارزة ؟ لقد طلب المركيز الى فلموران ان يلحق به لكى يستأنف الحديث . ولكنه كان مصمما سلفا على ان يثيره ويتحداه . ويرغمه على المبارزة ثم يقتله .

اننى لا ارسل الكلام جزافا يا سيدى . وانما اذكر ما قرره المركيز بنفسه .

* * *

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وكان يتكلم بلهجة جدية لا تترك مجـــالا للشـــك فى صدقه . فاطرق الكونت براسه . ثم هز كتفيه وقال :

ـــ ان البت فى مثل هذه المسالة من اختصاص محكمة الشرف . وليست فى فرنسا محـــاكم شرف لمحاســبة النبلاء .

ـــ ولكن فى فرنسا محاكم عدل .

ـــ وماذا تستطيع محاكم العدل ان تصنع برجل بارز خصمه وفتك به ؟؟

ـــ سابسط الامر لمحافظ مدينة (روان) .. فهو ممثل الملك فى (بريتانى) .. وهو المسئول عن جرائم النبلاء .

ـــ وهل تعتقد انه يصغى الى شكواك ؟ !

ـــ ربما لا يصغى الى شكواى .. ولكن اذا تقـــدمت انت بالشكوى فانه ...

فقاطعه الكونت بأن صاح فى شىء من الذعر :

ـــ انا اتقدم بالشكوى ؟؟

ـــ نعم .. لان الجريمة وقعت فى ارض تملكها .

ـــ انا اتقدم بالشكوى ضد المركيز دى لاتور ؟؟ يخيل الى انك فقدت صوابك . او اصبت بمثل الجنون الذى اصاب صديقك وجعله يتدخل فيما لا يعنيه فلقى حتفه .

ـــ آه .. فهمت ..

ـــ وماذا فهمت بحق الشيطان ؟

ـــ فهمت اننى لا يجب ان اعتمد الا على نفسى .

ـــ وماذا فى نيتك ان تفعل الان ؟

ـــ سانطلق الى (روان) لابسط الامر امام المحافظ .

ـــ ان مدينة (روان) تعج بالثورة فعلا .. بســـبب المبادىء التى كان يبشر بها فلموران وامثاله .. ومحافظ

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

المدينة فى شغل باخماد الثورة .. وان يتسع وقته لمقابلتك .

ـ الى اللقاء اذن يا سيدى الكونت .

ـ الى اين انت ذاهب ؟

ـ الى (روان) .

فهتف الكونت وقد ظهرت على وجهه علامات القلق :

ـ صبرا يا اندريه .. صبرا واصغ الى .. انك ستطلق فى مهمة جنونية قد لا تنتهى بما يسرك . فاترك المسالة عند هذا الحد يا ولدى .. اننى مشفق عليك ان يصيبك اذى .

ـ لقد عاهدت نفسى على الانتقام لصديقى .. واقسمت امام جثته .. ولست ممن يحنثون بايمانهم .

ـ هل افهم من هذا انك مصر على الذهاب ؟ اذهب اذن الى الشيطان .. واذا وقعت فى محظور فلا تطلب الى ان انقذك .

* * *

الفصل السابع

رجل العدل

لم يبالغ الكونت دى كركاديو حين قال لربيبه ان الثورة اشتعلت بمدينة (روان) .

والواقع ان (اندريه) وجد المدينة تغلى كالمرجل حين وصل اليها فى اليوم التالى .

راى الشوارع مزدحمة بجماعات يتحدثون فى حماسة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

عن تطور الموقف السياسى . وعن رفض النبلاء ورجال الاكليروس الاذعان لاوامر الملك . واصرارهم على عقد مجلس (بريتانى) القديم .. الذى يتمتعون فيه باغلبية مطلقة .

ولما وصل الى ميدان (رويال) وجد هناك جموعا غفيرة تصغى الى شاب تدل ثيابه على انه من طلاب العلم وقد وقف هذا الشاب على قاعدة تمثال الملك وراح يخاطب الجمهور بحماسة .. والجمهور يصغى اليه ويقابل كلامه بالتصفيق والهتاف .

لم يتمهل اندريه لسماع ما يقال .. ولكنه سمع من كلام الشاب هذه العبارات :

« لقد وعد الملك بحل المجلس القديم واجراء الانتخابات وعقد مجلس جديد تتمثل فيه ارادة الشعب .

« هؤلاء النبلاء الاوغاد يعصون اوامر الملك . ويتمردون على ارادة الامة . ويريدون ان يجعلوا من انفسهم حكاما مطلقى السيادة على مقاطعة (بريتانى) »

* * *

وكانت هذه العبارات وامثالها مما يؤيد الانباء التى حملها اليه فلموران فى جفريلاك .. ولكنه ارتاح بالاكثر الى مظاهر سخط الجمهور على النبلاء . وامل ان يجد من هذه المظاهر عونا له فى ايقاظ روح الانصاف فى نفس محافظ المدينة .

قصد الى قصر العدالة ــ وهو مقر المحافظ ــ ودخله بقدم ثابتة .. وصعد الى الطابق الاول .. وهناك قضى فى احد الاروقة بعض الوقت حتى جاءه خادم مهذب رضى بان ينبىء المحافظ بان (محاميا من جفريلاك يلتمس

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

التشرف بمقابلته لامر هام) .

وعاد اليه الخادم . وذهب به الى قاعة للانتظار كانت وقتئذ غاصة باصحاب الحاجات .. فقضى اندريه فى تلك القاعة نصف ساعة او اكثر واستخدم هذا الوقت فى التفكير والاستعداد للمقابلة المنتظرة واختيار العبارات التى يستهل بها حديثه .

وقد شعر بعد هذا التفكير بضعف القضية التى جاء يبسطها امام رجل يصطبغ رايه فى القانون والحق بلون البيئة التى يعيش فيها . والمركز الذى يشغله .

واخيرا .. دعاه الخادم .. وسار به فى دهليز طويل . وادخله قاعة فسيحة انيقة بها من الحرير والقطيفة ما يكفى لتاثيث مخدع انيق لاحدى الغانيات ..

ورأى اندريه رجلا انيقا تتالق الاوسمة على صدره . يجلس امام مكتب فخم فى احد اركان الغرفة .

ورفع الرجل راسه عن الاوراق التى امامه .. وصعد اندريه من قمة راسه الى اخمص قدميه . ثم قطب حاجبيه وقال بصوت كالرعد :

ـ لقد فكرت عن نفسك انك محام من جنريلاك .. ولانك تلتمس مقابلتى لامر هام .

وادرك اندريه ان الرجل يريده على ان يعبر عن غرضه باسرع ما يستطيع .. ولكنه ادرك اكثر من ذلك ان جميع مظاهر العظمة التى يحيط بها الرجل نفسه لا تكفى لان تحجب غروره .. وتفاهته .. اللتين تنم عنهما حركاته المصطنعة . وجلسته المتكلفة .. وصوته المدوى .

تقدم اندريه خطوة الى الامام وقال :

ـ انك ممثل الملك هنا فى (بريتانى) .. وباسمه

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

توزع العدالة بين الناس .

وهنا خيل للرجل المتربع على عرشه كأنه اله الحياة والموت .. ان هذا الشاب النحيل الهزيل يتحدث اليه حديث الند للند .

ـــ هل للمهمة التى جئت فيها صلة بهذا التمرد القذر الذى تنبعث رائحته الكريهة من شوارع المدينة ؟

ـــ كلا يا سيدى .

فرفع الرجل حاجبيه وصاح :

ـــ اذن لماذا بحق الشيطان جئت لمضايقتى فى هـــذا الوقت الذى اوجه فيه كل اهتمامى لقمع هـــذا التمرد الفاضح ؟

ـــ ان الموضوع الذى جئت من اجله فاضح كهـــذا التمرد . ولا يقل عنه اهمية .

فهز المحافظ راســه . وقال :

ـــ كان يمكن ارجاءه .

ومد يده ليقرع جرسـا امامه . ولكن اندريه تقـــدم خطوة اخرى وهتف :

ـــ صبرا لحظة يا ســـيدى .. ســـاوضح لك الامر باختصار .

فدهش المحافظ لجراة الشاب وعناده ونظر اليه بحدة ثم سأله :

ـــ ما اسمك ؟

ـــ اسمى اندريه لويس مورو .

ـــ اصغ الى يا اندريه لويس مورو .. اذا اوضحت مهمتك بايجاز فاننى استمع اليك .. ولكنى انذرك بان غضبى سيكون شديدا اذا لم توفق الى اقناعى باهمية المسألة التى حملتك على مضايقتى واضاعة وقتى فى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

هذه الظروف الدقيقة .

فقال اندريه :

ـــ ساحدثك بكل شيء يا سيدى .. واترك لك تقدير اهمية الموضوع ..

ثم راح يسرد عليه كيف قتل (مـــابى) ثم كيف قتل فلموران .. وتعمد ان يكتم اسم المركيز دى لاتور الى النهاية . لشعوره بأن ذكر هذا الاسم قد يمنع المحافظ من الاصغاء الى شكواه .

تكلم اندريه بطلاقة لم يكن يعهدها فى نفســـه .. وبعبارات واضحة جلية .. ونجح ببلاغته . وبساطته فى عرض قضيته عرضا مؤثرا .. اثار اهتمام الرجل . وحرك فى نفسه عاطفة الشفقة .

ساله المحافظ :

ـــ وما اسم الرجل الذى تتهمه بكل هذا ؟

ـــ اسمه المركيز دى لاتور .

* * *

احدث الاسم اثره بسرعة البرق . وتحول اهتمـــام الرجل وعطفه الى غضب وقحة .

صاح :

ـــ من ؟

ولم ينتظر الجواب بل استطرد بصوت كالرعد :

ـــ هذه هى القحة بكل معانيها .. كيف تجد الجراة يا هذا على ان توجه مثل هـــذه الاتهام الى نبيل عظيم كالمركيز دى لاتور ؟ كيف تجد الجراة على ان تصـــفه بانه نذل ؟،

ـــ لقد وصفته بأنه قاتل .. وجئت اطلب الاقتصاص منـــه .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

— جئت تطلب الاقتصاص منه ؟ هذا حسن .. وكيف ذلك ؟

فلم يعبأ اندريه بتهكمه . وقال فى هدوء :

— ذلك متروك لك يا سيدى .

فقال المحافظ ببرود :

— دعنى احذرك يا فتى بأنه ليس من الحكمة فى شىء ان توجه الاتهام جزافا الى احد النبلاء .. فتلك جريمة يعاقب عليها القانون كما تعلم .

والان .. اصغ الى ..

اذا صدقنا ما ذكرته عن (مابى) .. فان الذنب فيما حدث ذنب الحارس الذى اطلق الرصاص . وجريمة هذا الحارس انه بالغ فى حماسته لواجبه . وتلك فى الواقع جريمة لا تستحق الذكر . ومهما يكن من امر فان مؤاخذة هذا الحارس ليست من اختصاص المحافظ . او اية محكمة أخرى غير المحكمة الخاصة التى من حق المركيز دى لاتور وحده ان يأمر بها لمحاكمة المذنبين من خدمه واتباعه فى الاقطاعية التى له وحده مطلق السيادة على مصائر اهلها .

تلك حقائق كان يجدر بك كمحام ان تعرفها .

— وانا كمحام على استعداد لمناقشة هذه النقطة . ولكنى كمحام اعلم كذلك ان توجيه القضية فى هذه الناحية لن يسفر الا عن محاكمة الحارس المتعس الذى لم يفعل اكثر من انه نفذ اوامر سيده .. وانى لا اريد ان يعلق الحارس فى المشنقة التى يجب ان يتدلى منها المركيز دى لاتور .

فضرب المحافظ المكتب بقبضة يده وصاح :

— انت وقح الى ابعد حد يا هذا .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ذلك من سوء حظى يا سيدى .. ولكنى ما قصدت الا الدفاع عن قضية دى فلموران وما جئت الا لاطلب انصافه من قاتله .

فصاح المحافظ بلهجة تذهب بين الغضب والحيرة :

ـــ ولكنك قلت انهما تبارزا ..

ـــ بل قلت ان الجريمة لم يكن لها من معانى المبارزات غير مظهرها . واذا تفضلت بالاصغاء الى اوضحت لك الفارق بين المبارزة وهذه الجريمة .

ـــ اننى مصغ اليك .

ـــ شكرا لك يا سيدى .. فى استطاعتى ان اثبت ان فلموران لم يحمل الحسام قط فى حياته . فى حين يتمتع المركيز دى لاتور بشهرة واسعة كرجل من ابرع رجال السيف . فهل تعتبر مبارزة تلك التى ينفرد فيها احد الخصمين بتقلد الحسام ؟ ! .. ان الفارق بين براعة الرجلين فى حمل السيف معناه ان فلموران كان اعزل ..

ـــ مثل ذلك يصح ان يقال عن جميع المبارزات .. اذ يندر ان يتساوى المتبارزان مهارة وحنكة ..

ـــ ان الفارق فى هذه الحالة كان عظيما جدا .. وقد سبق ان فصل القضاء فى قضية من هذا النوع .

ـــ قضية من هذا النوع ؟؟ ! ومتى كان ذلك ؟

ـــ منذ عشرة اعوام .. فى مقاطعة (دوفينى) .. رجلا يدعى دى جيفر . تحرش بشاب يدعى دى لاروش وارغمه على مبارزته . وقتله . وكان دى لاروش ينتمى الى اسرة قوية . فاهتمت اسرته بالاقتصاص له . وتقدمت الى رجال العدالة بمثل الاسباب التى اتقدم بها اليك الان .. ولعلك تذكر يا سيدى ان القضاة فى تلك الحالة وجدوا ان المبارزة كانت مسبوقة بالاثارة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

.. وان الاثارة كانت متعمـــدة بنية القتل . فاعتبروا دى جيفر قاتلا مع سبق الاصرار . وقضـــوا باعدامه شنقا . فاعدم فعلا .

وهنا انفجر المحافظ صارخا :

ـــ اتقترح علينا يا هذا ان نشنق المركيز دى لاتور ؟

ـــ ولمالا ياسيدى ؟ بذلك يقضى القانون .. وقدبينت لك ان للحادث سابقة ..

ـــ اتسألنى (لم لا) ؟ اتجد الجراة على ان تسألنى ؟

ـــ نعم يا سيدى .. فهل تستطيع ان تجيبنى ؟ اذا لم تستطع اجابتى .. كان لى ان افهم ان العدالة لا تتحرك .. الا اذا وجدت اسرة قوية تحركها .. كاسرة لاروش .. ولكنها تظل هاجعة اذا كان المجنى عليه رجلا مجهولا .. لا قوة له ولا نفوذ .

وهنا شعر المحافظ بانه لن يفوز فى جدل منطقى مع هذا الشاب العنيد . فلجا الى التهديد . وقال متوعدا .

ـــ اننى انصح لك بان تنصرف فى الحـــال .. وان تحمد الله على انك استطعت ان تخرج كما دخلت .

ـــ هل افهم من ذلك يا سيدى انه لن يجرى تحقيق فى القضية .. وان شيئا مما ذكرته لم يحرك فى نفسك روح الانصاف والعدل ؟

ـــ يجب ان تفهم انك اذا بقيت هنا دقيقة اخرى ساء موقفك الى ابعد مما تتصور .

ـــ لقد انبأتك يا سيدى بأن جريمة ارتكبت .. وبأن رجلا قتل . فهل يجب على كذلك ان اذكرك وانت ممثل الملك والعدالة فى هذه المقاطعة بأن الواجب يقضى عليك باجراء تحقيق ؟

اننى اطلب هذا التحقيق بصـــفتى وكيلا عن والدة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الشاب الذى ذهب ضحية الجريمة .

وهنا دق المحافظ الجرس وصاح :

ـــ اتحسب انك تستطيع ارغامنا ايها الثرثار القذر ؟ انني اعجب كيف اوسعت لك صدرى حتى الان .. ولكنى سأقدم لك نصيحة اخيرة ايها المحامى الفذ .. انني انصح لك بان تضبط لسانك الوقح .. والا ندمت على ثرثرتك اشد الندم .

والان اخرج ..

فتردد اندريه لحظة .. ثم شعر بالخادم يقف وراءه . فسار الى الباب . وهناك توقف وقال :

ـــ يا سيدى المحافظ .. هل تسمح لى بان اذكر لك طريفة من طرائف التاريخ الطبيعى ؟ لقد كان النمر فيما مضى سيد الغابات . وظل قرونا عدة مصدرا لفزع الوحوش جميعا .. وبينها الذئب .

ولكن الذئب تبرم آخر الامر بهذه الحالة . فجمع زملاءه حوله . والف منهم عصبة للدفاع عن كيانهم .

ووجدت العصبة انها قوية باتحادها .. فشرعت تطارد النمر .. وكانت النتيجة وبالا على السيد المستبد

الفصل الثامن

العاصفة

خرج اندريه من قصر المحافظ ويمم شطر ميدان (رويال) .

وجد نفسه هناك فى قلب العاصفة .. وقد تضاعف الزحام . وارتفعت صيحات الاستنكار والهتافات

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

العدائية من كل جانب .

خيل اليه ان الموقف قد تغير تغيرا محسوسا .. فمنذ ساعة مر بذلك الميدان فوجد القوم ينصتون فى هدوء الى كلام الطالب الذى كان يخاطب الجمهور من فوق قاعدة التمثال .

اما الان .. فانه لم ير ذلك الطالب .. وخيل اليه ان الجمهور كله يتكلم .. ويخطب .. ورأى بعض الناس يتبادلون الكلمات مع رجال الشرطة الذين بعث بهم المحافظ لصيانة الامن والنظام .

صاح بعض الصائحين :

ـــ الى قصر المحافظ .. الى القصر .. ليسقط القتلة... ليسقط النبلاء ..

وعلم اندريه سبب هذا التطور من عامل كان يقف الى جواره .

قال له العامل :

ـــ كان احد الطلاب يخطب من فوق قاعدة التمثال . فأطلق عليه رجال الشرطة رصاصة اردته قتيلا .. ومنذ ساعتين قتل طالب آخر بالقرب من الكاتدرائية .. قبح الله اولئك الاوغاد .. انهم لايتورعون عن اية جريمة لاسكات الشعب واهدار حريته .

انهم عجزوا عن ارهابنا فشرعوا فى قتلنا

تركه اندريه وراح يشق طريقه وسط تلك الحشود حتى بلغ الى قاعدة التمثال . وهناك راى الطالب الخطيب مسجى على الارض والدم يتدفق من صدره .. وقد احاط به نفر من زملائه وهم جميعا فى حالة يرثى لها من الخوف والجزع .

وانه يتامل جثة الشاب . اذا بصوت يهتف به :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ انت هنا يامورو !

حول راسه . فراى رجلا قصير القامة بدين الجسم يناهز الثلاثين من عمره . ينظر اليه مستنكرا .

كان الرجل هو المحامى شابليه الذى اشتهر فى مدينة (روان) بالبلاغة وقوة الحجة. كما اشتهر بآرائه الثورية المتطرفة .

هتف اندريه :

ـ آه .. أهذا انت ياشابليه !! لماذا لا تتحدث الى الشعب ؟ لماذا لاترشده الى ماينبغى عليه عمله ؟ تبوأ مكانك يارجل .

واشار الى قاعدة التمثال .

ولكن شابليه نظر اليه بحدة .. محاولا ان يجد فى ملامحه شيئا من علامات التهكم والسخرية .

ذلك ان الاختلاف بين آراء الرجلين السياسية كان عظيما . وكان شابليه من ابرز الاعضاء فى المنتدى بمدينة (روان) وهو المنتدى الذى طالما اثار اندريه سخط اعضائه بتهكمه وسخريته. واستنكاره للاراء الثوريةالمستحدثة.

* * *

حسب شابليه ان اندريه يسخر منه فتطلع الى وجهه فاحصا .. ولكنه لم ير فى ملامحه ماينم عن التهكم والسخرية .

بيد انه كان يعلم بالتجربة ان اندريه من اقدر الناس على اخفاء عواطفه .. وافكاره .

قال له :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـ ان آراءنا لاتلتقي في صعيد واحد فهتف أندريه
ـ وهل يمكن ان يكون هناك رايان .
ـ يوجد رايان حيثما نجتمع معا يامورو . والخلاف بيننا يجب ان يكون على أشده الان .. سيما بعد إذ أصبحت عضوا في مجلس (بريتاني) بالنيابة عن الكونت دي كركاديو

أرايت ماذا فعل أصدقاؤك النبلاء يامورو ؟ لا شك انك تقرهم على ما فعلوا ..

ـ اذا لم ترق قاعدة التمثال . وتخطب في الجمهور وترشده الى مايجب ان يفعل . اضطلعت انا بهذه المهمة .

ـ افعل اذا كنت بحاجة الى رصاصة .. انني لامنعك .. اقل ماهنالك ان مصرعك يسوى الحساب الذي بيننا وبين الجانب الاخر .. لقد خسرنا اليوم رجلين .. فما ضر النبلاء لو خسروا رجلا واحدا .

على انه لم يكد يفرغ من كلامه حتى وثب اندريه الى قاعدة التمثال . فذعر شابليه وامسك بقدم الشاب . وقد تبادر الى ذهنه انه يريد ان يخطب مؤيدا موقف النبلاء .

صاح به :

ـ اهبط ايها الاحمق .. والا جلبت على نفسك سخط الجمهور .

ولكن اندريه لم يعبأ به .. واستند الى تمثال الملك وصاح بكل قوته :

ـ ياأهل مدينة (روان) .. ان الوطن في خطر .

واحدثت هذه الكلمات تاثيرها السحري السريع .. فتحولت الانظار الى الخطيب . وتطلعت الى الشاب

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

النحيف ذى الوجه الشاحب . والنظـــرات الملتهبة . والصوت الجهورى .

ووجد اندريه ان عبارته الاولى قد لفتت اليه ذلك البحر الزاخر من الادميين . فاشـــتدت حماســـته . وتضـاعفت جراته .

هتف :

ـــ ان الجريمة البشعة التى وقع عليها بصرى فى هذا المكان قد أطلقت لسانى من عقاله .. فانصتوا الى ..

لقد اسكتت الظلمة الطاغاة ذلك الصوت الفتى الـــذى كان منذ لحظة يعدد المساوىء التى نضج منها جميعا .

اشفقوا من ذلك الصوت .. وفزعوا من كلمة الحق كما تفزع الحشرات القذرة من ضوء النهار فعملوا على اسكاته .. بسفك دماء صاحبه .

وهنا فقط افلت شابليه قدم اندريه . ونظر اليه فى دهشة

اذن فقد كان الفتى جادا لاهازلا

استطرد اندريه :

ـــ ولكن ماذا تنتظرون من القتلة غير جرائم القتل؟؟ هندى قصة سأسردها عليكم . وهى تدلـــكم على أن الحادث الذى شهدتموه اليوم ليس الاول من نوعه حدث بالامس ..

ولكنه لم يتم عبارته . لان صوتا هتف به :

ـــ اهبط من مكانك .

وفى الحال دوى طلق نارى ، واصابت الرصاصة التمثال بالقرب من أذن اندريه

وهاج الجمهور وماج واحاط بالتمثال من كل ناحية . كانما ليرد عن الخطيب عدوان المعتدين . وصـــــاح

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

شابلييه :

ـــ اهبط ياأندريه ، اهبط فى الحال قبل ان يقتلوك

فبسط اندريه ساعديه بحركة مسرحية وصاح :

ـــ دعهم يقتلوننى .. اننى هنا تحت رحمتهم .. فليقتلونى اذا ارادوا . وليضيفوا دمى الى الدماء التي تلطخ أياديهم وضمائرهم

دعهم يقتلوننى ، فالقتل صناعة يحذقونها

ولكن الى ان يسكتوا صوتى .. لن تستطيع اية قوة على الارض ان تمنعنى من فضح مساوئهم

* * *

وكان البعض قد انحدروا على الرجل الذى اطلق الرصاصة . فأراد اندريه ان يستغل الموقف الى أبعد حد وصاح :

ـــ اتركوا الرجل .. اناشدكم ان تتركوه .. اذا زاد القتلة واحدا او نقصوا واحدا فذلك لن يقدم ولن يؤخر .. اتركوه . واصغوا الى .

وما أن ساد الصمت حتى .. راح يسرد قصة (مابى) سردها ببساطة وصراحة .. وتكلم عن ارملة الفلاح واولاده اليتامى بأسلوب اطلق الدموع من المآقى .

ثم تكلم عن (فلموران) . وكان معروفا من الكثيرين فى (روان)

قال :

ـــ تصدى فلموران للدفاع عن حقوق الارملة واطفالها .. فقال له المركيز دى لاتور انه فصيح .. وانفصاحته من النوع الخطر .. ثم قتله ليسكت صوته ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ولكن خاب فأله .. فصوت فلموران لم يسكت .. كان فلموران صديقى .. وانا اتحدث اليكم الآن بصوته وهنا فقط ادرك شابليه سر التحول الذى طرأ على أندريه .

واستطرد الخطيب قائلا :

ـ لم أجىء لاثيركم وأحفزكم للانتقام لفلموران من قاتله . وانما جئت لاقول لكم ماكان يقوله فلموران لو أنه بقى حيا .

ثم تكلم ببلاغة لم يعهدها فى نفسه .

تكلم عن العدالة التى تغمض عينيها عن جرائم النبلاء قال :

ـ انظروا الى تكوين هذه الامة .. ان فيها مليونا من النبلاء .. مليونا من انصاف الالهة الذين يستمتعون بامتيازات لايستمتع بمثلها اربعة وعشرون مليونا من الخلائق الذين يعيشون معهم فى وطن واحد

هؤلاء المليون هم كل فرنسا .. أما الاربعة والعشرون مليونا فانهم لايمثلون الامة .

انهم خلقوا فقط ليكونوا عبيدا لانصاف الالهة .

خلقوا فقط لكى يطأ النبلاء أجسادهم وأرواحهم .. والويل لمن يرفع صوته باسم الانسانية احتجاجا على سيئة من مساوىء انصاف الالهة .

ان من بين النبلاء والعدالة الحقة رجالا من امثال محافظ هذه المدينة . ليست مهمتهم أن يكونوا اداة عدل وانصاف .. بل مهمتهم أن يكونوا حواجز لوقاية الطبقة الممتازة من تبعات آثامها وفجورها .

فهل تعجبون بعد هذا ان يستميت النبلاء فى الدفاع عن امتيازاتهم وأن يرفضوا السماح للغوغاء والدهماء

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

أن يكون لهم فى مجالس الحكم والتشريع ممثلون ينطقون باسمهم ويذودون عن حقوقهم ؟

نعم .. انهم يدافعون عن امتيازاتهم دفاع المستميت ولايتورعون فى ذلك حتى عن التمرد على أوامر الملك

وهنا تذكر اندريه عبارة نطق بها فلموران بالأمس فاستعارها منه قال :

ـــ على انهم بعصيانهم اوامر الملك يزعزعون العرش ويعملون فيه معاول الهدم .. وكانى بهؤلاء المغفلين لايعلمون انهم يدينون بحياتهم وكيانهم لهذا العرش . ولايرون ان العرش اذا انهار كان اقرب الناس اليه هم أول من يهلك تحت انقاضه .

وقد قوبلت هذه العبارة الرنانة بالهتاف وضجيج الاستحسان .. واهتز الجمهور بتاثيرها السحرى كما تهتز أوتار الكمنجة تحت انامل العازف الماهر .

واستطرد اندريه حديثه .. فسرد ماجرى بينه وبين المحافظ . ثم قال :

ـــ وقبل أن انصرف من غرفته سقت اليه انذارا من كتب التاريخ الطبيعى .

قلت له ان النمر كان فيما مضى سيد الغابات .. وأنه ظل طوال عدةقرون مصدرا لفزع الوحوش جميعا وبينها الذئب .

ولكن الذئب ضاق آخر الامر بجبروت النمر وقسوته ، فجمع زملاءه حوله . والف منهم عصبة للدفاع عن كيانهم

ووجدت العصبة انها قوية باتحادها .. فشرعت تطارد النمر حتى فتكت به .

ذكرت له هذه الحكاية . فقال لى انه لايفهمنى . ولكني اعتقد انكم انكى منه .. فهل فهمتمونى ؟

فارتفع الهتاف والتصفيق .. وتحرك القوم كالبحر

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الزاخر وصاح بعضهم :
ـــ الى القصر .. الى القصر .. ليسقط المحافظ .. الموت للمحافظ .
وطفت امواه البحر .. وانحدرت نحو القصر

الفصـــل التاسع

بعد العاصفة

كان اندريه يقترب بجواده من قرية جفريلاك عندما بدات الشمس تنحدر وراء الافق .
كان يعلم ان ذوى الشان فى مدينة (روان) سوف لايتركون حجرا لايقلبونه فى البحث عن المهيج الخطير الذى اثار الجمهور . وحرضه على اقتحام قصر المحافظ ..فاراد ان يقصى عن نفسه شبهة التحريض على الثورة ووجد ان الوسيلة الوحيدة هى ان ينكر الذهاب الى مدينة (روان) .. فقام بحركة التفاف واسعة . وعبر النهر عند قرية (بروز) ثم عبره مرة اخرى عند بلدة (شافان)
ولما اصبح على بعد ميل من قرية (جفريلاك) . لاحظ ان فارسا يقترب منه ببطء .. وكان الفارس متشحا بوشاح اسود فضفاض فلم يتبين اندريه وجهه فى الغسق
مر به الفارس .. ثم اوقف جواده .. وسمع اندريه صوت امرأة تهتف :
ـــ اهذا انت ياأندريه !! ياالهى .. هل عدت اخيرا ؟!
وعرف اندريه صوت هيلين .. ودهش ..
وقبل ان يتمكن من الاجابة .. سمع الفتاة تسأله فى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

قلق :

ـــ اين كنت ؟ .

ـــ تسالينني اين كنت ياهيلين ؟! كنت اهيم على وجهى فقالت بسرعة :

ـــ اننى قضيت النهار كله فى انتظارك ..

ثم استطردت بصوت خافت :

ـــ لقد جاءتنا فى صباح اليوم ثلة من جنود (روان) وبحثت عنك فى القصر .. وفى كل بيت من بيوت القرية. ثم ادركوا اخيرا انك ستمر حتما بحانة (بريتون ارميه) .. فكمنوا لك هناك .. ولكنى اخذت ارقب عودتك لكى احذرك فى الوقت المناسب من الوقوع فى الفخ .

ـــ ماأكرم خلقك ياعزيزتى هيلين .. كم يؤسفنى اننى كنت سببا فى انزعاجك وقلقك ..

ـــ ذلك لااهمية له الان .

ـــ بل الامر بالعكس .. انه اهم جزء فى القصة التى سردتها ..

فسألته فى قلق شديد :

ـــ هل تعلم انهم جاءوا للقبض عليك ؟! انك متهم بالتحريض على الثورة . وقد اصدر محافظ المدينة امرا بالقبض عليك

ـــ التحريض على الثورة ؟

ـــ نعم .. فهم يقولون انك القيت فى الجماهير فى (روان) خطبة مثيرة

ـــ انك مخطئة بغير شك ياعزيزتى هيلين .. هؤلاء الجنود انما جاءوا يشكرونني باسم المحافظ .. لاننى منعت الجماهير من احراق قصره ..

ـــ لااعلم ماذا فعلت الجماهير بالقصر . ولكنى اعلم فقط انك ذكرت عن المحافظ كلاما لن يغفره لك .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

— آه ..
واطرق براسه مفكرا ..
ولكن هيلين كانت قد سبقته الى التفكير والى دراسة الموقف من جميع نواحيه .. وتفتق ذهنها الخصيب عن الخطة التى يجب اتباعها
قالت له :
— لايجب ان تذهب الى جفريلاك .. ترجل الان عن ظهر جوادك . ودعنى أذهب بالجواد الى القصر
— ولكن هذا مستحيل
— مستحيل ؟ ولماذا ؟
— لاسباب كثيرة .. احدها انك لم تفكرى فيما يحدث لك اذا انت فعلت ذلك ؟
— مايحدث لى؟ هل تحسب اننىاموت جزعا منرجال المحافظ ؟ اننى لم لحرض احدا على الثورة
— ولكن مساعدة المحرض على الفرار من وجه العدالة يعتبر اشتراكا فى الجريمة
ذلك نص القانون .
— وماذا يهمنى القانون ؟ ان يد القانون لاتنالنى
— آه .. هذا صحيح .. لقد نسيت .. نسيت انك تستمتعين بالحصانة ضد القوانين .. بفضل امتيازات النبلاء التى حملت عليها فى روان
— احمل عليها كما تشاء .. ولكن عليك الان ان تفيد منها
هلم بالندريه .. ولفعل ماأشرت به عليك .. ترجل عن هذا الجواد ..
ولكنه تردد . فأمسكت بساعده وقالت بصوت يرتجف من التأثر :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ اندريه .. انك لاتدرك خطورة موقفك .. اذا قبض عليك هؤلاء الجنود كان مصيرك الشنق بغير شك الا تفهم ذلك ؟ يجب ألا تذهب الى جفريلاك مهما كانت الظروف . أهجر هذه المنطقة فترة من الوقت . واختف عن الابصار حتى تخمد الثورة التى احدثتها .. وحتى تهدأ غضبة المحافظ .. أو على الاصح .. حتى يتمكن عمى بنفوذه من أن يحصل لك على العفو .

فأجاب اندريه :

ـــ يجب اذن ان اختفى وقتا طويلا .. لان الكونت دى كركاديو يعيش بمعزل عن الناس . وليس له فى بلاط الملك نفوذ يساعده على الحصول على العفو ..

فقالت تذكره :

ـــ ولكن المركيز دى لاتور له فى البلاط نفوذ عظيم

فنظر اليها اندريه فى دهشة ثم ضحك وهتف :

ـــ المركيز دى لاتور .. ولكنى حركت الثورة ضده فى المكان الاول .. اذن أنت لم تبلغك خطبتى بحذافيرها

ـــ بل بلغتنى

ـــ آه .. ومع ذلك تحاولين انقاذ الرجل الذى يسعى للاقتصاص من زوجك المقبل ؟! ام لعل مقتل فيليب المسكين أظهر لك الرجل على حقيقته فعدلت أخيرا عن الاقتران به ..

ـــ ان اقوالك كثيرا ماتنم عن ركود الذهن . وبلادة التفكير .

ـــ ربما .. ولكنى لست من البلادة وركود الذهن بحيث أتصور ان المركيز دى لاتور يجيبك الى ماتقترحين .. ويخطو خطوة واحدة لانقاذى .

ـــ انك مخطىء فى ذلك ايضا .. انا على يقين من انه

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لن يتردد فى مساعدتك اذا طلبت اليه ذلك
فهتف : اذا طلبت اليه ذلك ؟
ـــ طبعا .. فأنا لم أصارحه بعد بموافقتى على الزواج .. وهو يعتقد اننى لازلت افكر فى الامر .. وموقفى له مزاياه .. وفى مقدمة هذه المزايا انه يلزم المركيز بطاعتى على طول الخط
ـــ نعم .. نعم .. لقد فهمت .. فى استطاعتك أن تقولى له « افعل هذا والا رفضت الاقتران بك » اليس كذلك ؟
ـــ نعم
ـــ ولكنك بذلك تضعين نفسك فى موقف دقيق وتكبلين نفسك بقيود يتعذر عليك الفكاك منها .. وسوف يصبح لزاما عليك بعدئذ الا ترفضى الاقتران به
وهل تحسبين اننى أوافق على امر من شأنه ان يغل يديك ويقضى على سعادتك ياهيلين ؟
فهزت رأسها فى ضجر واجابت :
ـــ انك مجنون يااندريه :
ـــ ربما .. ولكنى سعيد بجنونى. ان جنونى يشعرنى بلذة لا يعرفها العقلاء امثالك .. والان الى اللقـــاء ياهيلين .. اننى منطلق الى جفريلاك .
ـــ لايجب أن تذهب يااندريه .. الذهاب الى جفريلاك معناه ضياعك
وبلغ من جزعها انها وقفت بجوادها فى طريقـــه لتمنعه من مواصلة السير ..
وكان الليل قد أرخى سدوله .. فلم ير اندريه علامات القلق التى تعلو وجهها الفاتن
قالت له :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ فكر فى الامر ياندريه . وافعل كما قلت لك .. اننى اسمع حركة مركبة قادمة .. فاسرع .. اذ لايجب ان يرانا أحد معا .

ففكر اندريه بسرعة .

لم يكن من اولئك الاغرار الذين يبحثون عن الشهرة الجوفاء ويدفعون حياتهم ثمنا لها .. كذلك لم تكن لهرغبة فى رؤية المشنقة التى نصبها له محافظ (روان)

قال :

ـــ اصغى الى ياهيلين .. اننى أنزل على ارادتك بشرط واحد

ـــ ماهو ؟

ـــ هو ان تقسمى لى بالا تلجاى الى معونة المركيز دى لاتور لانقاذى من هذه الورطة .

ـــ اننى اوافق مادامت هذه رغبتك . ومادام الوقت لايتسع لمناقشتك واقناعك . والان .. هلم بنا نتوارى فى هذا الحقل حتى تمر المركبة .

وانحدرا الى حقل مجاور ولزما الصمت حتى مرت المركبة . ثم ترجل اندريه . واسلم هيلين قياد جواده

قال لها فى همس :

ـــ اننى عاجز عن شكرك ياهيلين .

ـــ لاضرورة للشكر .

ـــ ولكنى ارجو ان اكافىء صنيعك هذا فى احد الايام

ـــ ولا ضرورة لذلك ايضا .. هذا اقل مايجب أن اصنعه من اجلك . لاننى لااريد ان اسمع عنك انك شنقت .. وهو مالايريده عمى كذلك . رغم انه حانق عليك اشد الحنق .

ـــ كنت اتوقع ذلك .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـ لا يجب أن يدهشك حنقه .. فقد كنت مندوبه وممثله فى مجلس (بريتانى) .. ولكنك ابدلت عقيدتك .. وانضممت الى صفوف الاعداء .. وتحولت من رجل يمثل احد النبلاء .. الى مهيج يدعو الى الثورة ضد النبلاء ..

لقد وصفك بانك خائن .. واقسم الا يتحدث اليك ابدا .. ولكنه مع ذلك لايريدك ان تشنق ياأندريه

ـ ان آراءنا تتفق فى هذه النقطة وحدها على الاقل. لاننى ايضا لااريد ان أشنق .

ـ سأحاول ان أصلح بينكما .. والان الى اللقاء ياأندريه .. اكتب الى متى اصبحت فى مامن من المطاردة.

ومدت اليه يدها . فتناولها . ورفعها الى شفتيه . وقبلها وهو يقول :

ـ بارك الله فيك ياهيلين

ومضت فى سبيلها .. وبقى الفتى فى الحقل ينصت الى وقع سنابك الجوادين حتى ابتعدا . وساد السكون .. فاطرق برأسه . وانحدر فى الطريق التى اقبل منها ولكنه مالبث ان توقف فجأة

تذكر ـ وكان فزعه عظيما حين تذكر ـ انه لايملك نقودا على الاطلاق ..

لم يكن يعرف مكانا فى (بريتانى) يستطيع ان يلجأ اليه .. ثم ان مجرد وجوده فى (بريتانى) ينطوى على خطر ماحق

واذا اراد ان يرحل عن هذه المقاطعة . وجب عليه ان يستأجر جيادا للسفر .. وان يقضى بعض الليالى فى الحانات .. وكل ذلك يتطلب مالا .. وهو لايملك من المال غير دريهمات تكفى لطعامه بضعة أيام.

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لو انه فكر فى ذلك قبلا .. لكان من المحتمل ان تقرضه هيلين بعض المال .. ولكن ماالعمل الان ؟

خطر له ان يلحق بها الى القصر .. ثم وجد انه ليس من الحكمة ان يفعل ذلك .. فقد يراه احد الخدم . فيفتضح امره

كلا .. ليس فى وسعه ان يختار . .ولم يبق له الا ان يواصل السير على قدميه حتى يصل الىقرية(شافان) .. وهناك يبحث عن طعام ومأوى .. ويترك التفكير فى الغد حتى تبزغ شمسه

سار قليلا .. ثم توقف مرة اخرى

كانت (شافان) فى الطريق الى روان . فالذهاب الى هذه القرية معناه الاقتراب من الخطر

من الخير له اذن ان يبتعد نحو الجنوب

كان يعلم عن مكان قريب يوجد به قارب لاجتياز نهر (مو) .. فاذا اجتاز هذا النهر . امكنه اجتناب القرى القريبة

قصد الى حيث يوجد القارب . فراى ضوءا ينبعثمن كوخ الرجل الذى يشرف على تسيير القارب عبر النهر

كلا .. لايجب أن ينبه ذلكالرجل .. ان فياستطاعته ان يسرق القارب ويعبر به النهر دون ان ينبه الرجل الى وجوده .. وبذلك لايكون هناك من يعرف الطريق التى سلكها

اخذ يزحف على يديه وقدميه .. حتى وصل الى القارب .. واراد ان يحركه .. فوجده مشدودا بسلسلة من الحديد

بحث عن طرف السلسلة . وراى انه مثبت بقفل الى وتد مغروز فى الارض .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

مرت على شفتيه ابتسامة مريرة
كان يجب ان يتوقع ذلك .. فالقارب ملك للمركيز دى لاتور . ومن المستحيل الا يشد القارب بالسلاسل خوفا من أن يستخدمه احد الفقراء لعبور النهر دون ان يدفع ضريبة العبور للمركيز صاحب القارب . وصاحب الاراضى التى يمر بها النهر
قصد اندريه الى الكوخ وطرق بابه .. فبرز له رجل يحمل مصباحا . وسقط ضوء المصباح على وجه اندريه .. وهتف الرجل :
ـــ ياالهى ..
وانقلبت سحنة الرجل . فقال له اندريه . وكان يعرفه :
ـــ ارى انك عرفتنى . ولاشك انك تشعر بحاجتى الى الاسراع ..
فأجاب الرجل :
ـــ من حقك ان تسرع .. مادامت المشنقة تنتظرك فى روان .. لقد كان من الحماقة أن تأتى الى (جفريلاك) ولكن لايزال فى استطاعتك ان تعود من حيث أتيت .. ولن اذكر اننى رايتك
ـــ شكرا لك يا (فريزئل) ان نصيحتك تتفق مع وجهة نظرى . ولهذا تراني بحاجة الى القارب لعبور النهر
ـــ آه .. اما هذا فلا .. كل مااستطيع عمله من اجلك هو الا اذكر اننى رايتك .. اما ان اساعدك على الفرار فمعناه هلاكى
ـــ تستطيع ان تنسى انك رايتنى
ـــ سأفعل ذلك ياسيدى .. ولكن هذا كل مااستطيع .. اما ان اساعدك على عبور النهر .. فلا
ـــ اذن اعطنى المفتاح ، فانطلق بالقارب وحدى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ المعنى واحد .. كلا .. لااستطيع .. لااجسرعلى مساعدتك .

فنظر اندريه الى ذلك الوجه المتبلد المطرق الىالارض كان الرجل من عمال المركيز دى لاتور .. ولايستطيع ان يفعل شيئا يتعارض مع ارادة مولاه

قال اندريه بهدوء :

ـــ اصغ الى يافريزنل .. تقول ان المشنقة تنتظرنى فى روان .. وهذا صحيح ولكنلك تجهل اننى وقعت فى هذه الورطة بسبب مقتل (مابى) فلو لم يقتل (مابى) لما رفعت صوتى مستنكرا الجريمة التى اودت بحياته . واعتقد ان (مابى) كان صديقك .. فهلا اعرتنى القارب اكراما له ؟

فلم يحول الرجل عينيه عن الارض واجاب :

ـــ لااجسر .. الا تفهم اننى لااجسر .. اتريد رجلا فقيرا مثلى على ان يفقد حياته بسببك؟! ماذا فعلت من اجلى .. انت او ذووك لكى تطالبنى بهذه التضحية ؟! كلا ياسيدى .. اننى لن اعيرك القارب . فاذهب فى سبيلك .. اذهب قبل ان اتنكر ان مجرد التحدث اليك اصبح جريمة يعاقب عليها .. اذهب .

ودار على عقبيه ليدخل الكوخ .. فاستولى اليأس على قلب اندريه .

ولكنه فكر بسرعة .

يجب ارغام هذا الرجل .. ووسائل الارغام كثيرة ..

أخرج غدارته من جيبه .. والقى بيده على كتف فريزنل فتحول اليه هذا . وقال مغضبا :

ـــ ماذا تريد منى ؟؟ الم اقل لك ان ..

وهنا راى فوهة الغدارة مصوبة بين عينيه . فكف عن الكلام ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

قال اندريه :

ـــ اعطنى مفتاح القفل . هذا كل ماأريده منك الان يافريزنل .. واذا لم تعطنيه طواعية .. اخذته منك بعد ان الهب رأسك .. يسوءنى ان اقتلك ولكنها مسالة حياة او موت .. وطبيعى ان تكون حياتى فى نظرى اثمن من حياتك .

فدس فريزنل يده فى جيبه واخرج مفتاحا قدمه الى اندريه بأصابع ترتجف . وقال بصوت كنباح الكلاب :

ـــ اننى مضطر الى الرضوخ للقوة .. ولكن لاتتوهم انك ستفيد كثيرا من هذا العمل

فتناول اندريه المفتاح وقال :

ـــ اننى اشتم من كلامك رائحة التهديد . ولايبعدمنى انصرفت ان تنطلق للوشاية بى . واطلاق الشرطة فى اثرى .

وهز الغدارة فى يده . فصاح الرجل وقد ازعجته نظرة التهديد التى ارتسمت فى عين محدثه :

ـــ كلا .. كلا .. اقسم لك ياسيدى اننى لاانوى ذلك .

ـــ اظن من الافضل ان اطمئن من ناحيتك .

فهتف الرجل :

ـــ آه .. ياالهى .. رحمة بى ياسيدى .. اننى لا اضمر لك شرا .. لن اذكر كلمة واحدة عن ..

ـــ حسنا .. ساترك لك فرصة .. ربما كان ذلك حماقة منى .. ولكنى لاميل الى سفك الدماء . ادخل الكوخ يافريزيل .. اننى فى اثرك .

فاطاع الرجل .

قال اندريه :

ـــ والان ناولنى حبلا ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وبعد بضع دقائق . كان فريزنل مكمم الفم مشدودا الى مقعد خشبى داخل الكوخ .

قال اندريه وهم يهم بالانصراف :

ـــ والان ، طاب مساؤك يافريزنل ، اعتقد ان احدا لن يحتاج الى قاربك الليلة . ولكن من المؤكد ان بعضهم سيخف الى نجدتك فى الصباح . فتشجع .. واحتمل محنتك بصبر . فأنت الذى جلبتها على نفسك

القســـم الثـانى

الممثل

الفصـــل الأول

كليمين

انحدر اندريه نحو الجنوب بدافع من الغريزة . لابدافع من التفكير . كان متعبا بعد أحداث اليومين الاخيرين . فراح ينتزع قدميه من الارض انتزاعا . لم يكن قد وضع لنفسه خطة معينة . أو حزم أمره على مكان يلجأ اليه كان كل همه أن يبتعد عن جفريلاك بأسرع مايستطيع ومع التعب والاعياء غمره شعور بالاسف والندم . ندم على انه أهان محافظ المدينة فاستحق سخطه .. حين كان فى استطاعته ان يؤدى مهمته دون أن يغضب هذا الرجل الواسع السلطان . ويؤلب عليه أهل المدينة . ولكن سبق السيف العذل . وهاهو يضرب فى الطريق شاردا لايملك غير ثوبه . ويضعة دريهمات .

واصل السير حتى اشرف على قرية (جيشن) . وعندئذ

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فقط تتفس الصعداء . واطمأن الى حد ما .. فقد تجاوز جفريلاك بما يقرب من سبعة أميال .

وكان التعب قد اعياه وهد قواه . فانحدر عن الطريق العام دون ان يشعر . ووجد نفسه يضرب على غيرهدى فى ارض مترامية الاطراف مغطاة بالعشب .

ولاح له على مرمى حجر بناء منخفض أيقن أنه جرن .. فاقترب منه ووجده محاطا بشجيرات العوسج (الشوك) ..

افسح لنفسه بين العوسج طريقا . ودنا من البناء. ووجد أمامه بوابة كبيرة . فوقف أمامها حائرا مفكرا .

كان ذلك الجرن الهادىء المظلم هو افضل ملجأ يستطيع أن يفزع اليه ويتوارى فيه ..

طرق البوابة ولم يسمع جوابا . فدفعها بيده .. ففتحت .

دخل . ووجد نفسه أمام قطعة أرض فسيحة . فى وسطها بناء صغير لايصح أن يوصف بأنه بناء . لانه مجرد سقف ينهض على بضعة اعمده.وقد تكدست تحته كمية كبيرة من القش

نظر انديه الى هذا القش بارتياح . ووجد انه خير فراش يستطيع أن يريح عليه جسده المتعب .

فخلع ثيابه .. وتمدد فوق اكداس القش . وغطى جسمه بقليل منه .

ولم تمض بضع دقائق حتى كان يغط فى النوم .

وعندما استيقظ كانت الشمس تستطع فى كبد السماء.

وقد مرت به بضع دقائق قبل ان يتنبه الى حقيقة موقفه . وتذكر ذلك الجرن وكيف وصل اليه .

وطرق اذنيه لغط لم يتبينه فى البداية .. ولم يلق اليه بالا .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ثم وضح اللغط . وتجلى فى اصوات وعبارات .. فرفع اندريه راسه وارهف اذنيه . وهو مشفق من ان يكون قد وقع فى الفخ وهو نائم .

سمع صوت امرأة تتكلم ..

كان صوتا موسيقيا ترن نبراته رنين الناقوس الفضى .. ولكنه صوت ينم عن الخوف والجزع .

قالت المراة :

ـــ ياالهى .. دعنا نفترق فى الحال يا (ياندر) .. اذا كان القادم هو ابى .. فان ..

فقاطعها صوت رجل يقول فى هدوء :

ـــ كلا .. كلا .. انت مخطئة ياكليمين .. اننى لارى احدا قادما ونحن هنا فى امان .. فلماذا يفزعك اقل صوت او حركة ..

ـــ آه ياياندر .. اخشى ان يفاجئنا معا .. اننى ارتجف لمجرد التفكير فى ذلك ..

اطمأن اندريه

لم يكن بحاجة الى سماع المزيد .. ليعلم انه امام عاشقين بائسين

دفعه الفضول لان يرى بعينيه كما سمع باذنيه ..

فزحف فوق القش .. واشراب بعنقه

رأى فى المنطقة بين الجرن واشجار الموسج شابا وفتاة . كلاهما فى مقتبل العمر

فأما الشاب فوسيم ولكنه يرتدى ثوبا فضفاضا لعله خلعة من أحد النبلاء . وأما الفتاة فذات جمال ساحر . وجسم رشيق موفور الحيوية والشباب

ايقظ صوتها الموسيقى الناعم فى نفسه احساسا عجيبا لم يحس بمثله من قبل .. واستهواه جمالها ولون بشرتها الذى ذكره بالزهرة التى لم تتفتح اكمامها بعد .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ولم يستطع من مكانه ان يتبين لون عينيها .. ولكنه لاحظ ان لها أهدابا طويلة جميلة .

واحس بحزن غريب لم يعرف سببه .. حين راى هذه الفتاة الساحرة بين ذراعى الشاب .

لم يستطع ان يتبين مركزها فى المجتمع . ولكنه لاحظ انها تتحدث باسلوب فتاة راقية .

ارهف اذنيه واصغى ..

قالت الفتاة :

ـــ لن يطمئن لى قلب حتى نتزوج ياليادر .. عندئذ فقط اعتبر نفسى قد تخلصت منه الى الابد .. واصبحت بعيدة عن منالة .

ومع ذلك فاننا اذا تزوجنا بغير رضاه . جلبنا على نفسينا الكثير من المتاعب .. اما موافقته على الزواج .. فاعتقد انها ضرب من المستحيل

وهنا قال اندريه لنفسه ان والد الفتاة لابد ان يكون رجلا عاقلا لانه رفض تزويج ابنته الحسناء من هذا الشاب التافه

قال الشاب :

ـــ من الخطأ ان تستسلمى لليأس ياعزيزتى كليمين . اننى لم اشأ مصارحتك بالخطة التى وضعتها للحصول على موافقة ابيك ورضاه .. وذلك حتى لاافسد عليك جمال المفاجاة ومسراتها .. ولكن كونى مطمئنة وضعى ثقتك فى . وفى صديقى البارع الذى حدثتك عنه والذى اتوقع قدومه بين لحظة واخرى

ـــ هذا كل ما اتمناه يا (لياندر) .. ولكنى اخشى الا تنجح خطتك .. وقد اصبح من المقرر ان اقترن اليوم بالمركيز (شيروفاديللى) وسيحضر المركيز ظهر اليوم لكى يوقع عقد الزواج ولكى يجعل منى المركيزة شيروفاديللى .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ياالهي .. هذا الاسم يلهب شفتى .. ولو كان اسمى لما استطعت ان انطلق به .. أضف الى ذلك ان الرجل مقيت ثقيل الظل كاسمه .

انقذنى ياليأندر .. انقذنى انت املى الوحيد ..

كانت فى صوتها رنة حزن ويأس .. ومع ذلك فقد خيل لاندريه ان هذا الصوت لايخلو من التصنع والافتعال .. وان لهجة الفتاة تفتقر الى الصدق والاخلاص .. وآية ذلك ان كلامها لم يثر عاطفة الاشفاق فى نفسه .

قال اندريه :

— واذن فابوها يريدها على ان تتزوج من مركيز !! آه .. هذا يدل على انها تنتمى الى اسرة نبيلة .

هز ليأندر قبضته فى الهواء وصاح بحدة :

— كلا .. كلا .. هذا الزواج لن يكون .. اقسم لك انه لن يقع .. آه .. هو ذا الصديق الذى انتظره..

ونظر الشاب نحو الباب . فحذا اندريه حذره .. وراى فتى يشق طريقه بين اشجار العوسج . ويقترب من العاشقين .

رفع القادم قبعته باحترام . وقال محدثا ليأندر :

— سيدى ، حان وقت العمل . فقد جاء المركيز .

ولم يكد الفتى يتم عبارته . حتى هتفت الفتاة فجزع:

— ياالهى . وهاهو ابى .

فصاح ليأندر :

— اذن اسرعى بالفرار ياكليمين .

فاجابت بصوت يغص بالدموع :

— لقد فات الاوان ، فات الاوان ، هاهو مقبل

فقال الشاب الاخر الذى جاء اخيرا :

— هدئى من روعك ياآنسة ، وثقى بى .. اعدك بان يتم كل شىء على مايرام

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فهتف لياندر فى يأس :

ـــ قل ماشئت ياصديقى .. لقد ضاع كل شىء .. وانهارت آمالنا . ولن تنقذنا تدابيرك وحيلك من هذه الورطة

ورأى اندريه والد الفتاة وهو يدخل .

كان رجلا بدينا .. منتفخ الاوداج .. يرتدى ثوبا انيقا .

وكانت تبدو عليه علامات الغضب حقا . ولكنه عبر من غضبه بعبارات ادهشت اندريه .

قال :

ـــ انت مغفل بليد ياليائدر .. ان صوتك تنقصه الحيوية انت تتكلم كأنك تقرأ فى كتاب .

هكذا يجب ان تفعل .

وازاح لياندر من موضعه . ووقف مكانه .. وبسط يديه فى يأس .. وقال بصوت مختلج النبرات :

ـــ قل ماشئت ياصديقى .. لقد ضاع كل شىء .. وانهارت آمالنا . ولن تنقذنا تدابيرك وحيلك من هذه الورطة

ثم استطرد وهو ينظر الى لياندر باحتقار :

ـــ هكذا يجب ان تفعل .. يجب أن تكون فى صوتك رنة حزن وأسى وان تنظر الى سكاراموش فى يأس وقنوط .. لا أن تتحدث اليه هكذا .. كأنك تستفسر منه عما اذا كان قد وضع رقعة فى مقعد بنطلونك ..

* * *

عندئذ فقط فهم اندريه حقيقة مارأى .. وادرك انه كان مخدوعا.. فاطلق العنان لشعوره.. وراح يضحك ملء فمه .

وقد دهش القوم عندما سمعوا ضحكته .. وكان

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الرجل البدين اول من افاق من دهشته .. فالتفت إلى ليائدر وقال ساخرا :

ـــ هل سمعت ؟ ان الالهة تضحك ساخرة من تمثيلك

ثم ارسل بصره نحو كومة القش وصاح :

ـــ انت ياهذا .. من انت ؟

فرفع اندريه راسه وقال :

ـــ طاب صباحكم ايها السادة .

وهبط من مكانه . .وسار نحو الجماعة .. وعندئذ راى بجوار كومة القش مالم يكن قد رآه قبلا وهو كامن تحت السقف .. راى ثلاث مركبات كبيرة . وثلاثة جياد .. وحمارين ، وقد جلس بعض الرجال والنساء فى المركبات وراحوا يرقبون الرواية التمثيلية التى شهد اندريه جانبا منها

قال له الرجل البدين الذى كان يقوم بدور والد الفتاة:

ـــ بحق الشيطان ماذا كنت تفعل هناك ؟

فاجابه اندريه :

ـــ كنت افعل ماتفعلون ، واعتدى على املاك الغير كما تعتدون

فنظر الرجل البدين الى زملائه فى دهشة . ثم سأل اندريه :

ـــ ارض من هذه ؟

ـــ اعتقد انها ارض المركيز دى لاتور

ـــ اسم رنان ، هل هذا السيد رجل شديد المراس ؟

ـــ هذا السيد هو الشيطان بعينه ، او على الاصح ، ان الشيطان سيد كريم بالنسبة اليه

فقال الشاب الذى كان يقوم بدور سكاراموش :

ـــ ورغم ذلك فانك لم تتردد فى العدوان على املاكه ودخول اراضيه .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ اتامحام.. والمحامون مشهورون بانهم لايستطيعون احترام القانون .. ثم ان للطبيعة نواميسها واحكامها التى لاتقاوم ، وقد غلبنى النوم ليلة امس ، فلم اعبأ بغضب المركيز دى لاتور وقضيت ليلتى فوق هذا القش

ولكن يجب ان تلاحظ يامسيو سكاراموش .. اننى كنت اكثر منكم حرصا .. لاننى تواريت فى مكان بعيد من الانظار .. اما انتم فتتمرنون على التمثيل جهرة .. وفى وضح النهار .. وتحت انظار الرائح والغادى .

فقال له الرجل البدين :

ـــ اشكر لك ياسيدى انك حذرتنا فى الوقت المناسب

ـــ ارجو ان تكون لهذا التحذير قيمته .. وان تسارع مع رفاقك الى الجلاء عن هذا المكان .. فحراس المركيز مزودون بأوامر صريحة بان يطلقوا الرصاص على كل من يجتاز ارض مولاهم

وحانت من اندريه التفاتة وهو يتكلم .. فرا ى احد الممثلين يغتسل من وعاء كبير بالقرب من احدى المركبات .. فقال محدثا الرجل البدين وقد شعر بانه رئيس الفرقة :

ـــ هل لى ان اتطفل عليك فأرجوك ان تسمح لى بالاغتسال بمائك قبل ان ارحل ؟

ـــ طبعا .. طبعا ..

وصاح بالممثل الذى كان يغتسل :

ـــ رودمون .. رودمون ..

ـــ نعم يامسيو بينيه ..

واقبل رودمون مسرعا . فأمره بينيه بأن يضع وعاء الماء تحت تصرف اندريه

وغسل اندريه راسه ووجهه .. ووقف يمشط شعره وانه يفعل ذلك .. اذ به يرى ثلة من الجنود تقترب

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

من أشجار العوسج .
جمد فى مكانه .
لم يكن عنده شك فى نوع المهمة التى ساقت الجنود الى ذلك المكان وخيل اليه انه يرى المشنقة منصوبة امامه .
واوقف الجنود جيادهم . وصاح كبيرهم :
— ماهذا بحق الشيطان . ماذا تفعلون هنا ؟
وتحدث كبير الشرطة مع أعوانه قليلا . ثم تقدم وهو يصيح :
— من الذى سمح لكم بالاقامة هنا .
فصاح مسيو بينيه ردا على هذا السؤال :
— من الذى سمح لنا ؟؟ هذه ارض عامة لكل انسان خرية الوقوف فيها .
فضحك الشرطى ساخرا . واقترب بجواده .
وهنا قال اندريه محدثا بينيه بصوت خافت :
— دعه لى .. اننى أعرف كيف اخرجك من هذا المازق .
ولم ينتظر موافقة بينيه . بل تقدم الى الامام لمقابلة الشرطى .
كان يشعر بأن الجراة وحدها هى التى تنقذه .
نظر الى الشرطى . وابتسم له . وفى نيته ان يتحدث اليه فى لطف . وبلهجة الصداقة .
ولكن الشرطى كشر عن انيابه وصاح فى غلظة :
— هل انت زعيم هذه الطغمة من المتشردين ؟
— نعم . او بمعنى أصح .. ان أبى هو رئيس الفرقة .. هاهو أبى
واوما باصبعه نحو بينيه . وكان هذا فى شغل باصدار بعض الاوامر فلم يسمع الحديث .
قال اندريه :.

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ماهى رغبتك ياسيدى الكابتن ؟!
فقال بصوت مرتفع مزعج :
ـــ رغبتى ان انبئك بأنكم جميعا قد تسجنون لوجودكم فى هذا المكان .
وسمع افراد الفرقة هذا التهديد ونظروا الى بعضهم البعض فى جزع .
كان حال الفرقة سيئا بطبيعته من دون أن يسجن افرادها
اجاب اندريه :
ـــ ولكن هذه ارض عامة ياسيدى الكابتن . واعتقد ان لكل انسان حرية المرور فيها .
ـــ كلا ..
ـــ اذن اين الاسوار التى تحيط بها لمنع الناس من اجتيازها ؟!
ـــ اسوار ؟ وما شأن الاسوار هنا . هذه الارض ملك للمركيز دى لاتور . وهو يتقاضى ضريبة عن العشب الذى يؤكل .
ـــ ولكننا لم نأكل العشب ياسيدى .
ـــ لم اقل انك تأكل العشب ايها المغفل. هاهى جيادكم وحميركم تلتهمه .
ـــ انها لاتأكل الا قليلا .
ـــ هذه ليست المسألة . المسألة ان وجودكم هنا يعتبر عدوانا على املاك الغير . والقانون يعاقب على هذا العدوان بالسجن .
فتنهد اندريه وقال :
ـــ اعتقد انك على حق .. ولكن عذرنا اننا ارتكبنا هذا العدوان عن غير قصد
نحن نشكر لك انك حذرتنا . .ويؤسفنا اننا ارغمناكم

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

على ان تحيدوا عن طريقكم .
ثم اخرج من جيبه قطعة ذهبية دسها فى يد الشرطى واستطرد :
ـــ ولقاء هذا الازعاج .. ارجو ان تعرجوا على اول حانة تصادفكم وان تشربوا هناك نخب . نخب صحة المركيز دى لاتور .. او نخب اى انسان آخر تحبونه .
فانبسطت اسارير الرجل قليلا وقال :
ـــ ولكن يجب ان ترحلوا فى الحال .. هل فهمت ؟
ـــ سنرحل خلال نصف ساعة
ـــ ولماذا نصف ساعة ؟ لماذا لاترحلون فى الحال ؟
ـــ يجب ان نتناول طعام الافطار اولا ..
فنظر الشرطى الى قطعة النقود ودسها بجيبه وهو يقول :
ـــ مهما يكن من امر فليس من شأننا صيانة املاك المركيز دى لاتور .
نحن من شرطة مدينة (رين) .
وهنا اهتزت اهداب اندريه بسرعة .. ولكنه تماسك وضبط نفسه
استطرد الشرطى :
ـــ والان .. طاب يومك ياسيدى .
ـــ اتمنى لك رحلة سعيدة ياكابتن .
ولكز الشرطى جواده .. وعاد الى رفاقه .
ولكنه لم يكد يصل اليهم حتى تحول شطر اندريه مرة اخرى وهتف :
ـــ سيدى .
فخف اليه اندريه .
قال له الشرطى :
ـــ نحن نبحث عن شقى من اهل جفريلاك يدعى اندريه

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لويس مورو . هذا الرجل هارب من وجه العدالة ويراد القاء القبض عليه . واعدامه شنقا . لارتكابه جريمة التحريض على الثورة . فهل لم تصادفوا فى طريقكم شخصا تدعو حركاته الى الريبة ؟

فاطرق اندريه برأسه قليلا . ثم هتف بجسارة :

ـــ نعم .. نعم . لقد صادفنا رجلا اثار ريبتنا .

فهتف الشرطى :

ـــ احقا تقول ؟ متى كان ذلك .. واين ؟

ـــ ليلة امس . بالقرب من قرية (جينين) .

ـــ نعم . نعم .

ـــ قابلنا هناك رجلا فى نحو الخمسين من عمره .

فقاطعه الشرطى بلهجة تنم عن خيبة الامل :

ـــ فى نحو الخمسين من عمره ؟! كلا . ان الشخص الذى نبحث عنه فى مثل سنك . وهو نحيف الجسم . مثلك تماما . وقامته فى طول قامتك وشعره اسود واوصافه كاوصافك تماما . فراقبه فى تنقلاتك ياسيدى الممثل . لقد انبانا محافظ (رين) فى صباح اليوم بانه يدفع عشرة جنيهات مكافأة لمن يرشد الى هذا الشقى او يدلى الى الشرطة بمعلومات تؤدى الى اعتقاله .

فقال اندريه :

ـــ هذه فى الحق مكافأة قيمة .. سوف اكون احرص الناس على الفوز بها ..

وضحك ضحكة خافتة ..لم يسمعها الشرطى .. لانه كان قد ابتعد بجواده .

وعاد اندريه الى جماعة الممثلين .. وهو يسير الهوينا ورأسه مطرق الى الارض . فخف مسيو بينيه لاستقباله وهو يقول :

ـــ انك انقذتنا من متاعب نحن فى غنى عنها .. فشكرا

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لك ياسيدى .. أنت فى الحق ساحر عظيم
ـــ ان الفضل لصورة ملك فرنسا .. فالشعب الفرنسى يحب صورة الملك اكثر مما يحب الملك نفسه .. ولاسيما اذا كانت هذه الصورة منقوشة على الذهب
وقد رأى الشرطى صورة مليكه على قطعة من الذهب فانفثأ غضبه فى الحال . ومضى فى سبيله .. وتركنا لكى نرحل فى سلام
ـــ نعم .. يجب ان نرحل فى الحال .. هلموا بنا ايها الرفاق
ـــ كلا .. لاترحلوا فى الحال .. لقد امهلكم الشرطى المخلص نصف ساعة اخرى لتتناولوا طعام الافطار .. فكلوا واشربوا هنيئا .. اننى اشم رائحة الطعام الذى تطهونه فى المركبة .. ولاحاجة بى لان اتمنى لكم اشهى منه
فقال بينيه وهو يحيطه بساعده :
ـــ يجب ان تتناول الطعام معنا ايها الصديق
فاجا بأندريه :
ـــ الواقع اننى كنت اتمنى ان توجه الى مثل هذه الدعوة

الفصل الثانى

الممثلون

تناول اندريه طعامه مع الممثلين وراح يصغى الى احاديثهم
كانت جماعة عجيبة يحاول افرادها ان يخلقوا من بؤسهم سعادة ومن شقائهم نعيما .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

كان فى احاديثهم وحركاتهم شىء كثير من التصنع .. ولكنه تصنع ظريف مقبول

وقد خيل لاندريه انهم يعيشون فى عالم خاص .. وان الزمالة اوجدت بينهم الفة فريدة .. لامثيل لها فى المجتمع العادى الصاخب .. الذى يغلى بالاحقاد والاطماع

كان عددهم احد عشر شخصا بينهم ثلاث نساء . وكانوا ينادون بعضهم بعضا بالاسماء الذين اشتهروا بها على خشبة المسرح

قال له بينيه :

ـــ انك لن تجد بين الممثلين من له مثل حرصنا على التقاليد المسرحية الصميمة .. كذلك نحن نختلف عن سوانا بان كلا منا لايمثل الا الدور الذى خلق له . والشخصية التى يهيئه لها تكوينه الطبيعى .. ونحن لانتعب اذهاننا بحفظ العبارات حرفيا .. بل نتوفر على دراسة ادوارنا .. ونتصرف فى الالفاظ .. بمعنى انه يجوز لك ان تعتبر كلامنا يؤلف دوره لنفسه

فقال اندريه :

ـــ لقد لاحظت ذلك عندما شهدت تمثيلكم هـــذا الصباح ..

ـــ ان التجربة التى قمنا بها صباح اليوم كان الغرض منها تدريب (لياندر) على القيام بدور العاشق . لانه حديث عهد بهذه المهنة

وبهذه المناسبة .. دعنى اقدم اليك اعضاء الفرقة .. فهذا الزميل هو رودمون .. وقد رشحه صوته الجهير وبراعته فى احداث الشغب لتمثيل ادوار القادة والضباط

وهذا هو سكاراموش .. وقد برع فى القيام بدور المهرج . والواقع انه مداعب خبيث .. ولكنه بصفة عامة دمث الخلق طيب القلب .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

اما هذا الشرير ذو الانف الاقنى فهو (بيرو) . وقد تفرد بالقيام بادوار الاشقياء .

فقال (بيرو) :

ـــ ولكنى احذق ادوار العشاق اكثر مما احذق ادوار الاشقياء .

ـــ هذا الوهم سيودى بك ايها التعس .. انك خلقت لان تكون شقيا ..

اما هذا الزميل (هيبوليت) فهو يمثل اللص الاثيم . الذى غرق فى الخطايا الى اذنيه .

ثم هناك (هرلكان) .. وهو يقوم بدور الرجل النبيل .. او بدور المهرج السمج .

اما (باسكاريل) هذا .. فيقوم بدور الصيدلى او الطاهى او الخادم .. او مسجل العقود .. فهو يحذق اى دور يسند اليه ..

واما انا فاقوم بدور الاب .. او الزوج المغفل .. او الطبيب الساذج .

ولننتقل الان الى السيدات .. فهذه المخلوقةالكريمة (واشار باصبعه الى امراة قصيرة القامة بدينة الجسم تناهز الخمسين من عمرها) فهى (فلورا) التى تصنع طعام الفرقة وتقوم بدور الام او الوصيفة او الممرضة.

وهذه الفتاة ذات الفم الواسع هى كولومبين.. التى تقوم بجميع الادوار التى تسند اليها .

اما هذه فهى (كليمين) ابنتى.وتقوم عادة بدورالعاشقة ببراعة لامثيل لها خارج (الكوميدى فرانسيز) .. وقد بلغ من فساد ذوقها انها تطمع فى ان تصبح فى احد الايام الممثلة الاولى بمسرح الكوميدى فرانسيز ..

فضحكت كليمين الحسناء .. وقالت وهى تنظر فى عينى اندريه :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ لاتصدقه ياسيدى .. اننى ملكة هنا .. وانا اوثر ان اكون ملكة هنا .. على ان اكون عبدة فى باريس .

فاجاب اندريه :

انك تكونين ملكة حيثما يطيب لك ان تتملكى .

فاحمرت وجنتاها . .واهتزت اهدابها بسرعه .

اما ابوها فصفق بيديه مستحسنا وقال :

ـــ هل سمعت يا (لياندر) .. هذه هى العبارات التى ينبغى عليك ان تحفظها .. لتجيد القيام بدور العاشق

وتناول الحديث بعد ذلك مسائل عامة . وفهم اندريه مما سمع ان القوم ينوون الارتحال الى مدينة (جيشـــن) لتمثيل بعض مسرحياتهم هناك ..

قال هبوليت :

ـــ ان غياب (فليسيان) سوف يوقعنا فى حيص بيص.

فاجاب هرلكان :

ـــليس ايسر من العثور بمن يحل محله .

فقال بينيه :

ـــ اين نجد بديلا له فى هذه المناطق القروية .. وبين هؤلاء الفلاحين الاغبياء .

والتفت الى أندريه وقال :

ـــ لقد كان فيليسيان يضطلع بكثير من الاعمال .. كان يعد الملابس . ويشتغل بالتجارة .. ويبيع التذاكر ويمثل فى بعض الاحيان

ثم نظر الى ساعته وقال :

ـــ لقد انقضت ساعة منذ مر بنا رجال الشرطة

هلموا ايها الاصدقاء .. استعدوا للرحيل .. الى المركبات ايتها السيدات .. وانتم ايها السادة ..ليشرع كل منكم فى عمله .. يجب ان نرحل من هنا قبل انقضاء عشرين دقيقة . لكى نصل الى (جيشـن) حول الظهر

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فاطاعوا .. ومن ثم بدات فى المكان حـــركة سريعة نشيطة استعدادا لاستئناف السير .

ومد بينيه يده الى اندريه قائلا :

ـــ يجب ان نفترق هنا ياسيدى .. لقد كسبناصداقتك .. ونحن مدينون لك بالكثير .

فتناول اندريه يده . وشد عليها

كان يفكر بسرعة

تذكر السهولة التى تخلص بها من مطارديه .. بفضل انتمائه الى هذه الجماعة .. ورأى انه لن يجد فى الوقت الحاضر وسيلة للاختفاء اسلم ولا اضمن من ملازمة هؤلاء الممثلين .

اجاب :

ـــ اننى المدين لكم بالدقائق السعيدة التى قضيتها معكم .. فالانسان لايقابل كل يوم جماعة كريمة عظيمة كجماعتكم .. وانا افترق عنكم الان كارها .. ولا سيما لاننى لااجد ضرورة لهذا الفراق

ـــ ماذا تعنى ؟

ـــ اعنى اننى فى الوقت الحاضر رجل يضرب فى الارض على غير هدى باحثا عن المغامرات .. دون أن يكون له فى الحياة غرض معين وقد حبب الى هذا اللقاء القصير أن اوثق صلتى بكم .. ولما كانت رغبتك منصرفة الى البحث عن بديل للمسيو فيليسيان ..

فقاطعه بينيه :

ـــ هل تجيد عملا من اعمال المسرح ؟!

ـــ اعتقد اننى رجل موهوب .. وان فى استطاعتك استغلال مواهبى .

ـــ وكيف ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ فى استطاعتى مثلا أن أعلم (الياندر) كيف يمثل دور العاشق .

فضحك بينيه وقال :

ـــ أرى أنك لاتفتقر الى الثقة فى مقدرتك ومواهبك .

ـــ ان الثقة بالنفس هى أول الصـــفات الضرورية للممثل .

ـــ هل فى استطاعتك أن تمثل ؟

ـــ أظن ذلك .

ـــ هل تعرف شيئا عن المسرح ؟!

ـــ لقد قرات مسرحيات بومارشيه واجلانتين ومرسييه وشنييه وغيرهم من المعاصرين . وقرأت كذلك مؤلفات موليير وراسين وكوربى

أولئـــك عدا المؤلفين الاجانب وفى مقـــدمتهم جوتزى وجولداني وجواريني وتاسو وفيديني و ..

ـــ كفى .. كفى ..

ـــ اننى لم اسرد القائمة كلها

ـــ دع الباقى ليوم آخر .. ولكن بحق السماء . ماذا هملك على قراءة مؤلفات كل هؤلاء الكتاب المسرحيين؟

ـــ اننى من هواة علم النفس .. وقد اكتشفت منذ بضعةاعوام ان افضل وسيلةللالمام بطبائع البشر..هى التوفر على دراسة الشخصيات المسرحية

فأجاب بينيه بلهجة جدية :

ـــ هذه فى الحق فكرة مجيدة لم تخطر لى فى بال من قبل .. اصغ الى ياسيدى .. انك رجل مثقف .. وقد لاحظت ذلك منذ وقع بصرى عليك .. فاخبرني.. هل تستطيع مساعدتى فى وضع بعض المسرحيات ؟ اننىمثقل بالواجبات والالتزامات.. ومشاغلى فى ادارة العمل كثيرة .. فهل تستطيع معاونتى ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ انا واثق اننى استطيع .
ـــ لاريب عندى فى ذلك .. اما اعمال فيليسيان .. ففى مقدورك ان تتمرن عليها بسهولة .. تعال معنا إذا شئت .. انت تريد مرتبا بغير شك ؟ ماقولك فى أربعة جنيهات شهريا ؟
ـــ انها لاتجعلنى اغنى من قارون
ـــ ساحاول فى المستقبل ان انقدك خمسة جنيهات .. اما الان فان احوالنا المالية ليست على مايرام .
ـــ سوف اعمل على اصلاحها .
ـــ اتفقنا اذن .

الفصـــل الثـالث

حـــوار

دخل القوم بلدة (جيشن) دخول الظافرين .. فطافوا شوارعها بمركباتهم وثيابهم الملونة . وابواقهم .. وكان اندريه فى مؤخرة الموكب . وقد ركب حمارا .. وشو وجهه بأنف كبير مستعار ..
ولما انتهى الطواف بالمدينة والاعلان عن الفرقة .. بدا القوم ينصبون المسرح فى مكان فسيح وسط البلدة ..وكان عمل اندريه فى اقامة المسرح من اشق ماإضطلع به فى حياته .
ثم وقف (هيبوليت) بباب المسرح وراح يعلن بصـــوت جهير أن فرقة (بينيه) الشهيرة ستمثل رواية (الاب القاسى) ..
ولما فرغ اندريه من اعمال النجارة واعداد مناظـــر الرواية .. انطلق مع اعضاء الفرقة لتناول الطعام فى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الحانة التى قرروا قضاء ليلتهم فيها .
وتقابل اندريه مع كليمين مصادفة فى احد دهاليز الحانة . فابتسمت له وسالته :
ـ كيف وجدت عملك ؟
فنظر فى عينيها الساحرتين واجاب :
ـ انه شاق .. ولكن له جزاؤه ..
قال ذلك بهدوء وبرود.. حتى ظنت الفتاة انه لايقصد الى المعنى الذى توهمته .
قطبت حاجبيها وسالت :
ـ أتطلب .. اتطلب الجزاء بمثل هذه السرعة ؟
ـ ان الجزاء هو الذى شجعنى على العمل منذ البداية .
فقالت متظاهرة بالسذاجة :
ـ وماهو هذا الجزاء ؟
فشعر بقدمه توشك أن تنزلق . وضبط نفسه فى الوقت المناسب . واجاب :
ـ اربعة جنيهات شهريا .
فعضت كليمين شفتها ..
كانت تتوقع أن يجيبها بن الجزاء الذى يطمع فيه هو نظرة من عينيها .. أو ابتسامة من شفتيها ..
على أنها كانت بدورها سريعة الخاطر .. فقالت دون ان يظهر على وجهها شيء من علامات الحيرة :
ـ اربعة جنيهات شهريا .. عدا الفراش والطعام .. هلم بنا لنتناول الطعام .
فسألها فى شيء من الحيرة :
ـ الم تتناولى طعامك بعد ؟
فاجابت بقلة اكتراث :
ـ كلا .. كنت أنتظر ؟ ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فسأل :
ـــ تنتظرين ماذا ؟
وخفق قلبه .
ولكنها اجابت :
ـــ كنت انتظر .. حتى افرغ من استبدال ثيابى .
وارتسمت على شفتيها ابتسامة
وهنا عض اندريه شفته بدوره .
كان يتوقع ان تجيبه بانها كانت تنتظره .
وسارا معا الى قاعة الطعام .. حيث سبقهما سائر اعضاء الفرقة .
وجلس اندريه الى مائدة بالقرب من (بينيه) وشرع يلتهم طعامه الردىء .
سأله بينيه فجاة :
ـــ هل لك اسم ؟
ـــ اظن ذلك .. اسمى (باريسموس)
ـــ اسم عجيب ..
ـــ انه احب الى من مهنة النجارة

* * *

ورث اندريه عن سلفه (فيليسيان) مهمة الجلوس بالباب لتحصيل ثمن التذاكر . وقد قام بهذه المهمة مرتدين ثوب المهرج .. وهو ثوب قضت المصلحة المشتركة بارتدائه .. فقد اراد بينيه ان يأمن على امواله بتجريد اندريه من ثيابه .. واراد اندريه ان يخفى حقيقة أمره وراء ثوب المهرج .. وهكذا تلاقت مصلحة الطرفين . دون ان يصرح أحدهما بغرضه الحقيقى .
مثلت الفرقة رواية (الاب القلسى) وهى رواية فاترة . كان الاقبال عليها ضئيلا .. فلم يزد عدد النظارة عن سبعة وعشرين شخصا . وكان ايراد الحفلة لا يكاد

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

يكفى لايواء افراد الفرقة ليلة واحدة
لذلك لم يكن عجيبا ان تستحيل بشاشة بينيه الىتجهم
قال وهم فى طريقهم الى الحانة :
ـــ مارايك فى هذه النتيجة ياباريسموس ؟
فاجاب اندريه :
ـــ رايى انه كان من المحتمل ان تكون اسوأ .
فتمهل بينيه فى مشيته وقال :
ـــ انك تتكلم فى صراحة .
ـــ ان الصراحة لاتسر المغفلين .
ـــ ولكنى لست مغفلا .
ولهذا صارحتك .
فصمت بينيه قليلا . ثم قال بصوت مرتفع . موجها الكلام الى رفاقه:
ـــ من راى زميلنا الجديد مسيو باريسموس . ان النتيجة كان يمكن ان تكون اسوأ
فقال هيبوليت :
ـــ هذا امر يؤسف له . لقد خيل الى ان راى النظارة فى الرواية كان متشابها .
فهتف ليباندر :
ـــ من اى نظارة تتكلم ؟ لقد كانوا قبضة من الاغبياء الذين لايفقهون شيئا .
فقال هارلكان :
ـــ انت مخطىء ياصاح . انك ولدت لتقوم بدور العاشق لالتنتقد
فقال ليباندر محنقا :
ـــ وانت لماذا ولدت ؟!
فاجاب هارلكان فى صراحة :
ـــ لاأحد يعلم .. اكثر الناس لايعلمون لماذا ولدوا

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فقال بينيه :
ـــ ولكن لماذا رميت ليباندر بالخطأ .
ـــ أولا لانه يخطىء دائما . وثانيا لانه يخيل الى ان مستوى اهل (جيشن) الثقافى اعلى من مستوى رواية (الاب القاسى)
فقال اندريه . الذ ىكان سببا فى هذا الحوار :
ـــ بل من الاصوب ان تقول ان رواية (الاب القاسى) هى دون ثقافة اهل جيشن .
فسأل ليباندر :
ـــ وما هو الفارق ؟!
ـــ لم اقل ان هناك فارقا .. بل قلت ان من الاصوب ان يقال ذلك
فسئال هارلكان :
ـــ ولماذا اصوب ؟!
ـــ لان وضع (الاب القاسى) أمام اهل جيشن . ايسر من وضع اهل (جيشن) امام (الا ب القاسى) ..
ففرك هارلكان راسه وقال :
ـــ دعنى افكر فى هذه المعضلة
وساد الصمت لحظة . ثم قالت كليمين بلهجة السخرية:
ـــ هل من رايك تعديل الرواية يامسيو باريسموس ؟
ـــ اننى انصح بتعديلها .
فهتف بينيه متهكما :
ـــ وكيف ذلك ؟! .. اصمتوا جميعا ايها السادة .. وانصتوا الى مسيو باريسموس
فراح أندريه ينقل البصر بين الاب وابنته . ثم ابتسم وقال :
ـــ اننى الان بين المطرقة والسندان . وساكون سعيدا اذا استطعت النجاة بحياتى ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

تسألوننى كيف يمكن تعديل الرواية ؟! الامر بسيط .. اذ ليس ايسر من الرجوع الى اصلها

فصاح بينيه .. مؤلف الرواية :

ـــ الرجوع الى اصلها !!

ـــ ان اسمها الحقيقى (مسيو بيرسو) .. ومؤلفها هو موليير

فانتفخت اوداج بينيه . ونظر الى اندريه نظرة منكرة وصاح :

ـــ هل بلغت بك الجراة ان تتهمنى بسرقة آراء موليير ؟

ـــ لاتنسى ان آراء العظماء كثيرا ماتتشابه .

فارتاح بينيه الى هذا الاطراء . ولكنه اراد ان يقطع الشك باليقين فسأل :

ـــ اذن انت لاتعنى اننى سرقت روايتى من مؤلفات موليير ؟

ـــ اننى انصح لك بان تفعل ذلك .

ـــ تنصح لى بان افعل ذلك ؟ تنصح لى ـــ انا انطوان بينيه ـــ بان انقلب لصا بعد ان بلغت هذه السن ؟

وهنا صبت كليمين البترول على النار بقولها :

ـــ هذه قحة .

فهتف بينيه :

ـــ نعم .. هذه هى القحة بكل معانيها .. اتاكل على مائدتى وتنتمى الى فرقتى . ثم تجد الجراة على ان تنصح لى بان اصبح لصا .. ولصا من اسوأ طراز .. لصا يسرق آراء الاخرين وعصارة اذهانهم ؟

لقد خاب رجائى فيك ياسيدى .

ـــ انك تهين الموتى .

ـــ ماذا ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ أقول انك تهين موليير العظيم .. باستنكارك عملا لم يكن هو يتردد فى الاقدام عليه .

هل تتوهم أن جميع الروايات التى كتبها كانت جديدة ولم يسبق نشرها ؟ وان جميع الاراء التى اوردها فى مؤلفاته كانت من بنات افكاره ؟ .

كلا ياسيدى .. انك تعرف الحقيقة . ولكنك تتجاهلها .. او تتناساها .. وارانى بحاجة الى تذكيرك بها .

لقد اقتبس موليير مؤلفاته عن بعض الكتاب الايطاليين . . وهؤلاء اقتبسوها بدورهم لا ادرى عمن . وكل مافعله موليير انه راح يسرد القصص القديمة بأسلوب جديد .. وذلك ماانصح لك بفعله

وهكذا عرف اندريه بلباقته كيف يجعل الابيض اسود . وكيف يرضى غرور بينيه وصلفه

وتنفس بينيه الصعداء .. فقد وضع اندريه بين يديه السلاح الذى يستطيع ان يدافع به عن نفسه اذا اتهم بالسرقة فى المستقبل

قال فى هدوء :

ـــ اذن من رأيك انه يمكن تقوية (الاب القاسى) وتحسينها بالاقتباس من (مسيو بيرسو) ؟

ـــ نعم .. بشرط ان تقتبس بحكمة وبراعة .. لان هذا العصر يختلف عن عصر موليير

وكانت نتيجة هذا الحوار .. ان اختلى بينيه بأندريه فى اليومين التاليين ، فقلبا رواية الاب القاسى راسا على عقب ، واختار لها اندريه اسما جديدا هو (سكاراموش)

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصـــل الرابـع

نهاية باريسموس

لم يكن شك فى ان اسم (سكاراموش) أوقع من (الاب الناسى) بدليل الجموع التى احتشدت فى المسرح . ولم يكن شك فى ان التعديلات التى احدثها اندريه . قدخلقت الرواية خلقا جديدا .. بدليل هذا الضحك المتواصل . وهذا التصفيق الحاد . وهذه الهتافات المتوالية

نجحت الرواية اذن . ونجحت الفرقة . وتضاعف النجاح فى الليلة التالية حتى أربى الايراد على عشرين جنيها . وهو اقصى مبلغ طمع بينيه ان يربحه فى ليلة واحدة .

قال اندريه وهو يضع النقود بين يدى بينيه :

ـــ ان املى كبير فى أن يتضاعف الايراد مرة اخـــرى غدا .

فهتف بينيه :

ـــ يتضاعف ؟؟ كلا .. اننى قانع بهذا .

ووضع يده على كتف الشاب بلطف وقال :

ـــاننى لاانكر فضلك ، ولاانكر اننا ندين بنجاحنا العظيم لك ، هل لك فى كاس من النبيذ ؟

وقبل أن يتمكن اندريه من الاجابة ، دوى فى الخارج صوت سقوط جسم ، وسمع الرجلان جلبة عظيمة ، فوثبا الى الخارج ، وهناك وجدا (سكاراموش) ممدا عند اسفل السلم ، وهو يئن ويتوجع

كانت قدمه قد زلت .. فسقط وتدحرج الى اسفل .. وادرك بينيه ماحدث .. فضحك وأغرق فى الضحك .. قال سكاراموش متالما :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ اتضحك وقد كاد عنقى ان يدق !!
فاجاب بينيه وهو لايزال يقهقه :
ـــ صدقت .. يجب أن تبكى لان عنقك لم يدق ..
وهبط السلم فى اثره وهو يقول :
ـــ انهض ايها الغبى ..
ومد اليه يده ليعاونه على النهوض .. ولكن سكاراموش ماكاد يستوى واقفا على قدميه حتى افلتت من شفتيه صيحة الم وسقط على الارض وهو ينن ويتوجع .
قال بينيه :
ـــ ياالهى .. ماذا اصابك يافتى ؟
صاح سكاراموش :
ـــ لقد اصيب قدمى برضوض شديدة
ـــ الا تقوى على السير ؟
ـــ لااظن ذلك

فتعاون بينيه واندريه على حمل سكاراموش . وكانت صيحات هذا الاخير قد وصلت الى آذان اعضاء الفرقة ، فاقبلوا لاستطلاع الخبر
وحاول بينيه تدليك قدم سكاراموش ، ولكن الممثل راح يصيح متالما
قالت فلورا :
ـــ ان الشاب التعس يتالم ، ومن الافضل ان تدعو له طبيبا
وجاء الطبيب وفحص سكاراموش . وقرر انهاصيب برض شديد فى قدمه . وانه يحتاج الى الراحة بضعة ايام
فصاح بينيه :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ياالهى .. الراحة بضعة ايام ؟ هل تعنى انه لايستطيع فى الوقت الحاضر أن يمشى على قدميه

ـــ من الافضل ان يلزم فراشه

فدفع بينيه اجر الطبيب . وجلس يفكر

قال وهو يزدرد جرعة من النبيذ :

ـــ هو ذا حظى السيء يأبى دائما الا أن يلازمنى ، كان يجب ان اتوقع ان يفسد النحس هذا النجاح الذى هو اول نجاح حرزته منذ بضعة أعوام .

ستقام السوق الاسبوعية فى المدينة غدا ، وكنت انتظر ان تربى ارباحنا فى حفلة الغد على ثلاثين جنيها

فساله اندريه :

ـــ هل تنوى الغاء حفلة الغد ؟

فنظر الجميع الى اندريه فى دهشة ، وصاح بينيه :

ـــ هل يمكن ان تمثل رواية (سكاراموش) بدون (سكاراموش) ؟

فاجاب اندريه :

ـــ كلا طبعا .. ولكن فى الاستطاعة مثلا اعادة توزيع الادوار .. واسناد دور سكاراموش الى هيبوليت .. فهو ممثل بارع مقتدر

فاحنى هيبوليت قامته .. وقال ساخرا :

ـــ اشكر لك هذا الاطراء .

واعترض بينيه بقوله :

ولكن من ذا الذى يقوم بدوره ؟

ـــ باسكاريل مثلا، وفى الاستطاعة الغاء دور باسكاريل

فقلب بينيه شفتيه . وقال وهو يشير باصبعه الى هيبوليت :

ـــ كيف نسند دور سكاراموش الى هذا المخلوق القصير اليدين

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ليس لدينا افضل منه فى الوقت الحاضر
فأحنى هيبوليت قامته مرة اخرى وقال :
ـ اشكرك للمرة الثانية ، احسبنى بحاجة الى بعض الهواء لتبريد وجهى الذى يكاد يلتهب خجلا
ونهض واقفا فصاح به بينيه :
ـــ اذهب الى الشيطان
ـــ هذا اطراء ابلغ من سالفه
وسار الى الباب .. ثم وقف بالعتبة وقال :
ـــ اعلم يابينيه اننى لن اقوم بدور سكاراموش مهما كانت الظروف
وخرج . فقال اندريه :
ـــ انك افسدت كل شىء يامســـــيو بينيه ، كان فى استطاعتنا معالجة الموقف بالتعديلات التى اقترحتها ، ولكنك مدير الفرقة وصاحب الراى الاعلى فيها على كل حال ومادمت مصمما على عدم التمثيل غدا فليس لنا الا ان نطيع ..
ونهض واقفا ، وتاهب للانصراف . فلحق به بينيه وهو يقول :
ـــ صبرا يامسيو باريسموس .. دعنا نخرج للنزهة معا ..
وتابط ساعده ، وخرج به الى احد الشوارع
قال له :
ـــ اظن من الاوفق ان نستانف العمل غدا كالعادة
ـــهذا اذا رضى هيبوليت بان ..
ـــ اننى لاافكر فى اسناد دور سكاراموش الى هيبوليت
ـــ الى من تسنده اذن ؟
ـــ اليك ..
فنظر اليه اندريه فى دهشة وقال :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ أنت تهزل يامسيو بينيه
ـــ انا جاد فيما اقول
ـــ ولكنى لست ممثلا .
ـــ لقد ذكرت لى ان فى استطاعتك ان تمثل .
ـــ استطيع ان امثل بعض الادوار الصغيرة ، اما هذا ..
ـــ ان الفرصة سانحة امامك لتمثيل دور كبير ، وهى فرصة قل ان تعرض لشاب مثلك
ـــ ولكنى لااطمع فى هذه الفرصة ، كلا ، كلا دعنانتكلم فى امر آخر .
فقال بينيه فى شىء من الصلابة :
ـــ اننى اتكلم فيما يروقنى ، يجب ان تقوم غدا بدور سكاراموش ، انت شاب حاضر البديهة . ذلق اللسان. مرير الدعابة ، ممشوق القوام ، وهى كل الصفات المطلوبة فى سكاراموش
ـــ ولكن اذا فشلت ..
ـــ لايهمنى ان تفشل ، ان الفشل ينصب عليك شخصيا ، ولكنه لايؤثر على ايراد الفرقة ، لان النظارة يكونون قد دفعوا الاجور وانتهى الامر ، وهذا مايهمنى
ـــ ولكنه لايهمنى
ـــ ارجو المعذرة ، انه قد يهمك ايضا يامسيو باريسموس ، هل لك ان تجتاز هذا الشارع معى ؟؟ هناك شىء أريد ان اطلعك عليه
ووقف به امام ورقة ملصقة على احد الجدران ، وقال له :
ـــ اقرا هذا ؟
فقرا اندريه الاعلان
كان محافظ (رين) يعلن عن مكافاة قدرها ثلاثون جنيها

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لمن يتقدم الى السلطات ذات الشأن بمعلومات تؤدى الى القبض على اندريه لويس مورو المحـــــامى المتهم بالتحريض على الثورة

وراح بينيه يرقب الشاب وهو يقرأ الاعلان ثم قال له:

ـــ والان ياصديقى ، هل تقوم غدا بدور سكاراموش، او تذهب للتشرف بمقابلة محافظ (رين) ؟

فقال اندريه ببساطة :

ـــ واذا حدث وكنت مخطئا ؟

ـــ انا مطمئن من هذه الناحية ، فقد ذكرت يوممقابلتك انك محام وهى هفوة تورطت فيها دون أن تشعر ،وليس من المألوف أن يتوارى محاميان من مقاطعة واحدة ، فى وقت واحد ، اعترف باننى ذكى يامسيو باريسموس ، والان ماقولك ؟

ـــ سنتحدث فى الامر مليا

ـــ وفيم نتحدث ؟

ـــ يجب ان احدد مركزى ، هلم بنا

فقال بينيه وهو يضغط على ساعد اندريه ، كأنه يخشى ان يفلت منه :

ـــ على رسلك ، هلم بنا

ولكن اندريه لم يفكر فى الافلات

كان يعلم أن غريمه اقوى منه جسما

قال :

ـــ هب اننى اجبتك الى ماتطلب يامسيو بينيه فمـــاذا يضمن لى انك لاتبيعنى الى محافظ (رين) متى نفضت يديك من خدماتى ؟

ـــ اننى اعدك بشرفى .

فضحك اندريه وقال :

ـــ اظن اننا لايجب ان نتكلم عن الشرف يامســـيو

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

بينيه والا اعتقدت انك تحسبنى مغفلا .
ـــ ربما كنت محقا . فاى ضمان تطلب
ـــ لااعلم عن ضمان تستطيع ان تقدمه لى .
ـــ بحسبى ان اكون حسن النية .
ـــ ستكون حسن النية طالما اخدمك وتفيد منى .
ـــ فى استطاعتك ان تجعل نفسك مفيدا دائما . ولاتنسى ان الفضل فى نجاحنا فى (جيثن) يرجع اليك وحدك . هذه حقيقة اعترف بها

فقال اندريه متهكما :
ـــ تعترف بها فيما بيننا فقط .
فتجاوز بينيه عن هذا التهكم واستطرد :
ـــ ان مافعلته فى رواية (سكاراموش) تستطيع ان تفعله فى غيرها وبذلك يكون من مصلحتى دائما الاافقدك .. وهذا خير ضمان لك ..
ـــ انك افدت منى فعلا . ورغم ذلك كدت الليلة ان تبيعنى .
ـــ ذلك لانك .. لانك اغضبتنى ورفضت ان تقوم بخدمة هى فى مقدورك دون غيرك .. بيد اننى لست نذلا كما تتصور . لقد كان فى استطاعتى ان اشى بك منذ ايام .

فصعده اندريه بعينيه طويلا . ثم قال :
ـــ حسنا . اظن اننى مضطر الى النزول على ارادتك .. اذ ليس لى فى هذا الموقف ان اختار .
ـــ احسنت يافتى . وثق انك لن تندم على هذا القرار . اننى اكون اجهل الناس بشئون المسرح اذا لم يكن هذا هو اهم قرار اتخذته فى حياتك .. وغدا سوف تشكرنى ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصـــل الخـامس

ســـكاراموش

رفعت الستار عن منظر يمثل غابة.وقد وقفت كليمين تحت احدى الاشجار فى انتظار عشيقها (لياندر) ..
ووقف اندريه بين الكواليس فى انتظار دوره ..
حاول ان يستعرض دقائق الفصل الاول من الرواية التى كان هو واضعها الحقيقي . ولكنه شعرباضطراب ذهني . ورفض عقله ان يلم بشيء من تفاصيل الرواية.
ركض قلبه بين ضلوعه . وتصبب العرق على جبينه. وانه لايزال يعصر ذهنه باحثا عن دوره . اذا بينيه يهمس فى اذنه :
ـــ تقدم على خشبة المسرح . لقد كان يجب أن تدخل منذ دقيقة . والفى اندريه نفسه على خشبة المسرح. وراى النظارة امامهم مهرجا صامتا مرعوبا . يجيل النظر حوله كانه يبحث لنفسه عن مخرج .
ولاحظ اندريه ان شفتى كليمين تتحركان . وادرك انها تلقنه دوره ولكن اذنيه رفضتا ان تسمعا .
وساد الصمت اكثر مما يجب . وظهـــرت علامات الرعب على وجه اندريه باجلى معانيها . فحسب النظارة انه يمثل .. وكان موقفه ظريفا ..ورعبه طبيعيا فدوى المكان بضحكات النظارة .
وكان بينيه يصغى من وراء الستار . فضرب الارض بقدمه وقال مزمجرا :
ـــ ياللشيطان .. ماذا سيحدث اذا اكتشفوا انه لايمثل .
ولكنهم لم يكتشفوا ذلك .. لان حيرة سكاراموش

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ورعبه لم يدوما اكثر من بضع ثوان. ثم عاودته الطمأنينة حين سمع دوى الضحك وخف نكاؤه الى نجدته ..

قال موجها كلامه الى كليمين :

ـــ عفوا ياآنستى العزيزة اذاكان رعبى قد ازعجك .. الواقع اننى ابصرت فى الطريق سيدا متقدما فى السن .. يحمل فى يده هراوة ضخمة .. فخطرلى خاطر مخيف .. هو أن هذا السيد ربما كان والدك .. وان والدك ربما قد علم بالخطة التى وضعناها لزواجك من عشيقك الجميل ..

دفعنى الى التفكير فى هذا وجود الهراوة الضخمة فيده . ولا اقول ان الهراوة اخافتنى .. لاننى لااخاف شيئا .. ولكنى لم اتمالك من التفكير فى ان هذا السيد اذا كان والدك حقا .. وحدث انه هشم راسى بهراوته .. فان آمالك لابد ان تتهشم مع راسى ..

وقد كان هذا الخاطر سببا فى رعبى وجزعى .

وقد قوبلت هذه العبارات بالضحك والتصفيق .. فتشجع سكاراموش . واطمان .. واستعاد سلطانه على نفسه .

قال بينيه فى شىء من الحيرة :

ـــ ياالهى .. ترى هل تظاهر بالرعب عمدا !؟ ..

وهو سؤال لم يستطع ان يعرف له جوابا .. فقد كان رعب سكاراموش حقيقيا لاريب فيه .. ولكن الثبات العجيب الذى اعقب ذلك الرعب بتلك السرعة المدهشة كان كذلك ضربا من ضروب المعجزات ..

كان نجاح سكاراموش فى الفصل الاول عظيما .. ولكن نجاحه فى الفصل الثانى كان اعظم .. وعندماهبط الستار بعد الفصل الاخير .. كان سكاراموش الجديد قد احتكر لنفسه المجد كله ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

احتواه بينيه بين ساعديه وهتف وهو يكاد يرقص طربا :

ـــ ماقولك الان ؟؟ هل كنت مخطئا عندما اكدت لك أن نجاحك سيكون عظيما ؟! اننى لم اقض حياتى على المسرح عبثا .. وقد لاحظت لاول وهلة انك خلقتممثلا. استمر كما بدأت الليلة .. وانا اضمن لك ان تصبح منافسا خطيرا لفليرى وتالما وغيرهما من آلهة الكوميدى فرانسيز ..

فاجابه سكاراموش ساخرا :

ـــ لو انك اجدت التمثيل على المسرح .. كما تجيده فى الحياة الخاصة لوصلت بنفسك الى قمة المجد .. ونافست فليرى وتالما ..

ـــ ايها الخبيث .. هلم معى لاصارحك بالخطة التى وضعتها للمستقبل .. ولكن اين ذلك الشقى (كوردميه)؟!

و (كوردميه) هو ذلك الممثل الذى كان يقوم أولا بدور سكاراموش . وقد اسندت اليه فى تلك الليلة مهمة بيع التذاكر ..

صرخ بينيه مناديا :

ـــ كوردميه .. كوردميه .. اين انت بحق الشيطان؟

ولكنه لم يسمع جوابا ..

وانطلق الجميع يفتشـــــون عن كوردميه .. وعاد هيبوليت اخيرا وبيده العصا التى كان كوردميه يتوكأ عليها ..

قال :

ـــ لقد وجدت هذه فى مكان بيع التذاكر .. ولكنى لم اجد كوردميه

وهنا داخل الشك بينيه . وقال أحد الممثلين :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـ من المحتمل ان يكون قد سبقنا الى الحانة .
فهتف بينيه :
ـ ولكن من المستحيل عليه ان يسير بغير العصا.
وانتقل افراد الفرقة الى الحانة . وكان اول مافعله بينيه انه سأل عن كوردميه . فأجابه صاحب الحانة :
ـ نعم .. انه كان هنا منذ نصف ساعة .
ـ واين هو الان ؟
ـ لااعلم .. انه حمل حقيبته وانصرف
ـ حمل حقيبته ؟ ولكنه لم يكن يقوى على السير .
ـ بل كان يسير على قدميه اسرع مني ومنك .. وقد فهم منه احد الخدم انه يريد اللحاق بالمركبة التى تنقل المسافرين الى (رين) .
فتهالك بينيه على احد المقاعد وقالت كليمين :
ـ ويل للشقى .. اذن فقد تظاهر بالعرج ليفربايراد الحفلة .
فصرخ بينيه :
ـ انه فر بثلاثين جينها على الاقل .. سرقها مني .. انا الذى كنت اعامله معاملة الاب الحنون ..
وهنا دوت فى المكان ضحكة رنانة .. فصاح بينيه وشرر الغضب يتطاير من عينيه :
ـ من ذا الذى يضحك ؟ من الشقى الذى يسخر من محنتى ؟
وكان الضاحك هو سكاراموش .. فاستطرد بينيه مهددا :
ـ انت الذى تضحك ؟ سوف اجعلك تضحك على نغمة اخرى ايها التعس ..
فقال اندريه :
ـ ايها الغبى .. اذا كان (كوردميه) قد فر بعشرين

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

جنيها . فانه ترك لك ماهو اثمن من هذا المبلغ .
ـــ انت ثمل بغير شك .
ـــ الا ترىماذا ترك لك كوردميه ايها الاعمى ؟
ـــ ماذا ترك ؟
ـــ انهترك فكرة رائعة لرواية بديعة . .يجوز انتطلق عليها اسم (خيانة سكاراموش) . . وانا كفيل بانهاسوف تترك النظارة صرعى الضحك . .

الفصـــل السادس

شركة

كانت رواية (خيانة سكاراموش) فاتحة عهد جديد فى حياة فرقة بينيه . بل الواقع انهاكانت الدعامةالقوية التى قام عليها مجد هذه الفرقة .
عرضت هذه الرواية لاول مرة فى مدينة (مارو) .وقام بالدور الاول فيها صاحبنا اندريه الذى اصبح معروفا من زملائه ومن الجمهور باسم سكاراموش . وقدقوبلت الرواية بحماسة شديدة . وبلغ من شدة الاقبال عليها ان مثلتها الفرقة اسبوعين متواليين . .
وخلال هذين الاسبوعين . . تكدست جيوب بينيه بمبالغ لم يحلم بها قط فى حياته .
وجاء نجاح الفرقة فى قرية (ببرياك) فطمان بينيه . . وشعر الرجل كما لم يشعر قبلا فى حياته بأن المستقبل اصبح مامونا وطيد الاركان . .
وفى خلال الاسابيع الثلاثة الاولى . ارتفع مرتب سكاراموش الى خمسة عشر جنيها شهريا . ثمضوعف الى ثلاثين جنيها .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ولكن سكاراموش كان واسع المطامع ..
فقال يحدث بينيه :
ـ علينا بعد (ببرياك) أن ننتقل الى (فوجريه) ، ثم الى (ريدون) وبعدئذ ننتقل الى (نانت) .
ففتح بينيه فمه فى دهشة .
كانت (نانت) مدينة عظيمة . ذات مسارح فخمة لا تظهرعليها غير الفرق التمثيلية الجديرة بالظهور على مسرح (الكوميدى فرانسيز) بباريس .
فقال متهكما :
ـ ولماذا لاتقترح علينا الرحيل الى باريس .
فاجاب أندريه بلهجة جدية :
ـ سأفكر فى ذلك فيما بعد . أما الان فيجب أن نعد العدة للتمثيل فى (فوجريه) التى اعتبرها سلما الى (ريدون) .. وهذه بدورها سلم الى (نانت) ..
فظهرت علامات التردد على وجه بينيه ..
قال سكاراموش :
ـ كن مطمئنا . كل شيء ممكن مادمت الى جانبك .. والان .. لى اقتراح اود أن اعرضه عليك
فنظر اليه بينيه متسائلا .
قال سكاراموش :
ـ انت لاتنكر أننى شيدت مجدك ومجد فرقتك . وما دمت لا تنكر هذه الحقيقة . فان من الانصاف ان اصيب من ثمرة النجاح مثلما تصيب . وان يكون حظى من الربح مثل حظك .
فقطب بينيه حاجبيه وهتف :
ـ مثل حظى ؟
ـ نعم .. على اساس المساواة . .ولهذا ارجو

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

أن تدار الفرقة منذ الان على اساس سليم . وان تكون لها دفاتر منظمة . وحسابات مضبوطة .

ـــ انا ممثل ياسيدى ولست تاجرا .

ـــ ان لكل فن ناحيته التجارية .. وقد فكرت فى الأمر مليا . وسأتخذ الاجـــراءات الضرورية لتنظيم ماليات الفرقة . واعفائك من مضايقات الادارة حتى تتفرغ لعملك الفنى .. كل ماأطالبك به الان .. هو أن توافق .. او لاتوافق على اقتراحى

ـــ آه .. وماهو هذا الاقتراح ؟

ـــ هو ـــ كما قلت لك ـــ ان تشركنى معك فى أرباح العمل ..

ففر لون بينيه .. وحملق فى وجه سكاراموش ..ثم انفجر قائلا :

ـــ انت مجنون ياهذا .. ان من الجنون أن تعرض على مثل هذا الاقتراح الوحشى ..

ـــ هذا الاقتراح له بعض العيوب .. ولكننى اهتممت باصلاحها ، من ذلك مثلا انه ليس من الانصاف أن أقوم بوضع الروايات . وتمثيل دور سكاراموش دون أن أنال مكافأة مستقلة عن نصيبى فى الارباح بصفتى شريكك . لذلك يجب قبل توزيع صافى الارباح أن أنقد مرتبا لقاء قيامى بالتمثيل . ومبلغا من المال ثمنا لكل رواية اكتبها.

كذلك يجب ان تنقد أنت مرتبا نظير قيامك بتمثيلبعض الادوار .. ومايتبقى بعد ذلك . .وبعد دفع النفقات .. والمرتبات يقسم مناصفة بيننا ..

كان الاقتراح من النوع الذى لاتهضمه معدة بينيه بسهولة .. فرفض رفضا باتا وامتنع من المناقشة فيه.

فقال سكاراموش :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ فى هذه الحالة ياعزيزى .. ارانى مضطرا الى الافتراق عنك . وغدا صباحا أودعك وانا كاره ..

فثارت ثائرة بينيه .. وراح يسب ويشتم .. ويتكلم من الجحود واشار فى ثورته ضمنا الى المكافاة التى وضعت لمن يرشد الى اندريه

ولكن اندريه هز كتفيه وقال :

ـــ تستطيع أن تشى بى اذا شئت .. ولكن لاتنسى أن ذلك يحرمك من الانتفاع بى وبدونى انت لاتساوى شيئا .. كما كنت قبل ان انضم الى فرقتك ..

فقال بينيه مهددا متوعدا انه لايعبأ بالنتائج طالما انه سيلقي عليه درسا صارما ..

وعندئذ نهض اندريه واقفا وقال :

ـــ حسنا .. على رسلك اذن . .ولكنى انصح للمرة الاخيرة ان تفكر فى الامر مليا .. فاما الثروة لنا معا .. واما الدمار لكل منا .. طاب مساؤك يامسيو بينيه ..

وازاء هذه الصلابة ، لم يجد بينيه مفرا من اتخاذ القرار الوحيد المعقول فى هذه الحالة ، فنزل على ارادة اندريه ، وتم الاتفاق بين الرجلين بعد مناقشة قصيرة حول بعض التفصيلات ..

وهكذا سوى امر الشركة بين الرجلين .. واقبل اندريه على العمل بنشاط عظيم .. وعمل على استخدام عدد من الممثلين النابهين .وتجديد مناظر الفرقةوملابسها .. ولم تمض اسابيع قلائل حتى كان هو المسيطر على كل شيء .. فانضوى الممثلون تحت لوائه .. وصاروا لايأتمرون الا بأمره .. وانتهى بينيه ان وقع بدوره تحت سيطرة سكاراموش ..

شخص واحد كان شديد التمرد علي هذه السيطرة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

.. وهذا الشخص هو كليمين ..
فقد عز على هذه الحسناء الصغيرة الا تنجح فى الايقاع بسكاراموش فى حبائلها . ولما علمت أن سكاراموش أصبح شريكا..غضبت غضبا شديدا ورمت اباها بالجهل والحمق .. وكانت النتيجة ان الرجل لطمها على وجهها لطمة اسكتتها ..
وقد اضافت كليمين هذه اللطمة الى حساب سكاراموش .. وراحت تتحين الفرص لتصفية هذا الحساب ..

ولكن الفرص كانت نادرة .. ذلك لان اعمال سكاراموش شغلته عن كل شيء .. فاصبحت لا تراه الا نادرا .. واذا راته ورمته ببعض الفاظ السخرية والتهكم اعرض عنها وتجاهلها .
وملأ سكاراموش الفرقة حركة ونشاطا .. واستطاع ان يفرض احترامه على الجميع .. فكفت كليمين بدورها عن مضايقته والتحرش به ..

وفى احد الايام .. تعمدت كليمين ان تقف في طريقه عند انصرافه من المسرح فى (ريدون) . وكان الاخرون قد سبقوهما اما هى فتخلفت بحجة انها نسيت شيئا .
قالت فى صراحة . وبغير مواربة :
ـ هل تستطيع ان تقول لى ماذا فعلت بك ؟!
فلم يفهم غرضها . وردد :
ـ ماذا فعلت بى ؟!
ـ نعم .. ماذا فعلت بك حتى تضمر لى كل هذه الكراهية ..
ـ اضمر لك هذه الكراهية !! ولكنى لااكره احدا ياآنسة .. ان الكراهية هي اسخف العواطف البشرية

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

جميعا . وانا لااكره احدا .. حتى ولااعدائى .

ـ هذا هو التواضع بكل معناه ..

ـ واذا افترضنا اننى اكره الناس جميعا .. فلا يمكن ان اكرهك .. انك مخلوقة ساحرة .. وانا احسد (الياندر) فى كل ساعة .. بل وفى كل دقيقة .. حتى فكرت فى ان اجعله يقوم بدور سكاراموش .. لكى اقوم انا بدور العاشق .

ـ لااظن انك تنجح فى هذا الدور .

ـ ولذلك امتنعت عن القيام به .

وصمت ..

قالت كليمين لنفسها وهى تكاد تنشق غيظا :

ـ لافائدة من هذا الانسان . انه رجل بلا شعور .

وسارا معا فى الطريق .

قال اندريه فجأة :

ـ هل تعلمين ياكليمين انك فتاة قاسية ؟

ـ انك اول رجل اتهمنى بالقسوة .

ـ ولكنى لااعتقد اننى اول رجل شعر بقسوتك . والفارق بينى وبين الاخرين . انهم كانوا يعانون من قسوتك وهم صامتون .

فقالت بلهجة تذهب بين الجد والتهكم :

ـ ياالهى .. وهل كنت تعانى ؟!

ـ اننى اعترف بذلك . وهو اعتراف اقدمه على مذبح خيلائك .

ـ انا لم الاحظ قط انك تعانى .

ـ وكيف كان يمكن ان تلاحظى ؟ الم يقل ابوك اننى خلقت ممثلا بالغريزة ؟! اننى كنت ممثلا قبل ان يسند الى دور سكاراموش . ولذلك كنت اضحك . اننى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

اضحك دائما كلما شعرت بالالم .

ـــ وماسر هذا التحول الذى طرأ عليك اليوم ؟

ـــ هذا التحول الذى طرأ على هو الجـــواب على التحول الذى طرأ عليك . انك تعبت من القيام بدور الغانية القاسية . وهوفى الحق دور غير خليق بمواهبك .. ولو كنت امراة ياكليمين وكان لى مثل جمالك وسحرك .. اذن لما اتخذت من جمالى وسحرى سلاحا لتحقير الاخرين .

ـــ جمالى وسحرى ؟ ومتى اكتشفت فى هذا الجمال وهذا السحر ياسكاراموش ؟

فنظر الى وجهها . ولذ له ان يتامل جمالها . ويملا عينيه من انوثتها الناضجة الساحرة

قال :

ـــ اكتشفتهما فى يوم كنت تقومين فيه مع (ليادر) بتجربة منظر غرامى

فنظرت اليه فى دهشة .. واطرق امام نظرتها

هتفت :

ـــ ماذا تقول ؟ لقد كان ذلك يوم ان تقابلنا لاول مرة

ـــ لقد حانت لى فرصة للاعجاب بجمالك قبل ان نتقابل

ـــ اننى لااكاد اصدقك

ـــ لعلك كذلك لاتصدقيننى اذا اعترفت لك بان جمالك كان نقطة التحول فى مستقبلى . وانه الذى اغرانى بالانضمام الى فرقة ابيك ؟

وهنا احتبست انفاسها .. ونسيت موجدتها .

سالت :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ولكن لماذا ؟ لماذا انضممت الى الفرقة ؟
ـــ لكى تتاح لى فى احد الايام فرصة فاتخذك زوجة لى .
فتألقت عيناها .. وصعد الدم الى وجنتيها .قالت:
ـــ انك رجل عجيب ياسكاراموش
ـــ اظن ذلك .. والا ماوجدت الجراة على ان اطمع فى رضائك .
واستأنفا السير فى سكون .
قال سكاراموش بعد صمت قصير :
ـــ ولكنى ارجو الا تعتبرى حديثى هذا بمثابة خطوبة .
فتجهم وجهها وسالت :
ـــ كيف ؟
ـــ لقد اردت فقط ان اذكر الحقائق .
وفى المساء .. وجد سكاراموش نفسه فى خلوة مع كليمين بالغرفة التى افردها بينيه لجلوس اعضاء الفرقة بعد اذ تبسم له الحظ .
وقد ساد بين الاثنين سكون عميق . الى ان نهضت الفتاة اخيرا .. ومدت اليه يدها البضة الناعمة وقالت:
ـــ طاب مساؤك ياسكاراموش .
ونطقت بهذه الكلمات بصوت خافت رقيق . فركض قلب الفتى بين ضلوعه .
رفع يدها الى شفتيه .. وقبلها .. ونظر فى عينيها.
احس بان انوثتها تغمره وتدعوه .
وكان وجهها ممتقعا .. وعيناها تلمعان ..وصدرها يعلو ويهبط فيفتضح اضطرابها .
اجتذبها اليه .. فلم تقاوم .. واحتوى جسدها

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الرشيق بين ساعديه .. وراح يردد اسمها فى همس كانه يبتهل .

سألته وهى تلهث :

ـــ اترمينى الان بالقسوة ؟

فأجابها بقبلة .

قالت فى همس :

ـــ انك جعلتنى قاسية .. لانك لم تكون ترى .

وفى هـــذه اللحظة .. فتح البـــاب .. ودخل مسيو بينيه .. فامتلات عيناه بهذا المنظر الفاضح ..

هتف وقد احتقن الدم فى وجهه :

ـــ مامعنى هذا ..

فانفصل الشابان بكل بساطة..وقال سكاراموش :

ـــ وهل هذا يتطلب ايضاحا !! الايتكلم المنظر عن نفسه ؟! معناه اننى وكليمين قررنا أن نتزوج ..

ـــ وهل لايقام لقرارى وزن ؟!

ـــ طبعا .. ولكنى واثق أنك لست من فســـاد الذوق او قساوة القلب بحيث تقيم العقبات فى سبيلنا .

ـــ انك تاخذ ماتريده قضية مسلمة .. ولكن ابنتى لاتؤخذ هكذا..انك اقدمت على فعلة منكرة ياسكاراموش .. وعبثت بثقتى فيك .

فنظر سكاراموش الى كليمين وقال لها وهو يبتسم:

ـــ اذهبى انت ياكليمين .. ودعينى اخطبك من أبيك على الطريقة المالوفة .

وكان خجلها واضطرابها قدزادها جمالا.. فانطلقت من الغرفة كالغزال الشارد ..

واغلق سكاراموش الباب .. وتقدم الى بينيه ليطلب يد ابنته بالطريقة التى يقول أنها مالوفة .

قال :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ياصهرى العزيز .. دعنى اهنئك بالشهرة التى سوف تصيبها متى اصبحت والد مدام سكاراموش ..
وكان بينيه يكاد أن يختنق غضبا . ومازاد فى غضبه، شعوره بالعجز امام ذلك الشيطان المريد .
صاح اخيرا وهو يضرب المائدة بقبضته الغليظة :
ـــ أيها اللص الاثيم .. نعم انت لص اثيم .. تسللت اولا الى غرفتى . وسرقت نصف ارباحى .. وتريد أن تسرق ابنتى .. ولكنى اكون ملعونا فى الارض وفى السماء اذا وافقت على تزويجها من شقى مجهول مثلك.
ينتظره الجلاد بفارغ الصبر .
فابتسم سكاراموش وقال :
ـــ بينيه .. انس مرة واحدة فى حياتك! انك (الوالد المفضل) الذى تجيد تمثيل دوره على خشبة المسرح . واسلك سلوك الرجل الكريم حيال صهره ذى المواهب النادرة .
سنشرب الان معا زجاجة من النبيذ على نفقتى .. وستكون افخر زجاجة نبيذ فى (ريدون)

الفصـــل السابع

هيلين

يجد من يتصفح جريدة (كورييه نانتيه) التى كانت تصدر بمدينة (نانت) فى ذلك العهد الشىء الكثير من انباء فرقة (بينيه) .. والفوز العظيم الذى احرزته على مسرح (فيدو)
والواقع ، أن سكاراموش مهد لغزو هذه المدينـــة بالاعلانات الرنانة . وتقدم الى اهل (نانت) بطائفة من

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الممثلين روضهم على اجادة ادوارهم . فاحرزوا نجاحا لم يكن يحلم به بينيه ..

وقد كان هذا النجاح فوزا شخصيا لسكاراموش .. واطراء عادلا لفنه كمؤلف وممثل ..

ولم يكن لهذا النجاح وقعه عند النظارة فحسب .. بل تخطـــاهم الى الممثلين انفسهم .. ولم يكد يهبط الستار فى ختام الحفـلة الاولى .. حتى حمله زملاؤه على اكتافهم ..

وقد شعر بينيه بان نجمه بدأ يتضاءل امام هـــذا النجم المتالق .. ولكنه تعزى بنصيبه من الربح الوفير

وأراد سكاراموش ان يسجل تاريخ هذا الفـــوز العظيم . وان يقرنه بفوز آخـــر .. فاعلن حول مائدة الطعام خطوبته لكليمين .. وهو نبأ قابله الجميـــع بالسرور . ماعدا (ياندر) بطبيعة الحال .

وحدث فى اليوم التالى ان خرج ســـكاراموش مع كليمين للنزهة على رصيف الميناء . وتبعهما هارلـــكان وكولومبين .

كانت تبدو على وجه سكاراموش علامات التفكير.

قال محدثا صاحبته :

ـــ ان سلوك ابيك حيالى قد بدأ يتغير تغيرا محسوسا ويلوح لى انه ينظر الى بشىء من السخط .

ولكنها اجابته :

ـــ انت واهم ياصديقى . ان ابى مدين لك . كلنا مدينون لك بالشىء الكثير .

ـــ انا واثق انه ناقم على. واظن اننى اعرف السبب.

ـــ ماالسبب ؟

ـــ لو كنت ابنتى ياكليمين ـــ واحمد الله انك لست ابنتى ـــ اذن لنقمت على الشاب الذى ياخذك ويحرمنى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

منك . لقد وصفنى ابوك فى تلك الليلة بأننى لص .
ـــ انه على حق . فانت لص جرىء ياسكاراموش.
وضحكت .
ومرت بهم فى تلك اللحظة مركبة فاخرة . تجلس فيها فتاة حسناء رشيقة . وخيل لكليمين ان الفتاةتنظر إلى سكاراموش بحدة .. وتوشك أن تلتهمه بعينيها . وكانها تريد ان تلفت نظره اليها .
وقد نجحت فى ذلك .. وكانت النتيجة ان جمـــد سكاراموش فى مكانه
سالته كليمين :
ـــ ماذا اصابك ياسكاراموش ؟
ـــ ولكنه لم يجبها . فقد وقفت المركبة فجاة .. ومدت الفتاة الرشيقة يدها نحوسكاراموش ..وهتفت وعيناها تلمعان .. والدم يورد وجنتيها :
ـــ أندريه .
وتناول سكاراموش يدها .. وفى عينيه نظرةسرور كالتي بعينيها . ورفعها الى شفتيه وهو يهتف بدوره :
ـــ هيلين

الفصـــل الثامن

الحـــلم

قالت هيلين :
ـــاصعد الى المركبة ياندريه
ـــ صبرا لحظة ياهيلين
ـــ ثم تحول الى كليمين وهى نهبة الدهشةوالعجب .. وقال لها فى رفق :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ارجو المعذرة ياكليمين .. من حسن الحظ انك لست وحدك .. فهاهو هارلكان .. وهاهى كولومبين .. الى اللقاء .. ساعود قبل موعد الطعام

ووثب الى المركبة دون ان ينتظر الجواب . واغلق الحوذى باب المركبة .. والهب الجياد بسوطه

جمدت كليمين وصاحباها فى مواضعهم لحظة .. ثم ضحك هارلكان وقال :

ـــ لاريب عندى ان هذا السكاراموش هو نبيلمتنكر .. ارايت الفتاة .. انها كالاميرات ؟

فاستحال سخط كليمين الى دهشة وسألت :

ـــ ولكن من هى ؟

فأجاب هارلكان :

ـــ انها اخته طبعا ..

ـــ اخته ؟ كيف علمت ذلك ؟

ـــ سوف يقول لك ذلك متى عاد

ـــ ولكن لماذا ؟

ـــ لانك لاتصدقينه اذا قال لك انها أمه !

وضحك .. واقبلت كولومبين على كليمين وشدت على يديها وهى تقول :

ـــ دعينى اهنئك ياكليمين .. انك حقا سعيدة الحظ .. فانت خطيبة احد النبلاء ..

ولكن كليمين هزت كتفيها . وشيعت المركبةببصرها حتى اختفت ..

نظرت هيلين الى اندريه بامعان وبداته بقولها :

ـــ يخيل الى انك دسست بنفسك فى بيئة غريبة ياندريه .. اللهم الا اذا كنت مخطئة .. ولم تكنهذه الفتاة هى الانسة كليمين بينيه . التى تعمل على مسرح فيدو .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـ كلا .. لست مخطئة .. ولكنى لم اكن اعلم أن الانسة كليمين قد احرزت كل هذه الشهرة .

فهزت كتفيها وقالت بلهجة الاحتقار :

ـ الشهرة ؟ .. اننى لم اسمع عنها الا امس حين شهدتها على المسرح

ـ هل ذهبت الى مسرح (فيدو) ليلة امس ؟ ولكنى لم ارك

ـ هل كنت هناك ايضا

فصاح :

ـ كنت هناك ؟

ثم ضبط نفسه .. واستطرد بصوت هادى :

ـ نعم .. اننى كنت هناك .

وامسك عن أن يعترف لها بالحقيقة .. ويقول لها أنه انحدر الى تلك البيئة التى لايقيم لها النبلاء وزنا ، وحمد الله على ان براعته فى التنكر قد اخفته حتى عن عيني هيلين التى يعتبرها من اقرب الناس اليه واعرفهم به ..

قالت وهى تهز راسها :

ـ فهمت

ـ ماذا فهمت ؟

ـ فهمت أن محاسن الانسة كليمين هى التى اجتذبتك إلى مسرح (فيدو) ..

أنا اعلم ان الشباب ينجذب الى فتيات المسارح .. هذا مرض عصرى ولكنى لم اكن أتوقع ان تصاب بهذا المرض يااندريه

نعم .. كنت من الحماقة والجهل بحيث أوهمت انك تختلف عن سائر الشباب .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ هذا اطراء يستوجب شكرى ..
ـــ ولكنه اطراء فى غير موضعه .. انك خيبت رجائى فيك .. كنت تخدعنى باحاديثك الفلسفية ، وكنت بارعا فى نفاقك . وانى لاعجب لماذا لم تنضم إلى فرقة الاتسة كليمين .. ولك كل هـذه القدرة على التمثيل والرياء ..
ـــ اننى انضممت الى فرقتها ..
واضطر ان يختار اهون الشرين .. وان ينفى عن نفسه تهمة الرياء والنفاق فحدثها بكل مااتفق له .. ورأى على وجهها اولا علامات الشـك ثم علامات الفضول . واخيرا علامات الاستياء والاستنكار ..
قال لها :
ـــ كان يتعين على ان اختـار بين خشـبة المسرح والمشنقة . وبلغ من ضـعفى اننى آثرت الاولى ، فاشتغلت بالتمثيل . وهى مهنة لاتجدر برجل له مثل ثقافتى . ومبادئى . ولكن ماذا كان بوسعى أن أفعل غير ذلك ؟
ـــ ولماذا لم تكتب لى كما وعدت .
ـــ اننى ترددت لاسباب كثيرة .
ـــ هل خفت ان تثير احتقارنا لك ؟
ـــ بل اردت ان افاجئكم بأعمالى العظيمة ..
فهتفت باحتقار :
ـــ آه .. هل تريد ان تصبح ممثلا كبيرا ..
ـــ ذلك ليس مستحيلا .. على اننى اهتم فى الغالب بان اصبح مؤلفا كبيرا .. لست أعلم فى الواقع لمـاذا تنظرين الى باحتقار هكذا . ان من دواعى الشرف ان يكون الانسان مؤلفا .. وفرنسا كلها تفخر بالرجال

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

أمثال بومارشيه وشنييه .. حدثيني .. ما رايك فى الرواية التى شهدتها أمس ؟

ـ كانت مسلية ومحبوكة

ـ اذن فاسمحى لى أن اقدم اليك مؤلفها

ـ انت !

ـ نعم وسوف ترين منى ابدع مما رايت

ـ انك تخدع نفسك ياعزيزى اندريه ، ان رواية أمس لم تكن لها اية قيمة لولا الممثلين ، او على الاصح أو لا سكاراموش .

ـ اسمحى لى ان اقدمه اليك

ـ انت سكاراموش ، انت ؟!

وتاملته من قمة راسه الى اخمص قدميه واستطردت:

ـ ولكنى لم اعرفك

ـ هذا اطراء جديد لبراعتى فى فن التنكر ، والان قد علمت انبائى ، فماذا عندك من انباء جفريلاك ،وكيف حال سيدى الكونت دى كركاديو

فانباته بأن الكونت فى خير حال ، وانه لايزال ناقما عليه ، ولكنه مهموم لاجله ، ثم قالت :

ـ سأكتب اليه اليوم وانبئه باننى قابلتك

ـ نعم ، اكتبى اليه باننى فى خير حال ولكن لاتذكرى له أكثر من ذلك ، لاتذكرى له شيئا عن عملى ، لانه ملك يحتقر صناعة التمثيل ، ياالهى ، لقد كدت انسى السؤال الذى كان يتحير على لسانى منذ رايتك ، ماذا جاء بك الى (نانت) ياهيلين ؟

ـ جئت لزيارة خالتى الكونتس دى سوترون ، وستقيم الكونتس مادبة هذا المساء ، وسوف يكون المركيز دى لاتور بين المدعوين

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فقطب اندريه حاجبيه وقال :
ـــ هل اتصل بك ياهيلين كيف قتل صديقي فلموران
ـ نعم .. سمعت القصة من عمي أولا .. ثم ، المركيز دى لاتور نفسه ..
ـ وهل لم يساعدك هذا الحادث على البت فى مسألة زواجك ؟
ـــ ماذا تعني ؟ هل نسيت انني امراة .. وانه ليس لى ان اصدر حكما بين الرجال فى أمثال هذه الامور ..!
ـ ولماذا لاتصدرين حكما .. وقد علمت الحقيقة من عمك ؟ انك تغمضين عينيك عمدا .. لكيلا تكون الحقيقة سببا فى تقويض آمالك الجوفاء ..
ـــ هذا بديع .. هل تعلم انك مخلوق عجيب الأطوار اتنهض فى التو واللحظة من اقذر البيئات ولاتجد غضاضة فى ان تسمعني مواعظك ؟
ـــ قولى ماشئت عن بيئة الممثلين .. فذلك لا يمنعني من ان أبذل لك النصح عن اخلاص ووفاء ..
بيد ان هذه البيئة ليست أقذر البيئات كما تتوهمين .. ففتاة المسرح لها من الشرف والفضيلة ما ليس للسيدة النبيلة العظيمة التى تبيع نفسها تحقيقا لمطامعها فى الثروة الزائلة والجاه الاجوف ..
فامتقع لونها غضبا .. ومدت يدها نحو باب المركبة وهى تقول :
ـــ اظن من الاوفق ان ادعك تعود الى فتاة المسرح لتتعلم منها الشرف والفضيلة ..
ـــ لاتتكلمى عنها بهذه اللهجة ياهيلين .. وإذا تكلمت فليكن ذلك على اعتبار انها زوجتى
فاشتد امتقاعها . وهتفت وهى تنظر اليه فى رعب
ـــ ياالهى .. هل تزوجت من هذه ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ كلا . .ولكننا سنتزوج قريبا . ويجب ان اقول لك ان هذه الفتاة التى تحتقرينها لاتقل عنك طهـــــرا ونقاوة ياهيلين .

ـــ يجب ان تترك المركبة فى الحال .. كيف وجدت الجراة على المقارنة بينى وبين هذه ..

فقاطعها قبل ان تنطق بالكلمة الجارحة :

ـــ وبين خطيبتى

ووثب من المركبة وهو يقول محتدا :

ـــ بلغى تحيتى الى القـــاتل الذى ستقترنين به .

الفصـــل التاسع

اليقظـة

وجد كلام هارلكان ســـبيله الى نفس كليمين .. فايقنت ان سكاراموش لابد يخفى وراء مظهرشخصية ممتازة .. بدليل ارتفاع الكلفة بينه وبين تلك الفتـــاة التى كانت تجتاز شوارع المدينة فى مركبتها الفخمـــة كانها احدى الاميرات ..

راحت تنتظره بفارغ الصبر حتى عاد .. فتريثت حتى تناول طعامه . واشعل غليونه ثم قالت له :

ـــ هلتعلماننى انتظرتكمنذساعة لاعرفايضاحاتك؟

ـــ ايضاحاتى ؟ فى اى صدد ؟

ـــ فى صدد الخدعة التى اجزتها على

ـــ ولكنى لم اخدعك ..

ـــ اليس من ضروب الخديعة ان تكتم حقيقة امرك عن المراة التى ستصبح زوجتك ؟ لماذا زعمت انك محام بسيط من احدى القرى .. فى حين انك لست كذلك

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ انت مخطئة ياعزيزتى كليمين ..فأنا لم اخدعك .. واذا كنت قد كتمت عنك بعض الحقائق .. فذلك لاننى لارى لها اهمية .. ولكنى لم اخدعك قط فيما يختص بحقيقة شخصى ..

ازعجها اصراره .. ورأت آمالها توشك انتنهار .. سألته :

ـــ من هى اذن تلك السيدة النبيلة التى تحدثت اليك فى غير كلفة .. واصطحبتك معها فى مركبتها ؟ من هى .. وماصلتها بك ؟

ـــ اننى اعتبرها اختى ..

ـــ تعتبرها اختك .. ها .. ها .. ذلك ماتوقعه هارلكان .. ولكن هذه الاخت لابد أن لها اسم .

ـــ طبعا . .انها الانسة هيلين دى كركاديو ابنة اخ الكونت دى كركاديو

ـــ آه .. هذا اسم عظيم .. ولكن كيف تعتبرها اختك ياصديقى ؟

وهنا لاحظ اندريه لاول مرة منذ توطدت علاقته بكليمين .. ان اسلوبها يفضح قحتها الغريزية .

قال :

ان الكونت دى كركاديو .. هو الذى كفلنى وربانى واهل جفريلاك يتوهمون انه ابى .

اننى ادين له بكل شيء .. ولكننا افترقنا اخيرا.. وشققت طريقى فى الحياة .. فانا لاامل غير ما أريحه هنا من عملى .

وأما هيلين فاعتبرها كأنها اختى .. لاننى اعرفها منذ عهد الطفولة وقد نشأنا معا ..

انهار صرح آمالها .. ووقعت عليها هذه العبارات وقوع الصاعقة .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لو انه صارحها بكل ذلك فى اليوم السابق .. لما اقامت لهذه الحقائق اعتبارا .. اما الان .. بعد ان رات ما رات .. وتوهمت ماتوهمت .. وشيدت القصور فى الهواء .. اما الان .. بعد كل هذا .، فانها اصبحت تشعر كانه خيب آمالها فيه .. وبانها سوف تصبح هدفا لسخرية زملائها الممثلين والممثلات الذين كانوا منذ لحظة يهنئونها على توفيقها وحسن حظها ..

قالت بصوت كفحيح الافعى :

ـــ كان يجب ان تصارحنى بكل ذلك قبل الان ..

ـــ هل كان ذلك ضروريا ؟

ـــ ضروريا ؟!

وكتمت غضبها والقت سؤالاء آخر :

ـــ تقول ان اهل جفريلاك يتوهمون ان الكونت دى كركاديو هو ابوك . فماذا تعنى ؟

ـــ اعنى مانكرت . فالناس يتوهمون انه ابى . ولكنى اشعر بالغريزة بانه ليس كذلك وقد سالته مرة فى صراحة فانكر .. وكان يحتمل ان ارتاب فى هذا الانكار لولا اننى اعلم عن الرجل صدقه . وحرصه على اعتبارات الشرف .

وقد اكد لى فى صراحة انه لايعرف من هو آبى .

فسالته ساخرة :

ـــ وامك ؟ هل يجهل امرها كذلك ؟

ـــ كلا .. ولكنه رفض ان يذكر لى اسمها . كل ماقاله عنها ان بينه وبينها صلة صداقة وثيقة .

فضحكت ضحكة خشنة اثارت اشمئزازه . وقالت :

ـــ وقد صدقته طبعا .. ايها الغر . مالقبك ؟

قضبط غضبه واستنكاره . واجاب فى هدوء :

ـ (مورو) وقد اطلقوا على هذا الاسم . لانه اسم

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

القرية التى ولدت فيها . ولكنه ليس اسمى الحقيقى . وليس من حقى أن أحمله .. ان اسم (سكاراموش) هو أجدر الاسماء بى .

واستطرد وهو يحاول أن يبتسم :

ومن هذا ترين اننى لم اخدعك .

ـــ طبعا .. طبعا ..

وضحكت ضحكة جوفاء . ثم استطردت فى سأم :

ـــ اننى متعبة .. وسالازم غرفتى حتى يحين وقت الظهور على المسرح .

وقصدت الى الباب .. دون أن تنظر اليه .

ولم يكن هذا الجفاء كل مالازعج سكاراموش فى ذلك اليوم . فقد لاحظ فى المساء ان كليمين تسرف فى ملاطفة المعجبين بها .. الذين كانوا يحملون اليها باقات الزهور بين الفصول ..

بل لقد بلغت هذه الملاطفة فى بعض الاحيان حـــد الاستهتار .

تحدث اليها فى ذلك بعد انتهاء التمثيل . ونصح لها أن تلتزم فى المستقبل جانب الحكمة والاحتشام . ولكنها أجابته باختصار :

ـــ اننا لم نتزوج بعد .. فانتظر حتى نتزوج .. ثم انتقد سلوكى .

كان يعلم أن انهيار الامال الخرقاء التى نبتت فى ذهنها السقيم عقب مقابلته هيلين هو سبب ضجرها وخشونتها .. ففغفر لها .

لاحظ أن اباها يحذو حذوها .. وينظر اليه بعين السخط .. اما سائر أعضاء الفرقة فلم يتغير شعورهم نحوه .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وحدث في اليوم التالي أن كان المركيز دي لاتور هو أول شخص وقع عليه بصر سكاراموش عندما اعتلى خشبة المسرح ..

وكان المركيز جالسا في احدى المقصورات الامامية . وبجانبه هيلين . وبينهما سيدة متقدمة في السن .. ارجح لدى سكاراموش انها الكونتس دي سوترون .

نظر سكاراموش الى تلك المقصورة بحدة . وتملكته طائفة من المشاعر المتباينة صرفته عن عمله بعض الوقت ولكنه عاد فملك نفسه . وانصرف الى عمله ، واجاد دوره الى ابعد حدود الاجادة . وقوبل بتصفيق لم يقابل بمثله من قبل .

على ان وجود المركيز وهيلين في المقصورة لم يكن المفاجأة الوحيدة التي ادخرتها له الاقدار في ذلك المساء كانت المفاجأة الثانية اشد واعظم .. وقد فوجيء بها بعد انتهاء الفصل الاول ..

كان في طريقه الى غرفته . فحانت منه التفاتة الى غرفة كليمين . وجمد في مكانه .

رأى المركيز دي لاتور واقفا يتحدث الى كليمين ويصغي الى حديثها وعلى شفتيه ابتسامة ساحرة .

لم يكن معهما ثالث .. وهو امتياز لم يحظ به قبلا وأحد من النظارة الممتازين الذين اعتادوا غشيان الكواليس للتعبير عن اعجابهم بالممثلين والممثلات ..

وترجح لدى سكاراموش .. ان سائر المعجبين لابد قد انسحبوا من طريق المركيز العظيم . وافسحوا له السبيل . كما تنسحب الثعالب أمام الاسد .

وقف سكاراموش لحظة كالمصعوق .. ثم ملك نفسه رويدا . وراح ينظر الى المركيز ويتأمل تقاطيعه النبيلة . وقامته الرشيقة .. وعينيه اللتين ينظر بهما الى وجه

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

كليمين الساحر كأنه يريد ان يلتهمها ..

ولكنه لم يسمع كلمة واحدة من العبارات التى كان يصبها فى اذنى الفتاة بصوت خافت هادىء ..

وفى تلك الليلة .. قام جدل عنيف بين سكاراموش وكليمين .

ذكرها بوجوب الاحتشام .. وحذرها من اغراء رجل كالمركيز دى لاتور .. ولكنها غضبت وثارت .. واظهرت قحة لم يعهدها فيها .

ـــ اذا كنت قد خطبتنى لتقيم نفسك عقبة فى سبيلى فمن الافضل فسخ هذه الخطوبة ..

فاجابها فى رفق :

ـ اذن فانت لاتحبيننى ياكليمين .

ـــ الحب لاعلاقة له بهذا .. اننى لااطيق غيرتك الحمقاء .. كل فتاة تشتغل بالتمثيل من حقها بل من واجبها ان تتقبل ثناء المعجبين بها ..

ـــذلك رايى ايضا .. ليس هناك مايمنع الممثلة من ان تتقبل ثناء المعجبين .. انما بشرط الا تعطى شيئا مقابل هذا الثناء ..

فاصفر وجهها غضبا وصاحت :

ـــ ماذا تعنى بالدقة ؟

ـــ اليك ماأعنى .. ان من حق الفتاة التى فى مثل مركزك ان تصغى الى عبارات الثناء . بشرط ان تفعل ذلك فى احتشام يشعر بانها ليست على استعداد لان تثيب عن هذا الثناء باكثر من ابتسامة . واذا كانت عاقلة تعين عليها أن تتقبل عبارات الثناء من المعجبين جملة . فلاتجيز لاحد ان ينفرد بها . ويخلو اليها وحده . ولو كانت حكيمة وجب عليها الا تشجع او تغذى فى نفوس

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

المعجبين بها ، آمالا ومطامع يتعذر عليها فيما بعد ان تحققها .

— كيف .. كيف تجسر على أن تقول هذا الكلام ؟

— اننى اعرف الناس بالحياة .. واعرفهم بالمركيز دي لاتور وأمثاله فهذا الرجل وغد اثيم لايعرف للانسانية معنى .. انه رجل اعتاد ان يأخذ مايريده اينما وجده .. رجل يبذر حوله بذور البؤس والشقاء بغير اكتراث .. رجل لايعرف من القوانين غير قانون القوة والبطش فنفكرى فى هذا ياكليمين .. تجدى انه يتعين عليك ان تشكرينى لهذا التحذير .

وتركها وانصرف .

وكانت الايام التالية من اشقى الايام فى حياة اندريه . كذلك كانت أيام شقاء رهيبة بالنسبةلشخص آخر ..هو (لياندز) .. الذى كان يحب كلمين سرا ويشعربنفسه مخلوقا ضئيلا امام المركيز دى لاتور .

واصبح المركيز كثير التردد على المسرح .. بل لقد كان يشهد جميع الحفلات بلااستثناء .. واحتجز لنفسه بصفة دائمة مقصورة خاصة راح يغشاها مع ابن عمه الشيفاليه دى جابريلان .

. . .

خرج اندريه للنزهة فى صباح يوم من ايام الاسبوع التالى لهذه الحوادث .

كان يشعر بالمذلة والهوان .. ويريد ان يخلو الى نفسه .. ليفكر ويحزم رايه على امر ..

وانه يسير مطرقا برأسه مهموما محزونا .. اذا به يسمع صوتا يهتف به :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـ اندريه لويس مورو .. اين كنت مختفيا طيلة هذه المدة ايها الشيطان ؟؟

كان المتكلم هو شابلييه . فاجابه سكاراموش :

ـ كنت مختفيا وراء الستار .

ـ لست افهم ماتعنى ..

ـ وانا لااريدك على ان تفهم .. ولكن ماذا عندك من أنباء العالم شابلييه .. يخيل الى أن كل شيء قد عاد الى الركود .

فهتف شابلييه :

ـ عاد الى الركود ؟ اين كنت اذن ؟ فى جوف احدى المغائر ؟ ان العالم يتحرك ياصديقى .. ويتحرك بسرعة عجيبة .. الم تعلم ان الملك اجاب مطالب الامة . وان الاوامر صدرت باجراء الانتخابات الابتدائية تمهيدا لانتخاب مندوبى الامة فى مجلس الشعب الذى سيتالف من ممثلى الشعب وانبلاء ورجال الاكليروس على حد سواء ؟ الم تبلغك انباء الشغب الذى وقع فى (رين) فى الشهر الماضى عندما اراد النبلاء تعطيل الانتخابات بالقوة ؟ لقد سلح صديقك المركيز دى لاتور اتباعه واعوانه وتصادموا مع الرعاع فى شوارع المدينة .. ولكنهم دحروا والتاجوا آخر الامر الى دير (كورديلييه) .. وبذلك انتهت مقاومة النبلاء لاوامر الملك وارادة الامة ..

ثم راح يسرد عليه الحوادث بالتفصيل .. وكيف ان اهل (جفريلاك) و (رين) كانوا يبحثون عنه ليرشحوه فى الانتخابات .. وكيف انهم عجزوا عن الاهتداء اليه . ورشحوا سواه .

ثم قال :

ـ ولكن حدث اخيرا ان توفى اثنان من مندوبى الشعب

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

في(نانت) . ولذا جئت الى هذه المدينة للبحث عن غيرهما .. فما رايك اذا رشحناك ؟

فهز أندريه راسه علامة الرفض وهتف شابلييه :

ـ اترفض ياندريه ؟ انك مجنون .. لانه من المحتمل جدا أن تفوز فى انتخابات الدرجة الثانية .. وتمثل (نانت) فى مجلس الشعب الذى سينعقد فى (فرساى) .. وبذلك تساهم فى انقاذ فرنسا .

ولكن اندريه لم يكون شديد الاهتمام بانقاذ فرنسا .. كان كل اهتمامه فى ذلك الوقت منصبا على انقاذ الفتاتين اللتين يحبهما من مخالب الشخص الذى أقسم أن يورده موارد الهلاك ..

واصر اندريه على الرفض . وافترق الصديقان بعد أن وعد اندريه بان يكتب الى صاحبه عند الضرورة .. أو اذا عدل عن راية .. ووافق على ترشيح نفسه لمجلس الشعب .

واستولت على اندريه فى ذلك المساء رغبة خبيثة فى أن يجس نبض الجمهور ..ويعرف نصيب اقوال شابلييه من الصحة .

وكانت الفرقة تمثل فى تلك الليلة راوية (الضابط المخيف) ورودمون يقوم بدور الضابط .. واندريه يقوم بدور سكاراموش كالمعتاد .وكان يتعين على سكاراموش (الضابط المخيف) وجبنه .. بعبارات مضحكة .. ثم يخيم الرواية بكلمة من عندياته تتغير فى كل ليلة وفقا للظروف والمناسبات .

وقد شاء فى تلك الليلة ان يختم الرواية بعبارة سياسية فقال محدثا (الضابط المخيف) :

ـ هانذا قد فضحت جبنك ايها الطاووس المغرور .. لقد كان الناس يقرون منك جزعا وخوفا .. لانك

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

مديد القامة . تحمل سيفا طويلا .. وتضع قبعتك منحرفة على جبينك .

ولكنك جبنت وانكمشت . عندما واجهت ندا عنيدا . وبلغ من جبنك انك نسيت حسامك فلم تجرؤ على تجريده من غمده ..

انك تذكرني ياهذا بالنبلاء اذ يواجهون الشعب ..

كانت عبارة جريئة . وقد توقع اندريه أن يسمع ضحكا . أو استحسانا او استهجانا .. أو مزيجا من كل ذلك . ولكنه لم يتوقع ماحدث فعلا .

ساد سكون عميق لحظة قصيرة . ثم مزق هذا السكون هتاف هائل اهتزت له جوانب المسرح . واستمر هذا الهتاف والتصفيق مدة طويلة بعد هبوط الستار .

وقبل أن يتوارى سكاراموش . حانت منه التفاتة الى مقصورة المركيز دى لاتور . فراى شرر الغضب يتطاير من عينيه .

ماكاد سكاراموش يعود الى الحانة ويدخل القاعة التى اعتاد الممثلون ان يتناولوا فيها الطعام عقب التمثيل حتى رأى بينيه يتكلم بحدة وغضب ..

وشعر بينيه بدخوله . فتحول اليه بحدة .. وقال بصوت اجش :

ـــ اهذا أنت .. كنت انتظرك لاعرف ايضاحك عن الفضيحة التى أثرتها الليلة فى المسرح ..

ـــ الفضيحة ؟ هل تعتبر تصفيق النظارة وهتافاتهم لى فضيحة ؟

ـــ النظارة ؟! انت تعنى الرعاع طبعا .تعنى الدهماء أتريد أن تحرمنا من عطف الطبقة الراقية فى المدينة باثارتك العواطف الدنيا فى نفوس الدهماء ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فهز اندريه كتفيه بقلة اكتراث ، ومر امام بينيه . وجلس امام المائدة .

قال بهدوء :

ـــ انت تبالغ .. كما هي العادة .

ـــ انا لاابالغ .. ويجب ان تعلم اننى السيد هنا .. هـــذه فرقة بينيه .. ويجب ان تباشر اعمالها على النمط الذى يختاره بينيه .

ـــ ماهى تلك الطبقة الراقية التى تشفق من فقدان عطفها ؟

ـــ اتزعم ان جميع النظارة من الرعاع ؟ انت مخطىء ياهذا .. فقد جاءنى المركيز دى لاتور بعد التمثيل . واحتج بلهجة شديدة على العبارات التى تفوهت بها .. فاضطررت ان اعتذر اليه .. وان ..

فقاطعه اندريه :

ـــ هذه حماقة منك .. ولو كنت تحترم نفسك وتحترم عملك لقذفت بالمركيز الى الخارج .

تزعم انك رئيس الفرقة .. ويملاك الغرور بانك صاحب الامر والنهى .. ومع ذلك لاتتورع عن أن تتلقى الاوامر من اول رجل وقح يحتج لديك بأن هذا الممثـــل أو ذاك نطق بعبارة لم تعجبه .

اقول لك مرة اخرى .. انك لو كنت تحترم نفسك لوجب عليك أن تطرد ذلك الرجل ..

فارتفعت غمغمة استحسان من افواه الممثلين الذين سمعوا احتجاج المركيز دى لاتور واعتبروا خشـــونته واسلوبه الوقح اهانة لهم جميعا ..

واستطرد اندريه :

ـــ واقول لك اكثر من ذلك ان الرجل الذى يحترم نفسه من نواح اخرى كان يسره ان ينتهز مثـــل هذه

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفرصة لرد المركيز دى‌لاتور الى صوابه .
فصاح بينيه بصوت كقصف الرعد :
ـــ ماذا تعنى بهذا الكلام ؟
فاجال اندريه بصره بين الجالسين حول مائدة الطعام ثم سأل بحدة :
ـــ اين كليمين ؟
فأجابه لياندر وهو يرتجف انفعالا :
ـــ انها انصرفت من المسرح فى مركبة المركيز دلاتور عقب التمثيل مباشرة .
فنظر اندريه فى ساعته .. وقال بهدوء عجيب :
ـــ لقد انتهى التمثيل منذ ساعة او اكثر .. ألم تعد بعد ؟
ونظر الى بينيه . ولكن بينيه تجنب نظرته .
وتصدى لياندر للاجابة أيضا فقال :
ـــ كلا .. انها لم تعد بعد .
لم يزد اندريه عن ان هتف :
ـــ آه ..
وملا قدحه بالنبيذ .
وساد الغرفة سكون عميق .. واتجهت جميع الانظار الى اندريه .
وحتى بينيه . كان يبدو عليه انه ينتظر كلمة اخرى من سكاراموش وتكلم سكاراموش . ولكن فى غير الموضوع المطلوب .
سأل :
ـــ أرى انكم سبقتمونى الى الطعام .. فهل ابقيتم لى على شىء اقتات به ؟
فقدمت اليه فلورا الطعام .. واخذ يأكل فى هدوء وسكينة . وبقابلية عظيمة .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

واخيرا سمع القوم صوت وقع حوافر جياد ووقوف مركبة واصوات جلبة .. ورنين ضحكات كليمين .. فلم يرفع اندريه راسه .. واستمر يتناول طعامه ..

قال هارلكان محدثا هيبوليت بصوت خافت :

ـــ ياله من ممثل بارع .

واطرق هيبوليت براسه موافقا .

ودخلت كليمين . مرتفعة الراس .. لامعة العينين باسمة الشفتين . تنم كل حركة من حركاتها على القحة والشعور بالفوز .

كان وجهها متوردا .. وشعرها مضطربا .. وبيدها اليمنى باقة من زهور الكاميليا .

على ان الباقة لم تلفت الانظار كما لفتتها الماسة التى كانت تتالق فى خاتم ثمين باصبعها .

وثب ابوها واقفا .. وخف لاستقبالها مظهرا عطفه الابوى .

هتف :

ـ آه .. ها أنت قد عدت أخيرا يا كليمين .

وسار بها الى مائدة الطعام . فغاصت فى احدالمقاعد .. ونظرت نحو سكاراموش دون ان تغيض الابتسامة عن شفتيها .

ولكن (لياندر) الذى كان ينظر اليها بحدة . لاحظ ان نظرتها واختلاج اهدابها ينمان عن شىء من الخوف .

أما اندريه .. فانه استمر ياكل ببرود وثبات دون ان ينظر نحو كليمين .

وشعر الممثلون بان الجو مشحون بالكهرباء .. وان الزوبعة توشك ان تعصف . ولكنهم ادركوا فى ذات الوقت ان هذه الزوبعة لن تعصف طالما هم فى الغرفة .

وكان هيبوليت أول من ادرك ذلك . فنهض واقفا .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وانصرف . وتبعه الاخرون . فلم يبق بالغرفة سوى اندريه وبينيه وابنته .

واحتسى اندريه كاس النبيذ ثم اعتدل فى مكانه . وقال وهو ينظر الى كليمين .

ـــ ارجو ان تكونى قد استمتعت بالنزهة ياآنسة .

فارادت ان تحاكيه برودا وثباتا ولكنها لم توفق .

اجابت :

ـــ لقد كانت نزهة طيبة ياسيدى .

ـــ ولم تكن عديمة الجدوى .. اذا صح تقديرى للماسة التى تتالق فى اصبعك . انها تساوى مائتين من الجنيهات على الاقل . وهو مبلغ جسيم حتى بالقياس الى ثروة رجل نبيل كالمركيز دى لاتور .. فهل يكون تفضلا من الرجل الذى سيصبح زوجك ان يسالك ماذا اعطيت مقابل هذه الماسة ياآنسة ؟

فضحك بينيه بخشونة . واجابت كليمين بكبرياء :

ـــ لم اعط شيئا .

ـــ آه .. اذن فقد دفع المركيز الثمن مقدما .

فقال بينيه محتجا :

ـــ هذا الكلام لايتفق مع الكرامة .

فنظر اليه اندريه نظرة احتقار جعلته يتحرك فى مقعده بقلق . وقال :

ـــ اتتكلم عن الكرامة يا بينيه ؟ ؟ . انك تهين هذه الكلمة يارجل .

ثم تحول الى كليمين ببطء وقال :

ـــ يا آنسة .. اننى اريدك لمصلحتك ان تفكرى قبل ان تتحدرلى .

ـــ اننى ادرى بمصلحتى ياسيدى .

ـــ من المؤكد يا آنسة انك لا توافقين وانت مفتوحة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

العينين على الاستعاضة عن حياة الزوجية الشريفة .. بالحياة الاخرى التى يزينها لك رجال من نوع المركيز دى لاتور .

فضرب بينيه المائدة بقبضته وقال محدثا ابنته :

ـــ هل سمعت مايقول هذا الرجل ذو الفم القذر ؟ لعلك تدركين الان ان الزواج منه سيكون معناه دمارك وضياعك .. سوف تجدينه امامك دائما حيث يفوت عليك كل فرصة لتحقيق مطامعك وآمالك .

فقالت كليمين :

ـــ لقد بدأت اشعر بالضجر من غيرته الحمقاء . واعتقد انه لن يطاق كزوج .

فشعر اندريه كان اصابع من فولاذ تقبض قلبه .. ولكنه ظل الممثل المقتدر الذى يعرفه الجميع .

ضحك وقال وهو ينهض واقفا :

ـــ اننى احنى الراس احتراما لارادتك ياآنسة .. وآمل الا تندمى فى المستقبل

فتنهد بينيه بارتياح كأنما سره ان تتخلص ابنته من هذا الزوج المزعج وقال :

ـــ تندم ؟ اتحسبها تندم فى المستقبل على انها اختارت من دونك رجلا نبيلا عظيما واسع النفوذ كانت اولى هداياه اليها ماسة يربو ثمنها على المرتب الذى تتقاضاه ممثلة الكوميدى فرانسير فى سنة ؟ . كلا .. كلا ياصاح . . يجب الا تلوم الفتاة او تقف فى طريقها.

هلا فكرت فى انها تستطيع بحماية هذا الرجل ومساعدته ان تصل الى مكانة تتعذر عليها بدونه ؟ اذا كنت تحبها حقا .. وجب عليك ان تهنئها .. عوضا عن ان تضايقها بغيرتك

فضحك اندريه ساخرا وقال :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ انت رجل خيالى يابينيه .
ـــ آه .. نحن خياليون .. لاننا نفضل حماية نبيل عظيم .. على زوج حقير مجهول الاسم .
فنظر اليه اندريه شذرا وقال :
ـــ كلا .. لقد كنت مخطئا .. فانكما لستما خياليين .. انتما اردا واشر من الثعابين .
وخرج

الفصـــل العـاشر

فتنـــة فى مسرح

كان المركيز دى لاتور يتاهب للخروج من قصره .. عندما اعلن الخادم قدوم الكونت سوترون .. زوج الكونتس سوترون خالة هيلين ..
كانت تربط بين الرجلين النبيلين اواصر مـــداقة قوية .. ولذلك لم يغضب المركيز حين فاجاه الكونت سوترون بقوله :
ـــ لقد جئت لاهنئك بسلامة العودة اولا . ثم لاقول لك انك رجل مجنون يا (جرفيه)
و (جرفيه) هو الاسم الشخصى للمركيز دى لاتور
اجاب المركيز وهو يضحك :
ـــ ما تقوله عن جنونى ليس نبأ جديدا ياشارل .. ولكن من اى جنون معين تشكو ؟
فاجاب الكونت وهو ينظر الى وجهه الممتقع النبيل :
ـــ جنونك الاخير .. جنونك مع ابنة بينيه
ـــ آه .. اتعنى هذا . انها مغامرة بسيطة .. لا ترتفع الى مرتبة الجنون ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ بل انها الجنون بعينه فى هذه الظروف ياجرفيه .. لقد علمت هيلين بالامر ولا ادرى كيف علمت .. ولكنها علمت على كل حال انك غادرت نانت مع ابنة بينيه وشعرت من ذلك بالاشمئزاز والاستنكار

فتلاشت الابتسامة عن شفتى المركيز وردد :

ـــ علمت .. وشعرت بالاشمئزاز والاستنكار

ـــ طبعا .. انت تعرف انها فتاة مرفهة نبيلة الخلق .. وتعرف انها بدات تنظر اليك كزوجها .. فمما يؤلمها في مثل هذه الظروف ان تحضر الى (نانت) بحجةرغبتك في التقرب اليها واقناعها بالاقتران بك .. ثم تمضى في ذات الوقت فى مغامرتك مع ابنة بينيه

ـــ ومن انبأك بان هيلين علمت وغضبت ؟

ـــ انها صارحت خالتها بشعورها . واعتقد انالبنية المسكينة على حق . فهى تقول انها لاتطيق ان تراك تقبل يدها بالشفتين الملوثتين بجراثيم .. انت تفهم ما أعني . وتدرك وقع امثال هذه المغامرات فى نفس فتاة طاهرة شديدة الحساسية كهيلين

لقد قالت بانك متى قبلت يدها مرة اخرى فانها ستطلب قدح ماء وتغسل يدها على مراى منك .

فاحمر وجه المركيز . ونهض واقفا . وجعل يسير في الغرفة جيئة وذهابا ثم وقف امام النافذة وقال بصوت تنم نبراته عن الحزن والاحتقار :

ـــ انت علىحق ياشارل ..فانا مجنون .. ومجنون خبيث . لانني لا احاول قط ان انكر على نفسي احدى المتع مهما كلفني ذلك . ولكن يا الهى .. انني اريد هيلين من دون النساء جميعا . واعتقد انني اقتل نفسى إذا خسرتها بسبب فعلتى الجنونية الاخيرة .

ثم ضرب صدره بيده واستطرد :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ اننى وحش . كان يجب ان اعلم ان هذا الملاك المقدس اذا علم بفضائحى فلابد ان يحتقرنى ، بيد أنني على استعداد لان اخوض فى النار تطهيرا لنفسى وارضاء لها .

فضحك الكونت وقال :

ـــ آمل ان توفق الى ارضائها دون ان تخوض في النار .

ـــ اما تلك الفتاة .. ابنة بينيه ، فقد انتهى كل شيء بينى وبينها . وانتهى الى الابد .

ـــ دعنى اهنئك اذن .. متى اتخذت هذا القرار ؟

ـــ فى هذه اللحظة .. وليتنى اتخذته قبل بضعة أيام .. وقبل ان اصطحبها معى .. ان يوما واحدا معها كان فيه الكفاية لارضاء غرائزى القذرة .. الدنيئة .

ومرت فى جسده قشعريرة . اشمئزازا من نفسه .. ومن الفتاة التى قضى معها بضعة الايام الاخيرة .

قال الكونت :

ـــ اذا صح ذلك .. فمن السهل عليك مصالحة هيلين .

ـــ لا يوجد شيء فى الوجود لا اقدم عليه للحصول على صفحها . سالقى بنفسى تحت قدميها .. واعترف بذنوبى بين يديها .. ثم اسالها الصفح والغفران .

فاطرق الكونت برأسه مفكرا ثم قال :

ـــ حسنا .. سابلغها توبتك واحاول اصلاح ذات البين .

ـــ الا اذهب اليها بنفسى ؟

ـــ بل يحسن بك فى الوقت الحاضر ان تتوارى من امام عينيها .. اكتب اليها اذا شئت .. واستغفرها فى رسالتك .. ثم ارحل . حتى ينفثىء غضبها ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وسوف اقول لها اننى نصحت لك بذلك .

. . .

فكر المركيز فى الامر مليا بعد انصراف صديقه الكونت .. وشعر باشمئزاز حقيقى من نفسه .. ومن كليمين ولعن نفسه على انه اتلف العلاقة بينه وبين هيلين الطاهرة النقية .. لارضاء شهوة عارضة .

لابد ان يهجر كليمين ويبرح (نانت) فى الحال .. ويترك للايام أن تهدىء من غضب هيلين قبل أن يتجاسر على مقابلتها مرة اخرى .

* * *

حزم رايه على ذلك .. ولكنه عاد فتذكر امرا تذكر انه وعد كليمين بان يشهدها علي المسرح فى تلك الليلة ... والفرار منها بهذه الصفة يعتبر جبنا ونذالة .

ثم كان ما هو اكثر من ذلك .. فقد وجدت كليمين القحة فى ان تفاتحه فى امر مستقبلها .. وان تعرض عليه ان يذهب بها الى باريس حيث يعد لها منزلا .. ويتولاها بعنايته وحمايته حتى تصل الى كبريات المسارح الباريسيه .

اقترحت عليه ذلك فشجعها .. ولكنه لم يقطع على نفسه عهدا .

على انه اصبح من الضرورى الان — بعد ان اشبع نهمه منها ، وقرر ان يهجرها — اصبح من الضرورى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ان يصل معها الى حالة تفاهم .. ووجد ان شرفه يقتضيه ان يصفي الحساب ويوضح الموقف .

كان يعلم ان كليمين لن تقابل القطيعة بالهدوء والسكينة .. ولكنه كان يعلم كذلك ان المال يعمل مالا يعمله المنطق والاقناع الشفوى .

وعلى ذلك فانه صعد الى مركبته .. وامر السائق بان ينطلق به الى مسرح (فيدو)

. . .

وفى هذه الأثناء كان اندريه لويس نهبة اليأس والحنق بسبب رحيل كليمين مع المركيز دى لاتور .. وسكوت ابيها على هذه الفضيحة .

فكر فى الامر واطال التفكير .. ووجد ان كليمين ليست الجديرة باللوم .. فكل ما هنالك انه أخطأ في فهمها .. وانها ليست فى الواقع الا فتاة تعسة وضعيفة تحطمت سفينتها على صخرة الغرور والاغراء .. وقد حمد الله على انه استطاع ان يكتشف مواطن الضعف فى نفسها قبل ان تصبح زوجته .

استحال غضبه عليها الى اشفاق .. وتحول كل حنقه الى ابيها ..

وكان الجفاء الذى قام بين اندريه وليباندر فى البداية قد تحول اخيرا الى عطف متبادل . فقد كان كلاهما يعانى من ذات المرض .

وقد حدث فى احد الايام ان اقترب ليباندر من اندريه وقال له فجاة :

— كيف تجلس مرتاحا ناعم البال فى مثل هذه الظروف ؟

فاجابه اندريه فى هدوء :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ان الجو ظريف ..
ـــ انا لا اتكلم عن الجو يارجل
ـــ عن اى شىء تتكلم اذن ؟
ـــ عن كليمين طبعا .
ـــ اوه .. انها لم تعد تهمنى .
وكان كاذبا ..
ونظر اليه ليياندر مدهوشا وسأل :
ـــ لم تعد تهمك ! اليس فى نيتك ان تقترن بها ؟
ـــ هل قيل لك اننى آكل فضلات الناس ؟
ـــ يا الهى .. اليس لك قلب ياسكاراموش .
ـــ ماذا تريد منى ان افعل ؟
ـــ كنت اتوقع الا تدعها تفلت منك بسهولة .
ـــ ولكنها افلتت وانتهى الامر .
ـــ انك لا تحبها .. انا واثق انك لا تحبها .. ولا تعرف معنى الحب . والا ما تكلمت هكذا .
يا الهى . لو كانت خطيبتى وجدت هذا لقتلت الرجل الذى اغراها
ـــ يعلم الله اننى احببتها ايضا يالياندر .. وان الحب يجعلنى اشاطرك الرغبة فى القتل .. ولكن دم المركيز دى لاتور وحده لايطفىء ظمأى .. بل بودى ان اسفك كذلك قطرات الدم القذرة التى تجرى فى عروق ذلك الوغد بينيه .. ولكن ..
وهنا لمعت عيناه واستطرد :
ـــ هل تريد ان ترى ذلك المركيز الجميل الساحر وهو يمزق اربا ؟ سأجعلك ترى هذا المنظر
فنظر اليه ليياندر فى دهشة .. وذعر . وهتف :
ـــ وكيف ؟
ـــ هذا امر بسيط . انما يجب ان يكون معى من

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

يساعدني .. فهل تعيرني بعض مساعدتك ؟
ـــ ان حياتي رهن باشارتكياسكاراموش .. وحنقى على هذا الشقى الذى لوث الزهرة التى مازلت اعبدها لايقل عن حنقك .
ـــ اذن فهلم معى .. سادلى اليك ببعض التعليمات

* * *

ولما رجعا .. وجدا اعضاء الفرقة جلوسا حول مائدة الطعام . ولم تكن كليمين قد عادت بعد
كانت تبدو على وجوههم جميعا علامات الجمود والتبلد . والواقع .. ان العلاقة بين بينيه واعضاء فرقته كانت قد توترت فى المدة الاخيرة
جلس اندريه وليائدر فى مكانهما العادى .. فنظر اليهما بينيه فى خبث وقال :
ـ ارى ان اواصر الصداقة قد توثقت بينكما فجاة
فاجابه سكاراموش بصوت كانت نبراته فى ذاتها اهانة :
ـــ انت رجل ذكى يابينيه . ويجب ان تفهم السبب .
ـــ طبعا ..
ـــ اذن فانكر السبب لاعضاء الفرقة . هل انت متردد ؟ ؟ ايمكن لانسان مثلك ان يستحى . ويخجل ؟ !
ـــ ارى انك تتحرش بى .
ـــ ان الانسان لا يتحرش بمخلوق مثلك .
فضرب بينيه المائدة بقبضته وصرخ :
ـــ قبحك الله .. اذا اصررت على التحدث الى بمثل هذه اللهجة هشمت كل عظمة فى جسدك القذر .
ـــ اذا وضعت على اصبعا يابينيه . فاننى لا اتردد فى قتلك .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وابرز غدارته فى يده واستطرد :
ـــ اننى مسلح دائما يابينيه . فاحذرك ، واذا حاولت اثارتى كان جزاؤك القتل كالكلب النتن .
ان وجودك امامى كالجيفة يذهب بقابليتى للطعام .
ودفع صحفة الطعام بيده ونهض واقفا واستطرد :
ـــ ساتناول طعامى فى غرفة اخرى .
فقالت كولومبين :
ـــ ساذهب معك .
ونهضت .. وحذا الاخرون حذوها.وما هىالا دقائق حتى وجد بينيه نفسه وحيدا فى الغرفة .
كان لا يزال يفكر فى الموقف الجديد الذى اشعره بوجود مؤامرة ضده . حين فتح الباب . ودخلت ابنته كليمين .
كانت ممتقعة اللون قليلا .. وعلى وجهها علامات الذعر .. كانما ازعجها ان تواجه نظرات زملائها بعد غيبتها ذات المعنى .
ولكنها لم تر غير والدها فهتفت بصوت اجتهدت ان يكون طبيعيا :
ـــ اين الباقون ؟
فنظر اليها بينيه بعينين حمراوين . وراى ثيابها الجديدة الانيقة . والفرو الثمين الذى يحيط بعنقها البض .
كان يخيل للناظر اليها انها حسناء عريقة فى النبل .
كلا .. لا يجب ان يخاف المستقبل او يتزعج من الاعيب سكاراموش وامثاله .. طالما ان له ابنة كهذه .
بيد انه لم يعبر عن هذا الراى المطمئن .. بل بادرها بقوله :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ آه .. اري انك عدت اخيرا ايتها الحمقاء الصغيرة .. لقد خفت ان نتعطل الليلة من التمثيل بسببك .. والواقع .. اننى لم يعد يدهشنى شيء من تصرفاتك .. بعد اذ ضربت بنصائحي عرض الافق .. وذهبت تفعلين ما يوحيه اليك طيشك وغرورك .

فنظرت اليه فى شيء من الاحتقار وقالت :

ـــ اننى لست نادمة على شيء .

ـــ كذلك يقول جميع الحمقى .. ولكنك سوف تقدمين عندما تجدين انه كان يجدر بك ان تعملى بمشورة ابيك الذى حنكته التجارب . لو انك تركت المركيز على ولعه بك ، ولم تسمحى له باكثر من تقبيل يدك . اذن لهان عليك الحصول منه على ما تبتغين .. ولكنك اضعت الفرصة .. واضعتها الى الابد .. ولا ادرى الان ماذا يكون من امرنا اذا انحلت هذه الفرقة لسبب ما .

ـــ لم يعد يهمنى امر هذه الفرقة .. سأذهب الى باريس .. فهناك مسارح كثيرة عظيمة .. واذا لم أجد المسرح الذى يلائمنى .. فان فى الاستطاعة ان يكون لى مسرح خاص .

فلمعت عينا الرجل وهتف :

ـــ هل وعدك بذلك .. هل وعدك بأن يشيد لك مسرحا ؟

فاجابت وهى تبتسم :

ـــ انه لايرفض لى طلبا

. . .

كان هيبوليت وروهمون يستبدلان ثيابهما بعد الفصل الثانى . حين دخل عليهما اندريه ..

قال لهما :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ لو كنت مكانكما لما كلفت نفسى مؤونة استبدال ثيابي لتمثيل الفصل الاخير .. فاكبر ظنى ان التمثيل لن يتعدى المنظر الافتتاحى بينى وبين لياندر.

فساله هيبوليت :

ـــ ماذا تعنى ؟

ـــ سوف ترى .

واخرج من جيبه ورقة قدمها الى هيبوليت وقال :

ـــ القى نظرة على هذه الورقة . انها وثيقة . او وصية تتضمن نزولى لاعضاء الفرقة عن نصيبى فى الشركة .

فصاح هيبوليت فى جزع :

ـــ معنى ذلك انك ستتركنا ؟

والقى رودمون بعينه مثل هذا السؤال .

ولكن سكاراموش هز كتفيه ولم يجب .

قال هيبوليت :

ـــ ذلك ما كان منتظرا .. ولكن لماذا تذهب انت ولا يذهب بينيه ؟ انك انت الذى خلقت الفرقة .. كنت يدها العاملةوعقلها المفكر . فلماذا لا يذهب بينيه وابنته التعسة وتبقى انت ؟ كلا .. اذا ذهبت فسنذهب جميعا معك .

وقال رودمون :

ـــ نعـــم .. لقد سئمنا هذا الخنزير العجوز .

فاطرق سكاراموش براسه لحظة ثم قال :

ـــ ساتحدث معكم فى هذا اذا قدر لى ان اعيش .

فتبادل الرجلان نظرة ذعر .. ولكنهم سمعوا فى هذه اللحظة الطرقات الثلاث المؤننة بارتفاع الستار.

فقال سكاراموش :

ـــ يجب ان اذهب .. احتفظ بهذه الورقة على كل

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

حال ياهيبوليت . فانها قد تفيد .
وتركهما وانطلق .
واتم الرجلان استعدادهما بسرعة .. ووقفا وراء المسرح وانصتا .
سمعا الجمهور يصفق تصفيقا حادا .
كان تصفيقا حماسيا غير مألوف .
ثم طرق آذانهما صوت سكاراموش واضحا جليا كرنين الاجراس .
كان يقول :
ـــ نعم ياعزيزى لياندر .. متى تكلمت عن (مجلس الشعب) وجب ان يكون كلامك واضحا .. فما هو (مجلس الشعب) ؟
فاجاب لياندر :
ـــ لا شيء ..
وبدا جو المسرح فى هذه اللحظة مشحونا بالكهرباء .. وبدا ان حواس النظارة جميعا قد استحالت الى آذان .. وانهم حبسوا انفاسهم لسماع المحاورة .
قال سكاراموش :
ـــ واسفاه .. ذلك صحيح . ولكن ماذا كان يجب ان يصبح هذا المجلس ؟
ـــ كان يجب ان يصبح كل شيء .
وهنا دوى الهتاف والتصفيق بشدة .
قال سكاراموش :
ـــ وذلك صحيح ايضا . واصح منه انه لابد ان يصبح آخر الامر كذلك .. هل عندك شك فى ذلك ؟
ـــ كلا ..
فارتفع دوى التصفيق كقصف الرعود .
وهنا سمع هيبوليت وروسمون صوت بينيه وهو

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

يهمس خلفهما :

ـــ يا للشيطان .. لقد عاد الوغد الى خزعبلاته السياسية .

ومضى سكاراموش يقول :

ـــ مسيو لياندر ليس عنده شك فى ذلك . رغم انه من اولئك الذين يستمتعون بامتيازات النبلاء ..

هو يعلم الان مايعلمه الجميع .. من ان السوس قد نخر امتيازات الطبقة الممتازة وقوضها .. واذا اراد الدليل فاننى اقدمه اليه .. اذا اراد الدليل قصصت عليه قصة اولئك النبلاء الذين حاولوا مقاومة الانتخابات الشعبية فى مدينة (رين) منذ بضعة اسابيع . فاكتسحهم الشعب امامه كما لو كانوا من القاذورات . هل تريد ؟

وهنا صم اذنيه التصفيق وهتاف الاستحسان، فاضطر ان يصمت .

اردف بعد لحظة :

ـــ هل تريد ان احدثك عن انبل هذه القاذورات .. او اقذر هؤلاء النبلاء ؟

انت تعرفه .. انه يخلف اشياء كثيرة .. ولكن اكثر خوفه من صوت الحق . وهو لذلك قد اطلق اتباعه واذنابه لذبح الرعاع التعساء الذين وجدوا الجراة على ان يرفعوا اصواتهم .

غير ان اولئك الرعاع التعساء رفضوا ان يذبحوا فى شوارع (رين)

فكروا فى انه مادام النبلاء يصرون على سفك الدماء، فيجب ان تكون دماء النبلاء هى التى تسفك .

وهكذا استعد نبلاء الرعاع لمقابلة رعاع النبلاء .. واستطاعوا اخراج المركيز دى لاتور وحثالته من الميدان

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

مهشمى الرؤوس مبتورى الاعضاء هل سمعت عن هذا المركيز .. رب الحياة والموت ؟

وهنا دوى المكان بالتصفيق والصياح لحظة ثم استطرد سكاراموش :

ـــ لقد كان من المناظر البديعة ان ترى هذا الجبار العنيد يتوارى كالارنب فى احد اديرة الراهبات .. ولم تره مدينة (رين) بعد ذلك .. فهل تعرف اين اختفى هذا النبيل العظيم الذى اراد ان يرى شوارع (رين) تسبح فى دماء اهلها البواسل ؟ هذا الرجل الشجاع الذى كان يهون عليه ان يذبح الاطفال والشيوخ ليسكت صوت الحق والحرية ؟ انه اختفى هنا .. فى (نانت)

فاهتزت جدران المسرح بالتصفيق .. واستطرد سكاراموش :

ـــ تقول ان ذلك مستحيل ؟ كلا ياصديقى . انه هنا فى (نانت) بل انه هنا فى هذا المسرح .فى هذه المقصورة هناك . ان الخجل يمنعه من الظهور ، لانه رجل متواضع جدا .. انظر انه يتوارى خلف ستار المقصورة . هل لك ان تظهر نفسك لاصدقائك يامسيو دى لاتور ... ايها النبيل الذى يرى الفضاحة موهبة خطرة يجب القضاء عليها ؟ ان القوم هنا يريدون التحدث اليك . انهم لايصدقوننى حين اقول لهم انك هنا .

* * *

مهما قيل عن المركيز دى لاتور . فان الرجل لم يكن جبانا . ولم يكن قد جاء الى (نانت) ليتوارى فيها .

كان يسير فى شوارعها فى وضح النهار . ولكن اتفق ان اهلها لم يعلموا بوجوده بين ظهرانيهم .

وعلى الرغم من غالبية العنصر الشعبى بين النظارة .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وهو العنصر الذى اثار سكاراموش حماسته الى اعظم حدّ وعلى الرغم من محاولات الشيفاليه دى جابريلان. لقد نهض المركيز فجاة . وازاح الستار عن مقصورته ووقف ثابت الجنان فنظر نحو سكاراموش باحتقار وازدراء . ثم حول بصره الى النظارة .

قوبل ظهوره بالصياح . والهتافات العدائية . وراى الأيدي تلوح فى الهواء . والعصي تهتز فى الفضاء . وامتلأ جو المسرح بهذه الكلمات :

ـ ايها القاتل .. ايها الوغد .. ايها النذل . ايها الخائن .

ولكنه قابل العاصفة بجلد .. ولم يتلاشى الابتسام من شفتيه .

كان ينتظر أن تهبط العاصفة لكى يتكلم ولكنه انتظر عبثا .

وحدث التصادم المنتظر فى مثل هذه الظـــروف . وتبودلت الكلمات وجردت السيوف من اغمدتها. ورفعت المقاعد . وولولت النسوة وسط الهرج والمرج .

وانطلق من وسط المسرح مقعد قذف به احد النبلاء .. فكاد ان يصيب سكاراموش .

وظل سكاراموش واقفا على المسرح .. ينظر فى هدوء الى النيران التى اشعلها .

كان يعرف من اية مادة ملتهبة تتكون نفسية الجماهير. فأشعل النار عامدا فى هذه المادة .. وراى النظارة ينقسمون بسرعة البرق الى حزبين ..

هتف بعضهم :

ـ ليسقط الرعاع .

وهتف البعض الآخر :

ـ ليسقط النبلاء .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وصاح صائح :

ـــ الى المقصورة .. الموت لجزار (رين) .. الموت لدى لاتور عدو الشعب .

وهجمت طائفة من النظارة على مقصورة المركيز ، فاسرع بعض النبلاء واحاطوا بهذا الاخير .. وهجم بعضهم الاخر نحو المسرح للبطش بالممثل الجرىء الذي احدث هذا الانفجار . ولكن بعض (الرعاع) وقفوا في طريقهم ،

قال سكاراموش محدثا لياندر :

ـــ اظن ان الوقت قد حان لانصرافنا .

وكان لياندر ممتقعا .. مرتجف الاوصال .وقد إزعجته العاصفة التى اشترك فى احداثها .. فغمغم :

ـــ هلم بنا

ولكن بعد فوات الوقت .. فان بينيه كان قد تملص من ايدى هيبوليت ورودمون اللذين امسكا به فى أول الامر ، ومنعاه من دخول المسرح ..

تخلص منهما .. وهجم على سكاراموش وعصاه فى يده . وصاح به :

ـــ ايها الوغد الزنيم .. انك جلبت عليّ الخراب والدمار .. ولكن لابد ان تدفع ثمن هذا ..

واهوى عليه بعصاه .. فانكسرت العصا على كتف سكارامش ..

ولولا ان سكاراموش حرك راسه فى الوقت المناسب .. اذن لهشمت العصا جمجمته

اخرج غدراته من جيبه بسرعة البرق وصاح :

ـــ لقد سبق لى ان انذرتك ايها الكلب النتن

واطلق الرصاص .. فسقط بينيه على الارض وهو

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

يصرخ .

وكان هيبوليت اول من فطن الى دقة الموقف فقال محدثا سكاراموشى بسرعة :

ـ ايها الغبى .. هل كان من الضرورى ان تقتله .. اهرب الان اذا شئت ان تنجو بحياتك .

ووجد اندريه ان النصيحة فى محلها .. فعمل بها..

وكان نفر من النبلاء قد استطاعوا الوصول الى المسرح من خلال الكواليس. .وتقدموا يريدون الانقضاض على سكاراموشى .. ولكنه شهر غدراته وصاح بهم :

ـ افسحوا الطريق والا الهبت ادمغتكم .

ولفذ من احد الابواب الجانبية .. وانطلق فى الشارع قاصدا الى الحانة ليفوز بثيابه ونقوده .

القسم الثالث

السيف

الفصل الاول

مهنة جديدة

كان الكثيرون يبحثون عن اندريه لويس مورو لاسباب متعددة .

فكان شابلييه يبحث عنه ليرشحه لعضوية مجلس الشعب . ويجعله بذلك فى حصانة من سطوة القانون وبطش اعدائه الكثيرين

وبحث عنه المركيز دى لاتور .. ليثار منه بعد اذ أحرق الغوغاء قصره فى (تانت) فى تلك الليلة المشهودة.

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وبحث عنه محافظ (رين) .. لكى يضع حبل المشنقة فى عنقه .

ولم يكن (بينيه) أقل من هؤلاء جميعا رغبة فى مقابلة الرجل الذى حطم حياته .

ذلك ان بينيه ماكاد يبرأ من الجرح الذى اصابه حتى وجد نفسه وجها لوجه أمام الخراب ، فقد هجره أعضاء فرقته فى اثناء مرضه .. وداروا بهيبوليت الذى الف منهم فرقة قوية ناجحة .

وكان المركيز دى لاتور قد عجز عن مقابلة (كليمين) فى تلك الليلة التى حدثت فيها فتنة مسرح (فيدو) .. فبعث اليها بخطاب اوضح فيه قراره .. ورفه من وقع الكارثة عليها بمبلغ من المال ارسله لها .

ولكن على الرغم من ذلك احست الفتاة التعسة بأن حياتها تحطمت وقد اضافت هى ووالدها هذه الكارثة الى حساب سكاراموش .. ظنا منهما ان المركيز لم يتخذ هذا القرار الا بسبب الفتنة التى حدثت فى المسرح .. ولم يسع الاب وابنته الا الاعتراف فى مرارة بأن ذلك الوغد سكاراموش قد عرف كيف ينتقم لنفسه .

ونزولا على الحاح محافظ (رين) اهتم بوليس باريس اهتماما خاصا بالبحث عن اندريه .

ولكن جميع الجهود التى بذلها رجال البوليس ذهبت سدى .. رغم ان اندريه لم يبرح باريس منذ حادثة المسرح .

كان يقيم فى منزل بشارع (هازار) .. وهو آمن مطمئن لا يقض مضجعه ويعكر صفو حياته غير افتقاره الى المال .

تعذر عليه بعد ان انفق ماله القليل ان يزاول احدى المهنتين اللتين يجيدهما : المحاماة والتمثيل .. فعمد

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الى بعض امتعته فباعها .. ثم اشفق ان يموت جوعا فجازف بالخروج للبحث عن عمل .. او مغامرة جديدة.

سلقته المصادفات البحتة الى شارع ريشيليو .. وهناك وقع بصره — بطريق الصدفة كذلك — على اعلان مثبت بباب احد المنازل .

قرأ الاعلان .. وفهم منه ان مسيو برتران ديزامى مدير الاكاديمية الملكية للعب السيف يطلب شابا فى مقتبل العمر .. له دراية بلعب السيف

ورأى فى الجانب الاخر من الباب لوحة قد رسم عليها سيفان متقاطعان . وكتب عليها :

برتران ديـــزامى

• • •

وقف اندريه امام هذا الاعلان مفكرا

كانت تجتمع فيه الاوصاف التى يطلبها مسيو ديزامى فى الشخص الذى يريد استخدامه .. فهو شاب فى مقتبل العمر .. وله بعض الدراية بالعاب السيف .

وكان مظهر الاعلان يدل على انه الصق على الباب منذ بضعة ايام .. وهو امر يفهم منه ان الذين تقدموا للوظيفة كانوا قلائل .. وان مسيو ديزامى لابد والحالة هذه ان يتساهل فى اختيار الموظف المطلوب

ولم يكن اندريه قد تناول طعاما فى الاربع والعشرين ساعة الاخيرة ففكر فى انه لايخسر شيئا اذا عرض نفسه على مسيو ديزامى .. بيد انه يربح الشىء الكثير اذا وقع عليه الاختيار .

• • •

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

دخل المنزل .. ونفذ من اول باب صادفه .. ووجد نفسه فى غرفة فسيحة مؤثثة ببساطة .. فجلس هناك .. وراح ينتظر . وما لبث ان سمع فى الغرفة المجاورة وقع اقدام سريعة .. وصليل سيوف .. وعبارات كالتى يسمعها الانسان عادة فى مدارس اللعب بالسيف .. وفهم من كل ذلك ان مسيو ديزامى يلقى على احد تلاميذه درسا فى اللعب بالسيف

وبعد بضع دقائق .. ساد السكون فى الغرفة المجاورة . فادرك اندريه ان الدرس قد انتهى . وطرق الباب .

وعندما فتح الباب .. وجد اندريه نفسه امام رجل طويل القامة .. رياضى الجسم .. يناهز الاربعين من عمره يحمل فى احدى يديه حساما .. ويمسك باليد الاخرى قناعا كذلك الذى يستعمل لوقاية الراس والعينين من سن الحسام .

صعد الرجل اندريه من قمة راسه الى اخمص قدميه، ثم سأله فى أدب :

ـ هل من خدمة ياسيدى .

ومن المرجح انه اخطأ فى فهم الغرض الذى حمل اندريه على زيارته . ولا عجب .. فقد كانت ثياب الشاب لاتزال تحتفظ بجدتها واناقتها رغم سوء حاله . ولم يكن فى مظهره مظهر الشخص الذى يسعى الى الوظيفة المعلن عنها .

اجابه اندريه :

ـ اننى قرأت الاعلان المثبت بالباب ياسيدى ..

فلمعت عينا الرجل مما دل اندريه على انه كان

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

محقا حين استنتج ان الذين تقدموا الى الوظيفة كانوا قلائل

على ان نظرة الارتياح التى ارتسمت فى عينى مسيو ديزامى . تحولت فى التو واللحظة الى نظرة عجب ودهشة .

سأل :

ـــ وهل جئت فى طلب هذه الوظيفة ؟

فاجاب اندريه وهو يبتسم :

ـــ يجب على الانسان ان يعمل ليعيش .

ـــ ادخل اذن . واجلس . سأنظر فى امرك بعد لحظة .

فجلس اندريه على مقعد خشبى . واجال البصر حوله .

كانت الغرفة عارية من الاثاث منخفضة السقف . لا يزين جدرانها غير بعض السيوف والخناجر والخوذات . وغير صورة كبيرة تمثل رجلا ضخم الراس والانف . عرف فيه اندريه لويس السادس عشر ملك فرنسا

وودع مسيو ديزامى تلميذه . واغلق الباب . وعاد الى طالب الوظيفة

سأله وهو يجفف العرق المتصبب على جبينه :

ـــ اين تعلمت ؟

فهتف اندريه فى دهشة :

ـــ اين تعلمت ؟ اننى تلقيت العلم فى جامعة لويس لجران .

فقطب ديزامى حاجبيه وقال :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ انا لا اسالك اين تلقيت علومك العادية . ولكنى اسال فى اية اكاديمية تعلمت فن اللعب بالسيف ؟

ـــ اننى لم اتعلم هذا الفن فى احدى الاكاديميات .

ـــ اذن .. لماذا جشمت نفسك عناء الحضور ؟

ـــ ولكنك لم تشترط فى الاعلان ياسيدى ان يكون طالب الوظيفة بارعا فى اللعب بالسيف .. اننى اجيد اللعب بالسيف الى حد ما .. واستطيع ان اضاعف جهودى لاصل الى درجة البراعة المطلوبة .. اما باقى الشروط فمتوفرة عندى .. فانا مثلا شاب وفى مقتبل العمر كما ترى .

فابتسم ديزامى .. وصعد اندريه بعينيه ثم سأل :

ـــ ما اسمك ؟

فتردد اندريه لحظة ثم اجاب :

ـــ اسمى اندريه لويس .

ـــ فقط ؟

ـــ فقط ..

ـــ ان لهجتك تدل على انك من اهل مقاطعة (بريتانى) .. فلماذا غادرت مسقط رأسك ؟

فاجاب اندريه دون روية :

ـــ لاتجو بحياتى .

ثم استدرك على الفور :

ـــ لى هناك عدو

فقطب ديزامى حاجبيه وقال :

ـــ وقد فررت من عدوك ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ لك ان تقول ذلك .

ـــ انت جبان اذن ..

ـــ لا اظن ذلك .. ان عدوى من ابرع حملة السيف في (بريتاني) وربما في فرنسا كلها ... وشهرته فى ذلك واسعة .وقد خطر لى ان احضرالى باريس لاتعلم المزيد من فنون السيف .. ثم اعود الى عدوى واقتله .

هذا هو السبب الحقيقى فى ان اعلانك لفت نظرى .. وقد حسبت اننى استطيع الحصول على بعض المال بالاشتغال بالمحاماة . ولكنى لم استطيع . لان باريس حافلة بالمحامين . وقد انفقت كل نقودى .. قبل ان اتمكن من الحصول على عمل .

ـــ احقا ماقلت ياصديقى ؟

فاجاب اندريه وقد غلبت عليه طبيعة سكاراموش :

ـــ لاظل للحقيقة فى اية كلمة مما قلت

وظن حين نطق بهذه العبارة انه افسد كل شىء .. ولكنه كان واهما . فقد اغرق ديزامى فى الضحك حتى استلقى على قفاه .. ثم اعترف بارتياحه الى صراحة محدثه وامانته

قال له :

ـــ اخلع رداءك .. ودعنى اختبر مهارتك فى اللعب بالسيف .. لقد وهبتك الطبيعة قامة اللاعب الماهر .. فانت نحيف الجسم . خفيف الحركة .. طويل الساعد .. ولا ينقصك الذكاء .

وفى اعتقادى اننى استطيع تلقينك من اصـــول هذا الفن ما يساعدنى على الاستعانة بك فى تدريب التلاميذ الجدد قبل ان اشرع فى تدريبهم بنفسى .. ضع هذا

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

القناع على وجهك

فخلع اندريه معطفه .. ووضع القناع على راسه ، وتناول حساما .. وتبع ديزامى الى وسط الغرفة .. وهناك بدات المبارزة بين الرجلين .

وبعد عشر دقائق.. كان الاتفاق قد تم بينهما على ان يقوم اندريه بتدريب التلاميذ الجدد .. وتنظيف أرض الغرفة فى صباح كل يوم .. ومساعدة الزائرين على خلع معاطفهم وارتدائها .

وتم الاتفاق كذلك على ان يتناول اندريه خمسة جنيهات مرتبا شهريا وان يبيت فى المنزل اذا لم يكن له مأوى آخر .

كانت للوظيفة متاعبها .. وهوانها .. ولكن اندريه كان مضطرا .. وقد راى انه — لكى يشبع بطنه — يتعين عليه ان يبدأ بابتلاع كرامته .

قال وهو يبتسم :

— اتفقنا . ساخلع ثوب المحامى .. لأستعيض عنه بالسيف .. والمكنسة .

. . .

واقبل اندريه على عمله الجديد .. بمثل النشاط الذى ابداه على المسرح . وكان اذا فرغ من تدريب التلاميذ .. عمد الى مكتبة مسيو ديزامى .. وراح يلتهم محتويات الكتب التى تبحث فى فن اللعب بالسيف ، ولاحظ مسيو ديزامى استعداده وحماسته و أنه يستطيع ان يجعل منه مساعدا فنيا . فقال له :

— ان نشاطك واخلاصك يستاهلان اكثر من المرتب الذى اتفقنا عليه . ولذلك قررت ان اعوضك عن الفارق

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

بتقليدك اسرار هذا الفن .

وشرع يلقى عليه درسا فى كل صباح .. وادهشه التقدم الذى احرزه اندريه فى ايام قلائلا .. ولم يخطر له ببال ان اعظم الفضل فى هذا التقدم يرجع الى اهتمام اندريه بدراسة النظريات التى تحتويها كتبه وهى كتب لم يهتم ديزامى بقراءتها .. لانه كان رجلا عمليا .. يحتقر النظريات الكلامية .

وفى احد الايام .. اراد مسيو ديزامى ان يدرب مساعده كالمعتاد .. وشرع الرجلان يصولان ويجولان فى وسط الغرفة .. ولكن اندريه استطاع ان يصيب استاذه فى الدورة الاولى .. فضحك الرجل مسرورا وقال :

ـــ ارى انك تقدمت كثيرا ..

ولم تكد تبدأ الدورة الثانية .. حتى تمكن اندريه من اصابته مرة اخرى . فضحك ديزامى ايضا .. ولكن ضحكته كانت خالية من معانى السرور فى هذه المرة

وبدا الشوط الثالث . فنشط ديزامى للهجوم . واظهر براعة لم يعهدها فيه اندريه من قبل .. ولكنه استمر يدافع عن نفسه بخفة ورشاقة .. وانتهى الدور بفوزه

وعندئذ رفع ديزامى القناع عن وجهه .. ولاحظ اندريه انه ممتقع اللون بادى الانفعال

قال الرجل كانه لايصدق حواسه :

ـــ مامعنى هذا ؟

شعر لاول مرة منذ سنين بان كبرياءه قد خدشت .

اجابه اندريه :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ اننى اتدرب باستمرار . واعتمد على تفكيرى اكثر مما اعتمد على ساعدى .

ـــ اظن ذلك . . ومهما يكن من امر فاننى اعتقد اننى لقنتك مافيه الكفاية . ولست اريد ان يكون مساعدى ابرع منى .

فاجاب اندريه وهو يبتسم :

ـــ لاخطر من وراء ذلك . . الواقع انك اجهدتنفسك اليوم فى العمل . اما انا فكنت مستريحا . . وهذا هو سر نجاحى المؤقت .

* * *

وحرص اندريه بعد ذلك على أن يسمح لاستاذه بالتغلب عليه . حتى لا يثير غضبه وغيرته .

الفصل الثانى

عود الى التاريخ

استطاع اندريه لويس بفضل مهنته الجديدة ان يتوارى عن الانظار كما استطاع ان يرقب عن كثب تطور الحوادث الاجتماعية والسياسية التى انتهت اخيرا بانفجار بركان الثورة

راقب ازدياد البؤس والجوع فى باريس فى ابان الربيع . . وراقب حالة القلق والانتظار التى سادت فى باريس قبيل انعقاد المجلس الشعبى . وهو المجلس الذى تعلقت به الامال لتحسين الحالة المالية ومحو مساوىء النبلاء . وانقاذ البلاد من نير تلك الاقلية

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

المتبجحة التى تسخر أكثرية الشعب لرفاهتها .

واقبل شهر مايو اخيرا .. وانعقد مجلس الشعب. وعلى اثر انعقاده تطورت الحوادث تطورا طريفا .

كان المجلس قد تألف بحيث تكون للشعب فيه اغلبية واضحة تمكن ممثليه من الاضطلاع بالاصلاحات المرجوة. وقد ظن اندريه ان تأليف المجلس بهذه الطريقة يعتبر فوزا حقيقيا للامة .. ولكنه جهل وسائل النبلاء . ولم يحسب حسابا لسيطرتهم على الملكة المتعجرفة .. التى كانت بدورها تضع الملك فى جيبها .

ولم يكن لدى اندريه شك فى ان النبلاء سيذودون عن امتيازاتهم ويدافعون عنها باستماتة ولكن لم يخطر له ببال ان تتفتق اذهانهم عن تلك الحيـــل والالاعيب الشيطانية التى لجأوا اليها لتقويض مجلس الشعب . وجعله شيئا مهملا لاقيمة له .

شرع النبلاء يعرقلون اعمال المجلس بالامتناع عن حضور جلساته .. والاضراب عن تقديم اوراقهـم الشخصية .. وصكوك انتخابهم . وهو مالابد منه قبل ان يبدأ المجلس اعماله . وكانت هذه المناورة هى بداية النضال بين النبلاء والبلاط من ناحية . والمجلس والشعب من ناحية اخرى.

ولكن نواب الشعب ضبطوا مشاعرهم.. وصبروا..

صبروا بمثل الثبات الذى كان رائد الشعب الفرنسى خلال القرنين الاخرين .

صبروا شهرا كاملا ..

وفى خلال هذا الشهر .. حبس الناس انفاسهم فى انتظار الحوادث .. فركدت حركة الاعمال . وازداد

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

انتشار الفقر والجوع .

وفى خلال هذا الشهر .. حشد النبلاء فى فرساى (حيث كان يجتمع المجلس) جيشا مؤلفا من خمس عشرة فرقة .. ثلاثة ارباعها من الجنود السويسريين والالمان .

ولكن نواب الشعب لم يرتعبوا .. ورفضوا ان يروا الحراب الممددة اليهم .. والمدافع المصوبة نحوهم .

واخيرا .. اضطر نواب الامة ان يوجهوا الى ممثلى النبلاء ورجال الاكليروس دعوة رسمية لحضور اجتماع مجلس الشعب . وفقا لارادة الملك .

ولكن النبلاء أصروا على الرفض اعتمادا على الحراب والبنادق .

وهنا قال ميرابو العظيم : « يقولون ان نواب الامة لايستطيعون وحدهم ان يكونوا (مجلس الشعب) . وهذا حسن ، ولكن فى الاستطاعة ان يتالف منهم (المجلس الوطنى) »

وهكذا صحت عزيمة ممثلى ٩٦ فى المائة من ممثلى الشعب على تاليف مجلس خاص يسمى (المجلس الوطنى) .

وهز النبلاء رؤوسهم وضحكوا ساخرين .

فكروا فى خنق المجلس الجديد بطريقة فعالة .. هى غلق قاعة (مينوس بليزير) التى يجتمع فيها .

ولكن هل يحول غلق احدى القاعات دون تمثيل ارادة الامة ؟

وجد نواب الشعب القاعة مغلقة ومحاطة بالحراس المسلحين ... فهزوا رؤوسهم .. وقرروا الاجتماع

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

تحت الامطار فى ساحة (التنس) بفناء قصر فرساى .. وهناك اقسموا ان يواصلوا الاجتماع حتى يضعوا لفرنسا دستورا يقى اهلها سطوة الطغاة . واستبداد المستبدين

ولم تخل جعبة النبلاء من حيلة جديدة.فاعلن الكونته (دارتوا) عزمه على لعب (التنس) فى اليوم التالى.

وهكذا اخرج النوابمن ساحة التنس..كما اخرجوا قبلا من قاعة (مينوس بليزير) .. ولكنهم صبروا على هذا العدوان الجديد واجتمعوا فى كنيسة سان لويس.

وابتسم النبلاء .

حقا ان نواب الرعاع ليسوا على شىء من الكياسة .. فهم لايفهمون بالاشارة .

وتوسط مسيو نيكر فى الامر .. وكن النبلاء همسوا فى اذن الملك .. انه اذا كان ولابد من اجتماعهم مع نواب الرعاع فى مكان واحد .. فيجب ان يتجنب الرعاع عند الاشتغال بوضع الدستور كل ما من شأنه المساس بامتيازات النبلاء . وسيادتهم فى المناطق التى يملكونها.

ودعا الملك نواب الامة .. والقى فيهم بيانا بهذا المعنى . وختمه بهذا التهديد :

ـــ واذا رفضتم التعاون معى على هذا الاساس .. فساضطر ان اقبض على زمام الامر كله بيدى .. بصفتى الممثل الحقيقى للامة .

وخرج من المكان يتبعه النبلاء .. وعلى وجوههم علامات الفوز والشماتة .

غير ان نواب الامة التقطوا القفاز الذى رماهم به الملك . ورفضوا الجلاء عن القصر .. فجاء رئيس

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

التشريفات ليذكرهم بان الملك امرهم بالانصراف . فاجابه مسيو (بايلى) رئيس النواب :

ـــ يخيل الى ان الامة المجتمعة هنا لاتستطيع ان تتلقى الاوامر من احد

والتفت ميرابو العظيم الى رئيس التشريفات وقال بصوت كالرعد :

ـ اذهب الى أولئك الذين ارسلوك . وقل لهم اننا جئنا هنا بارادة الامة .. واننا لن نرحل الا أمام أسنة الحراب

واتصل النبأ بالشعب .. فانحدرت جموعه الى فرساى . واحتشدت فى حدائق القصر . وانضم اليهم جنود الحرس الوطنى الذين رفضوا اطلاق الرصاص عليهم . فدب الجزع فى قلوب النبلاء واشياع الملكة . وحملوا الملك على اصدار امره الى الحراس السويسريين والالمان بارغام الجمهور على التقهقر .. وكان تصادما .. قتل فيه كثيرون . وبينهم مسيو (ديزامى) القس .. الذى ساقه سوء حظه الى فرساى مع غيره ممن دفعهم الفضول الى مراقبة الموقف عن كثب .

ولكن الدماء التى سفكت فى هذه المذبحة لم تذهب هباء . لانها ارغمت الملك والنبلاء على النزول على ارادة الامة . فاجتمع مجلس الشعب واشترك فيه النبلاء ورجال الاكليروس . وبدا للوهلة الأولى ان السحب قد انقشعت .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصل الثالث

شابلييه

حزن أندريه لموت استاذه (ديزامى) . ولكن حزنه لم يمنعه من ازالة اسم الاستاذ عن اللوحة المثبتة بالباب .. والاضطلاع بمفرده بادارة الاكاديمية .

وكان شابلييه قد أصبح فى تلك الاثناء من أبرز النواب فى مجلس الشعب . فذهب اندريه لزيارته . وسر شابلييه بلقائه . وهتف به :

ـ اين كنت يارجل .. وماذا تفعل .. اننى ماتركت حجرا لم أقلبه فى البحث عنك .

ولم يجد اندريه ما يمنعه من ان يسرد على صاحبه كل ما اتفق له . فقال شابلييه :

ـ انك تدهشنى ياندريه .. من المحاماة .. الى التمثيل . الى السيف لست اعلم فى الحق الى اين ستنتهى .

فاجابه اندريه وهو يبتسم :

ـ الى المشنقة بطبيعة الحال .

ـ لماذا لا ترشح نفسك لعضوية مجلس الشعب..

ـ تلك هى اضمن طريقة للوصول الى المشنقة .

وضحك الرجلان . واستطرد اندريه :

ـ ولكنى لا ادرى فى الواقع لماذا تصر على ان تزج بى فى مضمار السياسة .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ لانك شاب موهوب . وقد خلقت للاشـــتغال بالسياسة .

ـــ انني خلقت لكى اكون (سكاراموش) . ولكن حدثنى ماذا عندك من انباء المركيز دى لاتور ؟

ـــ انه هنا فى فرساى .. وهو شوكة فى حلق المجلس .

لقد احرق الرعاع قصره فى (رين) . ولكن من سوء الحظ انه لم يكن موجودا بالقصر وقتذاك .

ـــ اذن فقد حدثت اضطرابات فى مقاطعة (بريتانى) ؟

ـــ الم يبلغك نباها ؟ ؟ الم تعلم ان الكونت دى كركاديو قد رحل بدوره الى (ميدون) ؟ !

ـــ كلا .. لم يبلغنى شىء من هذا .. اننى بمعزل عن العالم .. ولكن لماذا قصد الى (ميدون) دون غيرها ؟ !

ـــ لا اعلم .. كل ما اعلمه انه هجر (جفريلاك) عقب الاضطرابات مباشرة .

ـــ لاشك اذن انه لجا الى اخيه فى (ميدون) .

ـــ بل قل انه لجا الى بيت اخيه .. لان اخاه اتيان دى كركاديو هاجـر الى الخارج مع الـكونت دارتوا وغيرهم من النبلاء .. وهم الان فى المانيا ولا شك انهم يتآمرون ضد فرنسا .. فذلك مايفعله جميع المهاجرين هناك .

ان هذه الملكة النمسوية المتعجرفة التي تسيطر على لويس السادس عشر سينتهى بها الامر الى تقويض الملكية .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ماذا عندك ايضا من انباء جفريلاك .. هل ذهبت الانسة هيلين مع عمها ؟

ـــ وكيف اعلم ذلك .. اذهب بنفسك واستطلع الحقيقة .

* * *

وصحت عزيمة اندريه على استطلاع الحقيقة .

الفصـــل الرابـع

فى (ميـــــــدون)

نظر الكونت دى كركاديو الى اندريه من قمة راسه الى اخمص قدميه . وتجهم وجهه .. وسأل فى خشونة

ـــ ماذا جئت تفعل ياسيدى ؟

فاجاب اندريه فى خشوع وهو يحنى قامته :

ـــ جئت لكى اقبل يدك ياسيدى .

ـــ ولكنك قضيت بضعة شهور دون ان تقبلها .. هل ظننت انك تستطيع التكفير عن ذنوبك واساءاتك بالاختفاء هكذا بغير رحمه او شفقة . ودون أن تمكننا من ان نعرف هل انت حى او ميت ؟

ـــ لقد كان من الخطر على حياتى فى بداية الامر ان اصرح بمكان وجودى .. ثم لما زال هذا الخطر بعد الانقلابات السياسية الاخيرة .. وجدت نفسى فى حالة رثة .. فمنعنى كبريائى من ان الجا اليـــك فى طلب المساعدة .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فنظر الكونت الى ثيابه الانيقة وقال :

ـــ ولكن يخيل الى انك لست فى حالة رثة الان ؟

ـــ كلا .. ان عملى نا جح .. وذلك هو الفرق بينى وبين الفتيان المتمردين الذين لايعودون الى ذويهم الا عندما يشعرون باشد الحاجة الى المساعدة .. اما انا فلم يدفعنى الى العودة غير حبى لك .

ـــ مهما كان ما قاسيته فانه لايعادل ماتستحق من عقاب .. هل تظن انك بمثل هذا الايضاح الاجوف تستطيع ان تنال صفحى ؟

كلا ياسيدى .. انك ارتكبت اخطاء تعظم على الصفح .

انت واحد من اولئك الاوغاد الذى ساهموا فى احداث الثورة .

ـــ ان هؤلاء الاوغاد لم يفعلوا اكثر من المطالبـــة بالدستور الذى وعد به الملك .. والذنب فى الثورة ذنب النبلاء الذين ارادوا الحيلولة دون انفاذ وعد الملك

ـ ارى انك عدت الى التحدث فى الشؤون السياسية

ـــ كلا ياسيدى .. انما عدت لابرر موقفى..واتفاهم .. وقد قيل ان التفاهم هو الطريق الى الصفح .

ـــ لا سبيل الى صفحى ياسيدى .. كنت ارجو فى الشهور الماضية أن تكون قد مت .. ولكنك خيبت الان هذا الرجاء

نعـــم .. كان يحتمل ان اصفح عنك اذا مت .. ولكن يستحيل على ان اصفح عنك وانت حى

ان الباب مفتوح ياسيدى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وفى هذه اللحظة دوى فى الغرفة صوت تنم نبراته عن الدهشة والسرور معا :

ـــ اندريه !

والتفت اندريه .. فراى هيلين واقفة تنظر اليه بعينين لامعتين . وشفتين باسمتين

كانت قد سمعت الحديث الذى دار بين الرجلين .. فدخلت فى الوقت المناسب .

قالت لعمها :

ـــ عماه .. انك تخجلنى منك .. كيف تسمح للغضب ان يزعزع عطفك على اندريه ؟

ـــ اننى لا اعطف عليه .. لقد عطفت عليه فيما مضى .. ولكنه جحد بهذا العطف .. فليـــذهب الان الى الشيطان .

فقال اندريه فى ادب :

ـــ اذا سمحت بان تفهمنى ياسيدى ..

فقاطعه الكونت :

ـــ لقد فهمتك ياسيدى .. و .. ارجوك ان تنصرف

ـــ على رسلك اذن ياسيدى .. فقط ارجو ان تذكر دائما اننى لم اجئك فى طلب المساعدة .. ولم تسقنى اليك الحاجة .. فانا رجل موفور الحاجة فى غنى عن المساعدة .. انما جئتك بدافع من الحب الخالص .. وعاطفة عرفان الجميل .. وسوف اظل احبك واعترف بجميلك .

قال ذلك وانصرف ..

وساد الصمت فى الغرفة لحظة .. ثم هتفت هيلين :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ هذه قساوة ..

ووثبت الى الباب .. فقال الكونت :

ـــ الى اين تذهبين ياهيلين ؟

ـــ سوف لاتعرف اين نجده .

ـــ ومن ذا الذى يريد ان يجد هذا الوغد ؟

ـــ من المحتمل ألا نراه بعد الان

ـــ ذلك غاية ماارجو .

فضربت الفتاة الارض بقدمها .. وانطلقت فى اثر اندريه ولحقت به وهو يهم بالانصراف من الباب الخارجى هتف عندما رآها وقد انبسطت أسارير وجهه :

ـــ هيلين ..

ـــ لم اشأ ان اتركك تذهب هكذا .. اننى أعرف عمى اكثر مما تعرفه .. واعلم انه سوف يأسف .. ويذوب قلبه الكبير حنانا ..

ـــ اتظنين ذلك ؟

ـــ انا واثقة من ذلك .. انك جئت فى وقت سيء .. فهو شديد الانفعال منذ ايام .. ولاعجب .. فالرجل المسكين يجد نفسه الان بين محوطات لم يألفها وهو الذى قضى كل حياته فى قصره واملاكه فى جفريلاك .. فاخبرنى أين نستطيع ان نجدك اذا اراد عمى مقابلتك ؟

ـــ اننى اقيم برقم١٣ فى شارع هازار ؟ ..

فصعدته بعينيها وقالت :

ـــ يسرنى انك فى خير حال الان ياأندريه .. الا تعلم اننى كنت أتوق الى مقابلتك طيلة الشهور الاخيرة ؟ انك

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الشخص الوحيد الذى يتحدث الى فى صراحة وصدق .. وقد اغضبنى أنك لم تكتب الى وتنبئنى أين أستطيع ان اجدك .

فاجاب وهو يبتسم :

ـــ اننى لم أجد منك تشجيعا عندما تقابلنا آخر مرة فى (نانت) ..

ـــ بمناسبة ذكر (نانت) .. هل تستطيع أن تذكر لى بالضبط ماذا حدث فى مسرح (فيدو)

فدهش اندريه .. ولكنه سرد عليها تفاصيل الحادث على حقيقته .. واصغت اليه هيلين بانتباه .. ثم قالت:

ـــ ذلك ماانصل بى .. ولكن قيل لى كذلك ان المركيز دى لاتور لم يذهب الى المسرح فى تلك الليلة الا ليضع حدا للعلاقة بينه وبين تلك الفتاة .. فهل هذا صحيح ؟

ـــ لااعلم ..

ـــ لقد قال لى الكونت دى سوترون ان المركيز اقسم الا يرى تلك الفتاة ابدا .. ولكن ادهشنى انه ذهب اليها فى تلك الليلة بالذات .. واوشك ان يهلك فى الفتنة التى حدثت ..

ادهشنى وأثار استنكارى ان يخلف وعده بمثل هذه السرعة .. وعلى ذلك قررت الا اقابله ابدا .. ولكنهم حاولوا اقناعى بانه لم يذهب الى المسرح الا ليقطع الصلة بينه وبين تلك الفتاة ..

ـــ وهل اقتنعت ؟

ـــ أن المركيز اقسم على أن هذه هى الحقيقة ..

فقال اندريه ساخرا :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ مادام المركيز دى لاتور قد اقسم فان ..
فقاطعته :

ـــ انه لايكذب .. هل سمعت عنه مرة انه كذب ؟
فأجاب بلهجة جدية :

ـــ كلا .. انهذاالرجل وامثاله هممن القحةوالاعتداد بالنفس بحيث لايجدون مايحملهم على الكذب .. بيد أننى أعرف لهذا الرجل معائب اخرى اسوأ من الكذب..

ـــ ليس هناك ماهو اسوأ من الكذب ..

ـــ ارى انك تحاولين الدفاع عن هذا التعس المتبذل.

ـــ اننى احب الانصاف ..

ـــ لاشك عندى فى ان وجهه نظرك فى معنى الانصاف سوف تتبدل متى قررت حمل لقب (المركيزة دى لاتور) .

وكان فى لهجته شيء من المرارة فاجابت :

ـــ لااظن اننى ساقرر ذلك .

فانبسطت اسارير وجهه .. وهم بأن يلقى سؤالا آخر .. ولكنها عاجلته بقولها :

ـــ ولكن حدثنى .. ماذا صار اليه امر تلك الفتاة .. ابنة بينيه ..

ـــ لاعلم لى بشيء من امرها ..

ـــ كيف ذلك .. كنت اظن انك .. انك تحبها

ـــ وذلك ماظننته ايضا .. ولكنى كنت مخطئا .. والفضل للمركيز دى لاتور فى اننى عرفت الحقيقة .. هؤلاء النبلاء لهم فوائدهم فى بعض الاحيان .. فهم يساعدون الاغرار امثالى على ادراك الحقائق ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصـــل الخـامس

الكونتس دى بلوجاستل

اقبلت عليهما فى تلك اللحظة مركبة فاخرة يجـــرها جوادان فاخران .

وكانت تجلس فى هذه المركبة سيدة تناهز الخامســة والاربعين من عمرها .. ولاتزال تحتفظ ببقايا جمال قديم رائع ..

وراى اندريه ان هيلين تلوح بيدها لهذه السيدة . فقال :

ـــ دعينى اذن استأذنك فى الانصراف .. حتى يتسنى لك استقبال هذه الزائرة ..

فاجابته :

بل ابق ياأندريه ..أنت تعرف هذه الزائرة .. انها الكونتس دى بلوجاستل ..

فنظر الى السيدة .. وعرفها ..

كان يعرفها منذ صغره فقد كانت تحنو عليه وهو غلام .. وكان يطمئن اليها كلما زارت جفريلاك

وقد تذكر فى تلك اللحظة حادثا وقع منذ عشرة أعوام تقريبا ..

تذكر انها ضمته الى صدرها .. ونظرت الى عينيــه الواسعتين طويلا .. ثم قالت للكونت دى كركاديو :

ـــ اعطنى هذا الغـــلام .. ودعنى اذهب به الى (فرساى) واتبناه ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لم تكن قد رزقت اطفالا .. وكانت عاطفة الامومة تعتمل بقوة بين جوانحها ..

ولكن الكونت رفض طلبها .. فاكتأبت وقالت لاندريه وهى تنصرف :

ـــ تذكرنى فى بعض الاحيان ياأندريه لويس ..

ولاحظ ان الدموع كانت تترقرق فى عينيها ..

وقد انقضت بعد ذلك سنوات لم يرها اندريه فى خلالها .. ولكنه استطاع الان أن يعرفها ..

عانقت هيلين الكونتس .. وقالت لها وهى تشير الى زميلها :

ـــ هوذا اندريه لويس ياسيدتى .. فهل تذكرينه ؟

فنظرت اليه الكونتس فى دهشة . ثم احمر وجهها .. وقالت بصوت عذب تشعر نبراته بالارتياح والفخر:

ـــ اندريه لويس ..

وسعدتبعينيها الواسعتين .. ثم استطردت :

ـــ طبعا اذكره .

ومدت اليه يدها .. فتناولها باحترام وقبلها .

قالت :

ـــ اراك نموت وترعرعت..وبلغت مبلغ الرجولة .. لابد أن الكونت شديد الفخر بك .

فقالت هيلين :

ـــ لقد بلغ من فخره به أنه طرده اليوم .

فقطبت حاجبيها وقالت :

ـــ احقا تقولين ؟؟ يجب ان نعمل معا على اقناعه

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

بتغيير هذا القرار ياهيلين .. سأدافع عنك ياأندريه .. لكن مطمئنا ..

فشكرها . وودعها وهو يقول :

ـــ اننى واثق سلفا من حسن دفاعك .. فشـــكرا لك ياسيدتى

وقد دافعت عنه . .وكانت موفقة فى دفاعها .. لان الكونت دى كركاديو ذهب لزيارته فى باريس بعد يومين

الفصـــل السادس

رجال السياسة

ذهب شابلييه لزيارة اندريه فى احد الايام ومعه رجل قصير القامة قوى البناء يناهز الثلاثين من عمره .

كان اظهر مافى هذا الرجل بشاعته العجيبة . فهـــو صغير العينين ضخم الوجه .. بارز عظام الفكين .. مجعد الخدين .. يحيط بفمه جرح عميق ..

قدم شابليه هذا الزائر البشع الخلقة بقوله :

ـــ هذا صديقى دانتون .. وهو من زملائنا المحامين .. ولاشك أنك سمعت باسمه .

وكان أندريه قد سمع بشهرته كمحرض ثورى . فنظر اليه مرة اخرى وعجب للسر فى بشاعة أكثر زعمـــاء الشعب .

كان ميرابو وديمولان ومارا وروبسبير،يمتازون جميعا ببشاعة خلقة لاتقل عن بشاعة دانتون وجميعهم قد أكل

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الجدرى وجوههم فلم يتمالك اندريه من ان يسأل نفسه: ترى هل من اعراض هذا المرض انه يخلق نفوسا ثائرة متمردة !

قال دانتون بصوت كالرعد :

ـــ قال لى شابلييه هذا انك وطنى غيور .. وأن ..

ولم يجد اندريه غضاضة فى ان يقاطع زائره فى اول عبارة ينطق بها .. قال وهو يضحك :

ـــ اذا كان قد قال لك ذلك فقد ذكر اكثر من الحقيقة .. اننى وطنى ولكن تواضعى يدفعنى الى انكار باقى الصفات ..

فابتسم دانتون وقال بصوته الجهورى :

ـــ هل بلغك ماحدث فى المجلس امس ؟ لم يبلغك ؟ ياالهى .. اين تعيش يارجل ؟ هل سمعت ان ذلك الوغد الذى يدعو نفسه ملك فرنسا قد سمح للجيوش النمسوية بأن تعبر الاراضى الفرنسية لتسحق البلجيكيين البواسل الذين يطلبون الحرية ؟

فقال اندريه ببرود : نعم .. سمعت عن ذلك .

ـــ ومارايك فيه ..

فتحول اندريه الى شابلييه وقال :

ـــ لست افهم .. هل جئت بصديقك هذا لكى يسبر غور شعورى ويستطلع آرائى

فابتسم شابلييه وقال :

ـــ دعنى اتحدث اليه يادانتون .. انك لاتستطيع الوصول الى غرضك باختصار .. اصغ الى ياأندريه .. ان عدوان الملك على سلطة ممثلى الامة قد بدأت تشعر بأن هذا الرجل هو الد أعداء فرنسا .. وهذا الشعور قد ضاعف الهوة بين مندوبى الامة والنبلاء فى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

مجلس الشعب .. فأصبحت الحرب بين الطرفين علنيه

ـــ لقد كانت دائما كذلك

ـــ ولكنها تطورت فى الايام الاخيرة تطورا خطيرا .. لاشك انك سمعت بالمبارزة بين (لاميت) أحد نواب الامة وبين الدوق دى كاسترى ؟

ـــ انها مبارزة تافهة . وقد انتهت بجرح الاول

ـــ هذا صحيح .. ولكن كان من المحتمل أن تنتهى بقتله .. اضف الى ذلك أن النبلاء يتعمدون اهانة ميرابو كل يوم .. ولكنه يقابل الاهانه ببروده المعهود

غير أن جميع نواب الامة ليسوا فى مثل برودة .. فهم يقابلون الاهانة بالاهانة والصفعة بمثلها..والنتيجة انه أصبحت تقع مبارزة كل يوم بين أحد نواب الشعب .. واحد النبلاء ..

ولعلك تعلم ان غالبية نواب الشعب ممن لم يحملوا السيف فى حياتهم قط ..

فقال اندريه وقد جرى ذهنه الى حادث مصرع صديقه فلموران :

ـــ هذه خطة طريفة .. ولكنها قديمة .. وانى لاعجب كيف ان النبلاء لم يلجأوا اليها من قبل للتخلص من نواب الامة واحدا بعد آخر .

فصاح دانتون :

ـــ ولكن هاهم قد نشطوا الان لتعويض مافاتهم .. فهم يتحرشون بنواب الامة يمينا وشمالا ..

وقال شابلييه :

ـــ نعم .. وقد اصبحت الحالة لاتطاق .. ومنذ يومين رفع الكونت داميلى عصاه فى وجه ميرابو مهددا .. وبالامس نهض المركيز دى فوسينى وقال يحرض

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

زملاءه على القتل : « لماذا لاننقض على هؤلاء الاوغـــاد بسيوفنا » .. فاجابه (لاجرون) بكلام لم نسمعه

على ان لاجرون لم يكد يبرح المجلس حتى تحرش به أحد النبلاء واهانه وصفعه ودعاه الى مبارزته ..

ولم يكن لاجرون قد مس السيف فى حياته .. على انه لم يستطع ان يتجاهل الدعوة .. وكانت النتيجة انه قتل فى هذه اللحظة .

كانت كل كلمة من هذا الحديث تذكر اندريه بمصرع فلموران .. .. فاستولى عليه الغضـــب .. وضـــم اصابعه بقوة ..

ولاحظ دانتون ذلك فقال له :

ـــ والان مارايك فى ذلك ؟ الا ترى معى انه يجب مقابلة الشىء بالمثل .. وانه ينبغى علينا ان نتعامل معهم بمثل نقودهم .. ونقابلهم بمثل سلاحهم ؟

ـ ولكن كيف يمكن ذلك ؟

ـــ كيف ؟ ان كلامى واضح يارجل ..

ـ اننا من أجل ذلك قد جئنا نطلب مساعدتك .. فلابد ان يكون بين تلاميذك نفر من المخلصين تستطيع معهم ان تلقوا على اولئك النبلاء القتلة درسا لاينسونه

تلك هى الخطة التى تفتق عنها ذهن دانتون .

فقطب اندريه حاجبيه وقال :

ـــ وماهى خطة مسيو دانتون بالتفصيل ؟

فاجاب دانتون :

ـــ اليك خطتى .. تستطيع مع ستة من اعوانك ان ترابطوا امام المجلس عند انصراف الاعضاء .. وان تتحرشوا بستة من النبلاء قبل ان يتحرش النبلاء بنواب الامة .. وليس ايسر عليكم من ان تهينوهم وتدعوهم

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الى المبارزة

وفى اليوم التالى تعيدون الكرة .. وبهذه الطـــريقة نستطيع أن نتخلص يوميا من ستة من أولئك الانذال .. حتى نفنيهم عن آخرهم .

وكانت نظراته وحركاته تنم عن حماسته لهذهالفكرة.

اما اندريه فانه نظر اليه فاحصا ..

سأله دانتون :

ـــ مارايك فى هذه الخطة ؟

ـــ انها خطة بارعة جدا ..

وارسل بصره الى النافذة ..

ـــ اهذا كل رايك فيها ؟

ـــ لن اقول لك كل شىء .. لانك ربما لاتفهمنى .. على اننى التمس لك العذر يامسيو دانتون لانك لاتعرفنى .. ولكن انت ياشابلييه ماعذرك .. وكيف خطر لك ان تأتينى بصديقك ليعرض على مثل هذا الاقتراح ؟

فارتبك شابلييه قليلا واجاب :

ـــ الواقع اننى كنت مترددا ياأندريه .. ولكنمسيو دانتون ألح على . وقال ان الفكرة ربما تروقك .

فصاح دانتون :

ـ ألم تقل لى أنه وطنى غيور ياشابلييه ؟ ان الوطنية لايجب أن تعرف تبكيت الضمير بيد انك اخطأت حـــين وصفت بالوطنيه والغيرة هذا المخلوق الذى لايصلح لغير الرقص .

ـــ هل تطالبنى باسم الوطنية ياسيدى ان اصبح قاتلا ؟

ـــ ولم لا .. اننى شخصيا لاتمنى اكثر من أن انقض عليهم واهشم رؤوسهم بعصاى .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ولماذا لاتفعل ذلك ؟
ـــ لماذا ؟ لاننى اذا فعلت ذلك اعدمت شنقا .
ـــ ولماذا لاتعدم شنقا باسم الوطنية مادمت تعتقدان موتك يفيد الوطن ؟
ـــ ولكن حياتى اكثر فائدة للوطن .
ـــ اذن فاسمح لى ياسيدى بان اقول لك اننى مريض مثلك بداء الغرور .
ـــ ولكنى لارى خطرا عليك ياسيدى .. انك لن تعدم شنقا .. لانك ستقتل تحت ستار المبارزة .
ـــ ان استاذ اللعب بالسيف اذا بارز شخصا وقتله. كان ذلك فى نظر القانون جريمة قتل .. سيما اذا كان هذا الاستاذ هو الذى تحرش بغريمه ...
ـــ ياللشيطان .. اذن فانت خائف ..
ـــ قل ذلك اذا شئت .. قل اننى خائف من الاقدام بسلاح الغدر والخيانة على ماتخاف انت الوطنى الغيور من الاقدام عليه صراحة وعلانية ..

فحملق اليه دانتون بعينيه الصغيرتين ثم هتف :
ـــ فى الحق انك على صواب .. وانا المخطىء .. اننى وطنى ردىء مثلك .. بل وجبان مثلك .. الى اللقاء ياسيدى .. هلم ياشابلييه .. يجب ان نبحث باسرع مايمكن عن طريقة اخرى لقتل دى لاتور واصحابه

وهنا صاح اندريه :
ـــ من ؟

فنظر اليه دانتون فى دهشة واجاب :
ـــ كنت اتكلم عن المركيز دى لاتور .
ـــ وما الصلة بيه وبين الاقتراح الذى عرضته على فى التو واللحظة ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ انه زعيم العصابة التى تتحرش بالنواب
واستطرد شابلييه :
ـــ وهو الذى قتل لاجرون .
وساله دانتون :
ـــ هل هو صديقك ؟
فلم يجبه اندريه .. بل سال ببطء .. وبلهجة من يفكر جيدا فيما يقول :
ـــ وهل هو الذى تريدوننى على ان اقتله ؟
فاجاب دانتون :
ـــ نعم .. وهى مهمة لايصلح لها غير شخص على جانب عظيم من البراعة فى اللعب بالسيف .
ـــ آه .. ذلك يغير الموقف .. يجب ان افكر .. صبرا ..
ومشى الى النافذة وقد سقط راسه فوق صدره .
وتبادل شابلييه ودانتون نظرة ذات معنى .
اما اندريه .. فانه راح يسائل نفسه .. كيف انه لم يخطر له مثل هذا الخاطر من قبل ؟ ولماذا لم يتحرش بالمركيز ويدعوه الى المبارزة .. وبذلك يصفى الحساب الذى بينهما تصفية نهائية ؟
انه يستطيع ان ينتقم منه فى ظروف واحوال مشابهة للظروف التى قتل فيها فلموران .
تحول الى الرجلين .. فلاحظا انه شديد امتقاع اللون .
قال :
ـــ اعتقد انكم سوف تجدون صعوبة فى ترشيح احد النواب لكى يحل محل لاجرون .. ذلك لان الكثيرين لايميلون لدخول المجلس وتعريض صدورهم لسيوف

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

النبلاء .
فقال شابلييه :
ـــ هذا صحيح .
ثم فطن الى ما يجول فى خاطر أندريه لويس وهتف :
ـــ اندريه . هل توافق على . .
ـــ ذلك ماكنت افكر فيه . يكون لى فى المجلس مركز شرعى . وحتى اذا استهدف دى لاتور وامثاله لسيفى كان الذنب ذنبهم .
فقال شابلييه :
ـــ اذن فاطمئن . . ساعمل على ترشيحك وساهتم بالامر كل الاهتمام ولن ينقضى اسبوعان حتى يكون كل شىء قد تم .
ـــ اتفقنا اذن .
فشد دانتون على يده وقال :
ـــ انت شاب ذكى . . ماذا كنت تفعل قبل اشتغالك بتعلم ألعاب السيف ؟!
ـــ كنت محاميا . . ثم ممثلا . . ولكن الا تعتقد ان هناك وجوه شبه عديدة بينى وبينك ؟
ـــ وكيف ؟؟
ـــ لقد حدث فى وقت ماانني فعلت ماتفعله انت الان . . اذ ذهبت احرض الناس على قتل الرجل الذى اريد له الموت . .
ستقول ان ذلك هو عين الجبن . وانا لااعارضك .
كانت الاشارة صريحة . وقد توقع شابلييه ان ينقض دانتون على محدثه .
ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . . فقد ضحك دانتون حتى اهتزت نوافذ الغرفة وقال :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـ لازلت اقول انك ذكى يافتى .. فقد استطعت ان تهيننى بلباقة وكياسة .. كلا .. يجب ان نصبح اصدقاء .. اننى اقيم فى شارع كوردلييه .. واى وغد يستطيع ان يرشدك الى منزل دانتون .. فتعال يوما لزيارتى

الفصل السابع

الذبائح

قال رئيس مجلس الشعب يقدم النائب الجديد :

ـ مسيو اندريه لويس مورو . النائب الجديد عن دائرة (اللوار) خلفا للمرحوم مسيو لاجرون

فتحولت جميع الانظار الى الشاب وهو يصعد الى المنبر ..

وكان المركيز دى لاتور غارقا فى تأملاته .. فرفع راسه ..

كان من الطبيعى ان يدفعه الفضول الى تأمل النائب الجديد الذى حل محل قتيله .. بيد انه لم يكد يسمع اسم اندريه لويس مورو حتى تجهم وجهه .. ثم ازداد تجهمه حين عرف فى النائب الجديد .. غريمه الزنيم الذى اعتاد ان يتحرش به فى كل مناسبة

خيل اليه ان انتعال اندريه حذاء لاجرون .. هو فى ذاته تحرش له معناه .

صعد اندريه الى المنبر وتكلم قائلا :

ـ ان لى شرف تمثيل مقاطعة (اللوار) فى هذا المجلس عوضا عن النائب السابق الذى (قتل) منذ ثلاثة اسابيع

وكان لكلمة (قتل) وقعها المطلوب .. فتعالت اصوات الاحتجاج من مقاعد النبلاء .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وابتسم اندريه وقال موجها كلامه الى رئيس المجلس
ـــ يخيل الى أن حضرات السادة النبلاء لم يرقهم كلامى .. ولاعجب فحضرات النبلاء معروفون بكراهيتهم للحق ..
فقهقه نواب الشعب ضاحكين .. وزمجر النبلاء .. وارتفع صوت المركيز دى لاتور قائلا :
ـــ أيها المهرج .. هذا ليس مسرحا للتمثيل ..
وسمع اندريه عبارته فاجاب :
ـــ كلا ياسيدى .. هذا مسرح للصيد والقنص وذبح الادميين .
فارتفع الهتاف من مقاعد النواب . ونظر شابليه الى صديقه وابتسم .. ورفع ميرابو العظيم رأسه متطلعا الى النائب الشاب .
ودق رئيس المجلس الجرس بشدة . وقال محدثا النائب الجديد :
ـــ اذا أردت أن تسمع ياسيدى فارجو أن تعدل عن لهجة التحرش .. وأنتم ياحضرات النبلاء .. ارجوكم أن تضبطوا مشاعركم اذا اردتم المجلس على أن يستمر فى عمله ..
فقال اندريه :
ـــ سأحاول ان اطيع ياسيدى وان اترك التحرش للسادة النبلاء .. واذا كان فى كلامى معنى التحدى فاننى اعتذر ، بيد انه كان من الضرورى ان اقول كلمة فى تأبين سلفى العظيم . ولم يكن ثمة مناص من أن اشير الى حادث مصرعه .
لقد كان النائب لاجرون نبيل الخلق مخلصا غيورا .. وكان موهوبا بفصاحة من النوع الذى يقول خصومه انه خطر ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وهنا عض المركيز دى لاتور شفته واستطرد اندريه:
ـــ يوجد هنا نفر لايريدون أن يفهموا أن الغرض من انعقاد هذا المجلس هو سن قوانين عادلة تتساوى أمامها طبقات الشعب .. هذا النفـــر لايريدون قوانين على الاطلاق .. وانما يريدون دماء ، ولهذا النفر أتصـــح باجتناب البطش والعدوان ، وبالرضوخ للعقل والمنطق
وهنا غمغم دى لاتور :
ـــ قبحه الله من وغد زنيم ..
فقال الشيفاليه دى جابريلان :
ـــ دعه يقول ماشاء .. فأكثر ظنى أن المجلس لن يسمع صوته بعد الان .. اننى ساتولى أمره
وماكاد الاجتماع يرفض حتى اقبل النواب على اندريه يهنئونه ..

كانوا يعلمون ماسوف يكون من أمر النبلاء معه .. فاحاطوا به احاطة السوار بالمعصم .. كأنما ليدفعوا عنه الاذى ..

وهكذا انصرف اندريه من المجلس بين رهط من النواب .. غير ان الشيفاليه دى جابريلان كان له بالمرصاد ..
كانت السماء تهطل مدرارا .. فخرج الشيفاليه من بين زملائه النبلاء وانحرف نحو اندريه مسرعا كأنما يريد اجتناب المطر .. وتعمد وهو يفعل ذلك أن يصدم اندريه بشدة ..

وأدرك النواب أن دى جابريلان هو الذى وقع عليه الاختيار للبطش باندريه .. وفهم اندريه ذلك .. وشعر بالحزن واليأس .. لانه كان ينتظر شخصا آخر غير الشيفاليه ..
بيد أن دى جابريلان أساء فهم علامات الاسى التى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

رآها على وجه أندريه .
قال له هذا الاخير فى ادب :
ـــ اظن انك دفعتنى بيدك ياسيدى ..
ودفعه بدوره الى عرض الطريق حيث كان المطـــر يهطل ..
قال الشيفاليه :
ـــ اننى أبحث عن ملجأ من الامطار يا سيدى ..
ـــ تستطيع أن تفعل ذلك دون أن تقف على قدمى ياسيدى .. كفى لاأريد أن اسمع منك كلاما ..
ـــ اننى لاأكلمك أيها الحقير .
ـــ كيف ؟ حسبتك تريد أن تعتذر ..
فضحك الشيفاليه وقال :
ـــ أعتذر ؟ .. لك ؟ .. انك مخلوق مضحك .
وتقدم مرة اخرى ليتقى الامطار .. ومرة اخـــرى دفع أندريه بشدة ..
صاح أندريه فى غضب :
ـــ انك تضايقنى ياسيدى .. قلت لكلاتدفعنى هكذا .
قال ذلك بصوت مرتفع يسمعه الجميع .. ودفـــع الشيفاليه بكل قوته الى الخلف .
تراجع الشيفاليه الى الوراء .. وتصادف ان ارتطم قدمه بحجر .. فسقط على الارض وسط الاوحال ..
وهنا قهقه جميع الذين شهدوا هذا المنظر ..
ونهض الشيفاليه وهو يرغى ويزيد .. ووثب على أندريه وهو يصيح :
ـــ آه .. يجب ان تدفع ثمن هذا .. يجب ان تقابلنى وسيفك فى يدك ..
فضحك اندريه . وقال بصوت واضح جلى يســـمعه

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الجميع :

ـــ اهذا ماترمى اليه ؟ ولكن لماذا لم تتكلم بصراحة منذ البداية . وتوفر على نفسك تلويث ثيابك الانيقة بالاوحال .

فصاح الشيفاليه :

ـــ متى تريد أن تصفى الحساب ؟

ـــ فى أى وقت تريد ياسيدى .. لك وحدك أن تحدد الوقت الذى يروقك فيه أن تقتلنى .

ـــ ليكن ذلك غدا صـــباحا .. فى غابة بولونيا .. ويحسن أن تبحث لنفسك عنّ صديق يرافقك ويكون شاهدك .

ـــ حسنا ياسيدى .. الى اللقاء فى الساعة التاسعة من صباح الغد .

ـــ فى الساعة التاسعة .. هذا وقت متأخر ؟

ـــ ليس فى استطاعتى أن اقابلك قبل ذلك ياسيدى.

ـــ ولكن يجب أن أكون فى المجلس فى الساعة التاسعة

ـــ يتعين عليك ان تقتلنى ياسيدى .. وانا لاأحب أن اموت قبل الساعة التاسعة ..

فصعده الشيفاليه بعينيه .. ثم قال :

ـــ حسنا .. فى الساعة التاسعة .. وسترى انكنت تسمعنا صوتك بعد ذلك ..

ومضى وسط هزؤ النواب وسخريتهم

ضحك النواب ساخرين هازئين .. ولكنهم كانوا فى الواقع يرتجفون خوفا واستنكارا .. فقد قتل لاجـــرون

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

منذ اسابيع .. وهاهو خليفته يوشك ان يقتل بنفس الطريقة .

حاولوا ان يثنوا اندريه عن مقابلة الشيفاليه فى الموعد المحدد وبذلك يفوت عليه الفرصة التى يريد انتهازها لقتله ، وقد اصغى اليهم اندريه. ثم هز راسه . ووعدهم بان يفكر فى الامر .. .

ولكن عندما اجتمع المجلس فى صباح اليوم التالى ، لوحظ ان مقعده خال ، وكذلك كان مقعد الشيفاليه دى جابريلان ..

استولى القلق على النواب .. وجرت المناقشات فى جو مشبع بالانزعاج ..

كان القليلون جدا يتوقعون عودة اندريه ، فلما عاد بعد الساعة العاشرة ببضع دقائق ، تنفس الكثيرون الصعداء ..

قصد الى مقعده تتبعه عيون النبلاء والنواب على السواء ..

وكان احد النبلاء فى تلك اللحظة واقفا فى منصة الخطابة .. فكف عن الكلام .. ونظر نحو اندريه كانه لايصدق حواسه .. او كانه يرى شبحا .

وتصدى احد النبلاء لتفسير هذه الظاهرةفقال بصوت سمعه الجميع :

ـ لاشك انهما لم يتقابلا .. لاشك انه جبن وفر .

وقال النواب لانفسهم :

ـ لابد ان يكون الامر كذلك .

وكان اندريه قد سمع ماقيل .. فتريث لحظة قبل ان

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

يجلس .. وقال موجها كلامه الى رئيس المجلس :

ـــ اقدم اليك اعتذارى ياسيدى عن حضورى بعد الموعد ..

ولم يكن هناك مايدعو الى هذا الاعتذار .. ولكنها طبيعة سكاراموش كانت لاتزال تغلب عليه ..

استطرد :

ـــ لقد عوقنى عن الحضور موعد هام .. وانا احمل اليكم كذلك اعتذار الشيفاليه دى جابريلان .. فهولسوء الحظ سيتخلف الى الابد عن حضور اجتماعات هذا المجلس ..

وجلس وسط السكون التام ..

الفصل الثامن

مبارزات

لم يختلف اثنان من النواب فى مصير اندريه

كان الجميع واثقين ان النبلاء لن يغفروا له انه خضب سيفه بدم احدهم .. وقد حدث ماتوقعوه فانه لم يكد يبرح المجلس حتى وجد فى انتظاره نفرا من النبلاء يترصدونه وينظرون اليه شذرا ..

بحث بينهم عن عدوه اللدود .. المركيز دى لاتور .. ولكنه لم يجد له اثرا ..

بدا له ذلك غريبا شاذا .. فقد كان الشيفاليه دى جابريلان قريبا للمركيز ومن اعز اصدقائه .. فكان

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

جديرا بالمركيز فى هذه الظروف ان يكون اول المتحرشين به ..

هز كتفيه .. ولم يحفل بمن يكون ضحيته الثانية ..

بيد انه لم يكد يتقدم بضع خطوات .. حتى تحرش به الفيكونت دى لا موت .. الذى اشتهر ببراعته فى اللعب بالسيف ..

كان غرض الفيكونت جليا واضحا .. وقد عرف كيف يصل اليه

وفى اليوم التالى .. حضر اندريه الى المجلس متأخرا ساعة (كالمعتاد) ونعى الفيكونت الى المجلس بمثل العبارات التى نعى بها الشيفاليه دى جابريلان ..

وفى اليوم الذى يليه .. وهو يوم الخميس .. نعى الى المجلس الكونت فيدام دى بلافون ..

وفى يوم الجمعة .. انبأ المجلس بان المركيز دى تروا كانتين قد عوقه عن الحضور فى الوقت المحدد .. وختم كلامه بقوله :

– ويسرنى ان انبئكم ايها السادة بان المركيز دى تروا كانتين هو الان تحت اشراف جراح من ابرع الجراحين .. ويرجو هذا الجراح ان يتمكن المركيز من مغادرة الفراش بعد ستة اسابيع .

نظر النبلاء الى بعضهم البعض فى دهشة مقرونة بالوجل .. ثم نظروا اليه كما ينظرون الى مخلوق خارق للطبيعة ..

أما النواب .. واكثرهم ممن يعبدون العقل والمنطق دون القوة .. فلم يسعهم بدورهم الا أن يرمقوه باحترام واعجاب ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وطار صيت اندريه من المجلس الى باريس .. وكتب عنه كاميل ديمولان فى جريدته «الثورات»

ولشد ماكانت دهشة اندريه عندما انصرف من المجلس فى يوم السبت فلم يجد احدا من النبلاء فى انتظاره ..

قال محدثا شابلييه :

ـــيخيل الى انهم قنعوا بما اصابهم ..

فاجابه شابلييه :

ـــ بل اظن انهم سيوجهون اهتمامهم الان الى غيرك ممن لا يستطيعون الذود عن انفسهم . .

بيد أن هذا الفوز المبين كان ابعد من أن يرضى أندريه .. ذلك لانه بدأ هذه المغامرة الجديدة ونصب عينيه غرض معين ..

شعر بالارتياح الى حد ما بعد ان فتك بالشيفاليه . والواقع انه لم يكن قد نسى الدور الذى لعبه هذا الشيفاليه فى المبارزة التى ذهب ضحيتها فلموران ..

ولكنه لم يكن يطلب دم الشيفاليه وحده ..

حانت منه التفاتة فرأى جماعة من النبلاء يتحدثون تحت ظل احدى الاشجار . ورأى المركيز دى لاتور بين هذه الجماعة .

كان المركيز ممسكا فى يده بنسخة من جريدة تنطق بلسان النبلاء . وكانت هذه الجريدة قد نشرت فى ذلك اليوم مقالا عن اندريه فماطلت اللثام عن حقيقته .وذكرت انه يدير مدرسة للعب بالسيف ..

ووجد اندريه ان الفرصة سانحة للتحرش بالمركيز .. فتابط ساعد شابلييه .. واقترب معه من جماعة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

النبلاء وقال بصوت مرتفع كأنه يحدث صاحبه :

ـــ لقد كنت اخشى ان اقضى كل حياتى فى الذهاب الى غابة بولونيا والعودة منها . ولكن الظاهر ان مخاوفى لم تكن فى موضعها ..

ونظر من طرف عينيه ..ليرى تاثير عباراته فىنفوس جماعة النبلاء .

تحولوا جميعا . .ونظروا اليه .. ولكنهم لم يفعلوا اكثر من ذلك ..

وجد لزاما عليه ان يقوم بمحاولة اخرى . فقال :

ـــ ولكن اليس منالمدهش الايقوم قاتل لاجرونبتجربة حظه مع خليفة لاجرون !

احدثت هذه العبارة تاثيرها المطلوب .. لانه سمع فى الحال وقع خطوات تقترب منه .. ثم أحس بيدتوضع على كتفه بشدة ..

نظر خلفه وراى نفسه وجها لوجه أمام المركيز دى لاتور ..

كان المركيز هادئا ثابت الجنان . لاتنم تقاطيعه عن الغضب او الانفعال .

قال المركيز :

ـــ اظن انك تكلمت عنى .

ـــ اننى تكلمت عن احد القتلة .. وكنت اكلم صديقى هذا ..

ـــ ولكنك تكلمتبصوت مسموع ..

ـــ كل انسان حر فى ان يسمع مايروقه او لايروقه.

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ يخيل الى انك ترمى الى اهانتى ..

ـــ انك مخطىء يا سيدى.المركيز .. فأنا لا ارمى الى اهانة احد ولكنى لااطيق ان ارى يدا توضع على كتفى بمثل هذه الشدة .. سيما اذا كنت لاعتبر هذه اليد نظيفة ..

اهتزت اهداب المركيز .. ولكنه ضبط نفسه وقال :

ـــ انك وصفتنى بأننى قاتل لاجرون .. وليس فى وسعى ان اتجاهل غرضك .. سيما وقد سبق ان قلت لى شيئا بهذا المعنى فى مناسبة اخرى .

ـــ يسرنى انك قوى الذاكرة ياسيدى المركيز .

ـــ انك وصفتنى وقتئذ بأننى قاتل .. لاننى شهرت سيفى فى وجه فتى احمق . .ولكن ماقولك فى نفسك يااستاذ اللعب بالسيف . حين تشهر حسامك فى وجوه من هم اقل مهارة منك بطبيعة الحال ؟

ـــ عفوا ياسيدى المركيز .. انهم الذين شهروا سيوفهم فى وجهى هم الذين تحرشوا بى .. واهانونى.. وصفعوا وجهى .. وداسوا على قدمى ..

ـــ ولكنهم ، كما قلت ، اقل منك مهارة . وهم لا يعيشون بالسيف مثلك .

ـــ ولكنهم يموتون به .. ويموتون به بسهولة عجيبة .. ولا شك انك لا ترغب فى ان يضاف اسمك الى مجموعة اسمائهم .

فاحمر وجه المركيز وهتف :

ـــ ولماذا ؟ ارجوك ان تذكر لماذا ؟

فرفع اندريه حاجبيه وقلب شفتيه . وقال ببطء :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ لانك تفضل الضحايا السهلة .. امثال لاجرون وفلموران .

وهنا صفعه المركيز . فتراجع اندريه خطوة . ولمعت عيناه .

ـــ ارى انك لست اعقل من سنواك . ولكن تأمل كيف يعيد التاريخ نفسه .

ان فلموران التعس لم يطق الكذبة الخبيثة التى احرجت صدره بها فصفعك .. وانت لم تطق الصدق الصريح الذى واجهتك به فصفعتنى .. فانت المسىء فى الحالين ياسيدى ولكنى على استعداد لمقابلتك اذا رغبت ؟

ـــ وهل ارغب غير هذا ؟

ـــ اذن فقد قرر لى ان انطلق الى غابة بولونيا فى كل يوم .. واسفاه على ضياع الوقت .. هل تتقابل غدا فى الساعة التاسعة يا سيدى ؟

ـــ كلا .. لا استطيع مقابلتك غدا .. فان لدى موعدا لا يمكننى تأجيله .

ـــ على رسلك اذن ، فلتكن المقابلة بعد غد .

الفصل الرابع

عودة المركبة

كان اندريه يرتدى ثيابه .. استعدادا لمقابلة المركيز دى لاتور فى غابة بولونيا حين انباه الخادم بقدوم الانسة هيلين دى كركاديو ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

اسرع لاستقبالها .

كانت تبدو على وجهها وفى حركاتها علامات الانفعال الشديد .

قال لها اختصارا للوقت :

ـــ لست اتظاهر بانني اجهل الغرض من قدومك، ولكني ارى ان الوقت ضيق ،ولا يسمح باطالة الحديث، لماقنعنى بذكر ما تعتقدين انه على جانب عظيم من الاهمية.

ادهشتها هذه المقابلة الجافة ، وهى التى عهدته ـــ فيما يختص بها ـــ رقيقا متواضعا دمث الخلق .

والواقع .. ان اندريه تعمد ان يكون جافا .. ذلك لانه اخطأ فى فهم شعورها .. كما اخطأ فى فهم شعور الكونت دى كركاديو حين تسلم رسالته فى اليوم السابق، فقد الحف عليه الكونت فى رسالته بان يتجنب مبارزة المركيز ، وقد ظن اندريه ان الكونت لم يبعث اليه بتلك الرسالة الا اشفاقا على حياة المركيز .

وقد ظن الان .. ان هيلين انما جاءته لتضم صوتها الى صوت عمها .. فتطالبه بان يفر كالجبان . حرصا على حياة الرجل الذى يعرض عليها ثروته الواسعة . ولقبه الرنان .

ملاه هذا الظن غضبا كما غضب حين قرأ رسالة الكونت دى كركاديو ولكنه ضبط شعوره . بفضل براعته التمثيلية العجيبة .

ولاحظت هيلين هذا الهدوء العجيب . فهتفت :

ـــ يا الهى . كم انت هادىء يا اندريه ؟

ـــ اننى لا انزعج بسهولة والحمد لله .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ولكن هذه المبارزة لا يجب ان تقع يا اندريه .

واقتربت منه . والقت بيديها على كتفيه . ونظرت اليه فى توسل .

سالها فى برود :

ـــ هل تعرفين سببا معقولا يبرر عدم وقوعها ؟!

فاجابت وشفتاها ترتجفان :

ـــ يحتمل ان تقتل فى هذه المبارزة يا اندريه .

فحملق فى وجهها كانه لا يصدق اذنيه . ثم توهم انه فهم .. وضحك وقال وهو يزيل يديها عن كتفيه :

ـــ اتحسبين انك تنجحين بارهابى .

ـــ انت مجنون يا اندريه..فالمركيز دىلاتور مشهور بانه من ابرع رجال السيف فى فرنسا .

ـــ الم تلاحظى قط ان الشهرة تقوم فى الغالب على الوهم ؟ كان الشيفاليه مشهورا بالبراعة .. وكذلك كان جميع الذين تحرشوا بى فىالمجلس ..ولكنهم هلكوا جميعا بحسام المحـــامى الريفى الذى كانوا يطمعون فى قتله ..

كلا يا عزيزتى .. اذا كان لديك سبب آخر فاذكريه.

نظرت اليه . ولم يخدعها هدوءه .

كانت تعلم انه ممثل بارع . وانه يستطيع ان يظهر غير ما يبطن .. فطمأنينته اذن زيفاء .

سالته :

ـــ هل تسلمت رسالة عمى ؟

ـــ نعم .. وبعثت اليهبالرد ..وهو يتضمن الرفض.

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ اعلم ذلك .. ولكن لا تنسى انه هدد بان يقطع صلته بك اذا انت تبارزت مع المركيز .. وفى اعتقادى انه سينفذ هذا التهديد .

ـــ ذلك هو الاعتبار الوحيد الذى يزعجنى ويضايقنى .. ولكنه لن يردنى عن مبارزة المركيز ..

ان بينى وبين المركيز لاتور حسابا طويلا .. وهذه افضل فرصة لتسويته ..

ثم ابتسم واستطرد :

ـــ ولكن حدثينى .. لماذا تطالبيننى بالامتناع عن المبارزة .. ولا تطالبين المركيز بذلك ؟

فاطرقت براسها واجابت :

ـــ لقد طالبته ..

ـــ وماذا كان جوابه ؟

ـــ انه رفض .. قال ان مركزه . . وسمعته لا ..

ـــ آه .. مركزه وسمعته .. ما ابهظ الثمن الذى سيصون به هذا المركز وهذه السمعة . .

ثم نظر الى ساعته وقال :

ـــ ارجو المعذرة يا هيلين . لقد حان الوقت .. اعتبرى هذا المنزل كانه منزلك .. اما انا فسأذهب.. الى اللقاء ..

لم تجبه . وظلت فى مكانها جامدة لا تبدى حراكا .

تهالكت فى احد المقاعد اخيرا . وراحت تفكر .

يجب ان تنقذه .. يجب ان تفعل شيئا لانقاذه .

كانت تعلم ان المركيز خصم عنيد .. وقد حاولت فى اليوم السابق ان تقنعه بالعدول عن المبارزة .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

قالت له ان تلك المبارزة لن تكسبه مزيدا من الشرف. ولكنه اذا انتصر كان معنى انتصاره القضاء على حياة شاب تعطف عليه .. وتعتبره اخا لها .

ولما اصر المركيز على موقفه .. وضعت مستقبلها وسعادتها فى الميزان وافهمته فى لباقة وكياسة ان وقوع المبارزة سوف يجعل من المتعذر عليها ان تفكر فى الاقتران به ..

ولكنه لم يتحول عن عزمه .. وانصرف وتركها تتميز غيظا وحنقا وخجلا .

وانها لا تزال تفكر ماذا يجب ان تصنع .. اذا بها تسمع وقع حوافر جياد فى الخارج . ثم حركة وقوف مركبة بالباب .

وبعد لحظة سمعت صوتا تلقايسال الخادم عن سيده .. ثم هتف هذا الصوت :

ـــ يا الهى ؟ خرج ؟ ومتى ؟ واية طريق سلك ؟ وهنا فقط عرفت هيلين صوت الكونتس دى بلوجاستل .. وادركت انها انما جاءت تسعى لمثل غايتها .. وتعمل للحيلولة دون وقوع المبارزة .

لم تجد فى ذلك شيئا من الغرابة .. فقد كانت تعلم عن الكونتس شدة عطفها على اندريه .

اسرعت اليها وهى تهتف :

ـــ سيدتى .. سيدتى ..

وكانت الكونتس منقلبة السحنة .. تنظر حولها فى حيرة وذعر شديدين ..

هتفت بدورها :

ـــ هيلين انت هنا .. هل جئت ايضا بعد فوات الوقت ؟

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ كلا ياسيدتى .. بل جئت فى الوقت المناسب . ورجوته .. وضرعت اليه .. ولكنه ابى ان يصغى .

ـــ هذا مخيف . ان عمك لم يتصل بى الا منذ ساعة .. اواه يا الهى .. لو اننى علمت قبل ذلك ؟؟

يجب ان نحول دون هذه المبارزة مهما كلفنا ذلك .. اين ستكون المبارزة . ومتى ؟

فاجابها الخادم :

ـــ فى غابة بولونيا . فى الساعة التاسعة .

ـــ يا الهى . ان الساعة الان التاسعة . وغابة بولونيا واسعة مترامية الاطراف . ومساحتها لا تقل عن نصف مساحة باريس .

ووثبت المراتان الى المركبة . وامرت الكونتس السائق بقولها :

ـــ اسرع الى غابة بولونيا . يجب ان نبحث عنهما .

وتهالكت هيلين بجانب الكونتس . وغمغمت فى حنق ويأس :

ـــ من يعلم ان كنا نصل فى الوقت المناسب .. ان امثال هذه المبارزات لا تستغرق وقتا طويلا .

فارتجفت الكونتس وصاحت :

ـ اصمتى بالله ، لا تقولى هذا الكلام .

واطلت من النافذة بقلق .. وراحت المركبة تشق طريقها الى غابة بولونيا .

ولما بلغت الى حافة الغابة . وقف السائق حائرا لا يدرى اين يذهب وكانت حيرة المراتين لا تقل عن حيرته .

وامرت الكونتس سائقها بان ينطلق فى الغابة .كيفما اتفق . فاطاع . وتوغلت المركبة فى الغابة ثم عادت

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ادراجها فى الطريق الذى اجتازته .. والمراتان فى داخلها تلهثان قلقا وانفعالا .

واخيرا لاحت لهما مركبة قادمة من احد اطراف الغابة .. فهتفت هيلين :

ـــ ها هى مركبة .. يا الهى ترى مركبة ايهما .

وتداعت قواها .ولم تستطع مواجهة المفاجأة المنتظرة .. فدفنت رأسها بين كفيها . وهتفت بصوت مرتجف :

ـــ حدثينى .. ايهما القادم .

واقتربت المركبة .. ومرت بهما .. ورات الكونتس وجه المركيز دى لاتور ..

كان شاحب اللون .. وقد شد ساعده الى عنقه بقطعة من الحرير .

هتفت الكونتس :

ـــ يا الهى .. دى لاتور .

وهنا سقطت هيلين على ارض المركبة واغمى عليها ..

الفصـــل العاشر

الكبرياء المحطمة

وصل اندريه وشاهده شابلييه فى الوقت المناسب فوجدا دى لاتور وشـــاهده الكونت دورميســـون فى انتظارهما .

وبعد الاجراءات التمهيدية المألوفة .. خلع الخصمان معطفيهما ووقفا وجها لوجه .. وفى قبضة كل منهمـــا سيف طويل رفيع النصل .. وبدات المبارزة .

حبس شابلييه ودورميسون انفاسهما ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

لم يسمعا غير صليل السيفين .. ولم يرياغير الوميض السريع الذى ينبعث من النصلين .

كان المركيز يقاتل بقوة وعنف .. فشعر اندريه منذ البداية بانه يقاتل خصما لا كسائر الخصوم الذين تعاهم من قبل للمجلس .

وقد عمل المركيز منذ البداية بالنظرية القائلة ان الهجوم هو خير وسيلة للدفاع . فراح يهاجم خصمه بكل ما اوتى من قوة وبراعة .. وقنع اندريه بالدفاع .. حتى ينهك المركيز نفسه .. وعندئذ يشرع فى مهاجمته ..

وقد سدد المركيز الى خصمه طعنتين نجلاوين .. استطاع هذا الاخير ان يتجنبهما ببراعة .

كان اندريه يبتسم طول الوقت .. فلما فوت على المركيز طعنتيه .. ضحك بصوت مرتفع فأثارت هذه الضحكة حنق المركيز .. وضاعف هجومه ..

كان قد دخل هذه المبارزة وهو عالم سلفا بالنتيجة .. اما الان .. فان ثقته فى نفسه بدأت تتزعزع .. وشعر بانه انما يقاتل فى سبيل الحياة .

واخيرا اقدم اندريه على المناورة التى ادخرها للوصول الى نتيجة .. فكشف ساعده الايسر لخصمه .. وظن المركيز ان الفرصة قد سنحت . فمد قدمه الى الامام .. وبسط ساعده بسرعة .. آملا ان يطعن ساعد خصمه . .

وكان المركيز مقتنعا بانه سيصيب خصمه فى هذه الطعنة .. ولذلك فانه سددها دون ان يعبأ بما يكون بعدها .. فكشف نفسه لخصمه .

ولكن اندريه تجنب الطعنة ببراعة . وقال وهو يضحك :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ كن على حذر ياسيدى .. انك كشفت نفسك .. ولست اريد ان آخذك على غرة .

وتراجع متعمدا ليمكن المركيز من تدارك نفسه . فغمغم شابلييه :

ـــ يا للشيطان .. هذا التعس يداعب الموت ..

أما اندريه .. فانه نظر الى وجه المركيز الممتقع وقال :

ـــ لقد أردت ياسيدى ان اشعرك بمعنى العجز فى الدفاع عن نفسك كما شعر بذلك فلموران .. اما وقد اشعرتك بذلك .. فخذ هذه الطعنة القاضية .

وطعن خصمه بسرعة البرق .. وفاز ولكنه فوز كالهزيمة .. ذلك ان المركيز استطاع ان يتجنب الطعنة الى حد ما فلم يصب النصل الا ساعده .. تحت الكتف .

وسقط الحسام من يده .. وتراجع اندريه الى الوراء وهو يعض شفته .

وخف دورميسون الى المركيز وهو يهتف فى قلق .

ـــ هل جرحت ؟

فاجاب المركيز وهو ينتفض والدماء تسيل من جرحه :

ـــ اظن ذلك ..

ولكنه ضبط نفسه بسرعة .. ومد ساعده الى دورميسون فضمده .

وبعد لحظة كانت المركبة تنطلق بهما من الغابة .

اما اندريه .. فإنه **وقف جامدا فى مكانه** ..

كان انتصاره قذى فى عينه .. ورمادا فى حلقه .. فهو لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى .

ظل هكذا جامدا فى مكانه .. حتى سمع صوت شابلييه يقول له :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ هلم بنـــا ..

واقتربت مركبتهما من المـكان الذى وقفت فيـــه مركبة المركيز دى لاتور .. وهناك راى منظـــرا ايد ظلنونه .

راى المركيز جاثيا بجانب الكونتس . وامامهما جسم هيلين .. وهى لا تزال فى حالة اغماء .

قال بمرارة :

ـــ يا الهى .. ماذا كان يصيبها لو اننى قتلته ..

الفصل الحادى عشر

الثـــورة

لم ير المركيز دى لاتور بعد ذلك فى مجلس الشعب .. والواقع ان الجرح الذى اصاب ساعده كان بسيطا .. غير ان الجرح الذى اصابه فى كبريائه كان بليغا .

وقد انتشرت اشاعة بانه هاجر من فرنسا . ولكن هذه الاشاعة كانت نصف الحقيقة . اما الحقيقة كلها فهى ان المركيز انضم الى تلك الفئة من النبلاء التى راحت تقطع المسافة بين قصر (التويلرى) ومدينـة (كوبلنز) ذهابا وايابا . وتنقل تعليمات الملكة مارى انطوانيت الى اعداء فرنسا الذين يتحفزون فى الخارج لاكتساحها تدعيما لمركز العرش فيها .

وهذه الفئة من النبلاء هى التى عجلت بتقـــويض العرش فى فرنسا .

وكان مجلس الشعب قد فرغ من المهمة التى اجتمع لاجلها . وهى وضع دستور يساوى بين الطبقـــات

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

المحكومة .

وارفض المجلس بعد ان وضع هذا الدستور . وانتخب المجلس النيابى الذى كان الغرض منه انقاذ البلاد من البؤس ومراقبة نظام الحكم .

ولكن النواب الذين اجتمعوا فى هذا المجلس كانوا اضعف من ان يقاوموا نفوذ الملكة وسوء نية الملك .

والواقع .. انه لم يكن فى نية الملك ان يغير من النظام القديم شيئا فهو لا يزال يحرم على غير النبلاء قيادة الجيش والظهور فى البلاط وتقلد وظائف الحكومة .

وايقن الشعب ونوابه من سوء نية البلاط .. واضطربت الخواطر من جديد .. ونشط دانتون وروبسبير ومرابو وكاميل ديمولان وغيرهم من الزعماء للحض على الثورة .. وساء الموقف اكثر مما كان فى اى وقت مضى .

ثم زاد الطين بلة ذلك البيان الذى أصدر من (كوبلنز) باسم ملكة النمسا . وملك المانيا . وهو البيان الذى ذكر فيه انهما يلقيان مسئولية جميع الاضطرابات التى تحدث فى فرنسا على كاهل المجلس النيابى والمجالس البلدية وجنود الحرس الوطنى .. وانهما معتزمان مقاومة هذه الاضطرابات بالاجراءات العسكرية . واخذ المسئولين عنها بكل شدة .

ويقول المؤورخون ان هذا البيان قد وضع فى قصر (التويلرى) وان يكن قد ارسل من (كوبلنز) .. وان الذى وضعته هى الملكة مارى انطوانيت واذنابها من النبلاء .

ومهما يكن من امر فقد كان هذا البيان بمثابة عود ثقاب وضع فى برميل من بارود .. فقد انفجرت

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الثورة على اثره فى باريس .. وامتد لهيبها الى سائر المقاطعات .. وقام الشعب وزعماء الثورة لدفع العدو الذى يهدد بالهجوم من الخارج .. والبطش بالنبلاء الذين يتآمرون فى الداخل مع العدو .

الفصل الثانى عشر

جواز المرور

كانت هيلين قد ذهبت لزيارة الكونتس دى بلوجاستل فى باريس قبيل تلك الايام العصيبة .

وعلى الرغم من وفرة الاعراض التى تنذر بقرب انفجار البركان فان البلاط الملكى ظل يحتفظ بظواهر السرور والطمأنينة .

وكان الكونت دى بلوجاستل — وهو احد النبلاء الذين جعلوا من انفسهم حلقة اتصال بين الملكة واعداء فرنسا فى الخارج — قد سافر الى (كوبلنز) بعد أن طمأن زوجته الكونتس . وأفهمها أن البلاط لا يتمنى اكثر من ان تقوم الثورة .. لتكون سببا مبررا لاكتساح الجيوش النمسوية والالمانية ارض فرنسا لتدعيم العرش .. والبطش بالثوار .. فاطمأنت الكونتس .. وراحت تقضى الايام مع هيلين بين قصرها والبلاط .

ولكن الكونت دى كركاديو الذى استطاع بعزلته عن النبلاء ودماثة خلقه ان يكتسب صداقة الناس من جميع الطبقات فى (ميدون) علم فى الوقت المناسب من مسيو (روجان) عمدة (ميدون) بالسحب التى تتجمع فى الافق . فبعث بابن العمدة الى باريس برسالة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الى الكونتس دى بلوجاستل . يطلب اليها فيها ان ترسل هيلين فى الحال الى (ميدون) وينصح للكونتس فى ذات الوقت ان تبرح باريس اذا كانت تحرص على حياتها ..

وكانت الكونتس من ناحيتها قد لاحظت من الظواهر ورات من الاضطرابات فى الشوارع ما اشعرها بالخوف على حياتها .. فقررت الرحيل بصحبة هيلين والشاب روجان (ابن العمدة) الى (ميدون) .

ولكن هذا القرار جاء بعد فوات الوقت .. وبعد ان اغلقت ابواب باريس .. وجوصرت المدينة برجال الثورة .. وأصبح من غير المسموح به لكائن من كان بمغادرة العاصمة الفرنسية دون ترخيص من احد مكاتب الثوار .. فلما ارادت الكونتس الخروج من المدينة .. وطولبت بتقديم اوراقها الشخصية .. وعلم الموظف المختص باصدار جوازات المرور انها زوجة الكونت دى بلوجاستل المتهم بالتآمر مع الاعداء ضد الوطن .. ابتسم لها ابتسامة غامضة . وسألها :

— والى اين تريدين الذهاب ؟

فاجابت :

— الى (ميدون) .. فى صحبة الانسة دى كركاديو .

— هذا سبب تافه .. فى استطاعتكما البقاء فى باريس .. ان ابواب المدينة لا تفتح .. والحواجز لا ترفع .. الا امام الذين يتقدمون بادلة تثبت اهمية رحيلهم .

وهكذا تعذر على المراتين الخروج من جوف البركان .

ولكن ذهن روجان الشاب تفتق عن حيلة . قال :

— ان ابى هو عمدة (ميدون) .. وفى الاستطاعة

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ان احصل منه على ثلاثة جوازات مرور .. للدخول الى باريس والعودة منها .

فسالته الكونتس فى قلق :

ـــ وهل يوافق على اعطائك هذه الجوازات ؟

ـــ سأحاول ان اقنعه . .

ـــ اذن جرب ان تاتى معك بجواز رابع لخـــادمى المخلص جاك .

وانطلق الشاب فى مهمته . وعادت المراتان الى قصر الكونتس .

الفصل الثالث عشر

جواز المرور

كان اندريه قد رحل الى مقاطعة (اللوار) قبـــل ذلك بايام لاعمال خاصة بالانتخابات . فاتصل به وهو هناك نبأ الاضطرابات فى باريس .. فعاد ادراجه مسرعا ليكون الى جانب زملائه روبسبير ودانتون وشابلييه .

ولما وصل الى (ميدون) خطر له ان يستفسر من عمدة المدينة عن حقيقة الانباء . فعلم منه ان بركان الثورة قد انفجر فعلا . وان الثوار قد استولوا على المدينة . وان الدخول الى المدينة او الخروج منها اصبح مستحيلا الا بترخيص خاص . وذلك منعا للملك والملكة من الفرار . وللنبلاء من الانضمام الى اعداء الوطن .

وهم اندريه بالانصراف . ثم جرى ذهنه الى الكونت دى كركاديو فسأل العمدة :

ـــ الا يزال الكونت دى كركاديو فى (ميدون) ؟ !

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ هل تعرفه ؟ !
ـــ انه الذى انشأنى وربانى ؟
ـــ ربك وانشاك ! وانت الان احد نواب الامة . هذا بديع .. انك الرجل الوحيد الذى يستطيع اخراجه من المازق .

ثم قص عليه كيف اراد الكونت استقدام هيلين وكيف استحال ذلك .. ثم قال :

ـــ وقد عرض على ابنى اقتراحا يؤسفنى اننى لا استطيع تنفيذه .. لانه يعرض مركزى وحياتى للخطر ..

وبعد نصف ساعة .. كان اندريه فى قصر الكونت دى كركاديو ..

لم يكن قد قابله منذ مبارزته مع المركيز دى لاتور .. فاستقبله الكونت بمثل الجفاء الذى استقبله به فى المرة السابقة .

سأله :

ـــ ماذا تريد يا سيدى ؟

فأجابه فى تواضع :

ـــ جئت اعرض عليك خدماتى يا سيدى .
ـــ لقد طالت غيبتك حتى رجوت الا تزعجنى ابدا .
ـــ لم يكن بودى ان ازعجك .. لولا شعورى باننى قد اتمكن من خدمتك .. أن مسيو روجان حدثنى ..
ـــ أنا لست بحاجة الى خدماتك يا سيدى .
ـــ اننى احد نواب الامة .. ولى بعض السلطة . وانا الان عائد الى باريس .. فهل استطيع خدمتك حيث فشل زوجان ؟ اذا صح ما اتصل بى من انباء الثورة كان من اوجب الواجبات ان نسارع الى انقاذ

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

هيلين .

ولم يسع الكونت الا التسليم بغير قيد ولا شرط .

اثر به وفاء ربيبه . فالقى بيده على كتفه وقال بصوت يرتجف من التاثر :

ـــ يا ولدى .. ان فى نواحى خلقك نبالة لا يستطاع انكارها .. واذا كنت قد قسوت فى معاملتك فما ذلك الا لرغبتى فى انقاذك من اولئك الاشرار الذين نجحوا لسوء الحظ فى زعزعة الحياة فى هذه البلاد ..

فلم يحاول اندريه مناقشته وقال :

ـــ لنتكلم عن هيلين اذا شئت ياسيدى .. انها فى باريس الان .. ويجب انقاذها باسرع ما يمكن .. والخطة التى اقترحها روجان الشاب . هى افضل خطة ممكنة فى الوقت الحاضر .

ـ ولكن روجان الشيخ لا يريد تنفيذها .

ـ تعنى أنه لا يريد تنفيذها على مسئوليته .. بيد انه وافق على تنفيذها على مسئوليتى .. وقد تركت له ورقة اقرر فيها انه اصدر جواز مرور للانسة هيلين دى كركاديو على مسئوليتى . .ونزولا على ارادتى بصفتى من نواب الامة .

ـــ وهل معك هذا الجواز .

فرفع اليه اندريه ورقة تناولها الشيخ النبيل بيد ترتجف وقراها على ضوء الشموع بامعان .

قال اندريه :

ـــ اذا بعثت روجان الشاب بهذا الجواز فى الصباح. فان هيلين تصل الى هنا قبل الظهر .. ومن المؤكد اننا لا نستطيع عمل شىء هـذا المساء حتى لا نثير حولنا الشبهات .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وبسبب هذا الجواز ياسيدى قد دخلت منزلك رغم اوامرك .. فاذاكنت بحاجة الىخدمة اخرىاستطيعها. فاذكرها قبل ان انصرف .

ـــ ولكن هذا الجواز لشخص واحد يا اندريه ..الم ينبئك روجان بان هناك شخصين آخرين ؟

فقاطعه اندريه :

ـــ انه حدثنى عن الكونتس دى بلوجاستل وخادمها.

ـــ اذن لماذا لم ..

ـــ هذا مستحيل ياسيدى ..

فانقلبت سحنة الكونت وهتف :

ـــ مستحيل ؟! لماذا ؟

ـــ ياسيدى .. اننى فعلت من اجل هيلين ما فعلت دون ان اخالف ضميرى .. بل لقد كنت اخالف ضميرى وافعل كل شىء من اجل هيلين ..اما من اجل الكونتس فالامر يختلف . ذلك لان هيلين او احـــدا ممن تنتمى اليهم لم يتهم بمقاومة الثورة ومؤازرة اعداء الوطن اما الكونتس فانها زوجة رجل معروف بانه رسول البلاط الى اعداء الوطن .

فصاح الكونت :

ـــ ولكن ليس من العدل ان تؤخـذ السيدة التعسة بجريرة زوجها .

ـــ هذا صحيح .. ولكن من المحتمل فى كل وقت ان تدعى الكونتس امام الثوار لتثبت براءتها من اعمـــال زوجها .

ومعـلوم الان انها فى باريس . فاذا دعيت غـدا وثبت انها خرجت من المدينة . اجرى التحقيق فى الحال واسفر عن اتهامى بسوء استغلال سلطة مركزى ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وفى ذلك من الخطر ما فيه .. وهو خطر اربا بك ان تورطنى فيه من اجل امراة اجنبية عنا .

فهتف الكونت بلهجة التانيب :

ـــ اجنبية عنك ؟ ؟

ـــ انها كذلك بالنسبة الى .. صحيح انها احدى صديقاتك .. وانها كانت تعطف على .. ولكنها فى الواقع غريبة عنى .

فقال الكونت بصوت مضطرب :

ـــ ان ما ذكرته الآن عن زوجها يخيفنى : ويحتم انقاذها من باريس باسرع ما يمكن .. يجب انقاذها يا اندريه .. ان حالتها ادق واوجب بالعناية والاهتمام من حالة هيلين .

كان وجهه شاحبا .. ويداه ترتجفان . وراى اندريه على جبينه بعض قطرات العرق . ولكنه قال :

ـــ اننى افعل كل شىء فى حدود العقل والمنطق يا سيدى . ولكنى لا افعل هذا .. ان انقاذ الكونتس قد يؤدى الى ضياع هيلين .. وضياعك .. وضياعى .

ـــ يجب ان تقدم على هذه المجازفة .

ـــ انت تتكلم عن نفسك طبعا ياسيدى .

ـــ بل وعنك كذلك يا اندريه .. فثق بكلامى .. اننى اضرع اليك ان تدبر جوازا للكونتس دى بلوجاستل .

فنظر اليه اندريه فى دهشة وحيرة . ثم قال :

ـــ اننى لا افهمك ياسيدى .. حقا اننى اعطف على هذه السيدة . ولكن ليس معنى ذلك اننى اضحى بحياتى من اجلها . او من اجلك او من اجل هيلين .

ـــ ولكن يا اندريه ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ هذه كلمتى الاخيرة يا سيدى . لقد ارخى الليل سدوله . ويجب أن ابيت الليلة فى باريس .
فصاح الكونت :
ـــ صبرا .. صبرا .. يجب ان تنقذها . يجب .
ـــ يجب !! وما هى الاسباب ياسيدى ؟
ـــ اندريه . ان هناك اسباب قاهرة .
ـــ ارجو ان تذكرها لكى اتمكن من تقدير اهميتها .
فتهالك الكونت فى مقعده بيأس . ثم قال :
ـــ الا تقتنع بكلامى اذا قلت لك ان هناك اسباب قاهرة ؟
ـــ معذرة ياسيدى .. اننى لا اقتنع فى مثل هـذه الظروف ..
ـــ اذا ذكرت لك الاسباب كان ذلك حنثـــا بوعد قطعته على نفسى ولكن ما حيلتى الان .. يجب ان اقول لك كل شىء . اصغ الى يا اندريه يا ولدى ..
وكف عن الكلام فجأة .. فى شىء من الخوف ثم القى بيده على كتف الشاب واستطرد والدموع تملأ عينيه :
ـــ ان الكونتس دى بلوجاستل هى امك .
وساد على اثر ذلك صمت عميق طويل .
لم يفهم اندريه فى الحال معنى هذه الكلمات .. ولما فهمها استولت عليه رغبة شديدة فى البكاء .
ولكنه ملك نفسه ..
يجب ان يظل جامدا كالصخر .. يجب ان يمثـــل دورا .. كان التمثيل غريزة من غرائزه .
قال وهو يهز راسه ببرود :
ـــ آه .. هى امى اذن .
وجرى ذهنه الى ايام صباه .. وتذكر حنوها . وحدبها

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

.. فاستطرد :

ـــ نعم .. لو لم اكن مغفلا لادركت ذلك منذ زمن بعيـــد .

فصـــاح الكونت :

ـــ يا الهى .. من اية مادة صنعت يا اندريه .. اتقابل هذا النبأ بهذا البرود ؟

ـــ وكيف يتعين علىّ ان اقابله ؟ هل يجب ان يدهشنى ان تكون لى ام ؟ وبعد فان الام ضرورية لكل انســـان لكى يولد .

وفجأة .. تفجرت الدموع من عينيه .. فاقترب منه الكونت . واحتواه بين ساعديه . وغمغم :

ـــ اندريه .. ياولدى المسكين .. لقد كنت مخطئـــا حين ظننت انك بلا قلب.. انتخدعتنى بتمثيلك اللعين.

فقال اندريه وهو يجفف دموعه :

ـــ ليس بى من شىء ياسيدى .. اننى متعب فقط .. ولكن هل كان من الضرورى ان يحاط الامر بكل هذا الكتمان ؟ ! هل كان من الضرورى ان يكتم عنى اسم امى الى الابد ؟ !

ـــ كانت الحكمة تقضى بذلك ياولدى .

ـــ ولكن لماذا ؟ ! لماذا ؟! اتم تصريحاتك ياسيدى . انك بدأت .. ويجب ان تنتهى .

ـــ السبب يا ولدى هو انك ولدت بعد ثلاثة اعوام من زواج امك بالكونت دى بلوجاستل . وبعد ثمانية عشر شهرا من خـروج الكونت مع الجيش . وقبـل اربعة شهور من عودة الكونت الى زوجته .. ولهذا قضت اعتبارات الشرف وما تزال تقضى بكتمان الامر عن الكونت .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وقد قصدت الكونتس الى قـــرية مورو تحت اسم مستعار . وهناك وضعتك .

فاطرق اندريه برأسه قليلا . ثم قال :

ـــ مادمت انت الوحيد الذى يعلم هذا السر ..

فادرك الكونت غرضه . وصاح :

ـــ كلا .. كلا . .لا تظن ذلك يا اندريه . لو انك كنت ولدى لما انكرتك .

ـــ اننى اصدقك ياسيدى .

ـــ لقد كنت اخلص صديق للكونتس . وكانت تعلم انها تستطيع ان تثق بى . وتعتمد على فى ورطتها .

كنت فيما مضى افكر فى الاقتران بها . ولكنى لست الرجل الذى تعشقه النساء ، على اننى ظللت احبها بعد زواجها . وقد وجدت انها تستطيع الاعتماد على اخلاصى واظن اننى اخلصت لها .

ـــ اذن من هو ابى ؟ !

ـــ لا اعلم .. انها لم تذكر لى كلمة واحدة عن ابيك .

كان ذلك سرها . ولم اشأ ان اتطفل عليها .. ليس من صفاتى ان اتطفل على اسرار الناس يا اندريه .

فنهض اندريه واقفا . وسأله الكونت :

ـــ هل صدقتنى يا اندريه ؟ !

ـــ طبعا .. ولكنى آسف . آسف على اننى لست ابنـــك .

فشد الكونت على يد ربيبه وساد الصمت لحظة بين الرجلين .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصل الرابع عشر

اللاجىء

أمرت الكونتس دى بلوجاستل خدمها بغلق جميع أبواب القصر ونوافذه . والاستعاضة عن المصابيح الكبيرة بشموع صغيرة . وجلست مع هيلين فى احدى الغرف . انتظارا لعودة روجان الشاب .

وانقضى جانب كبير من الليل .. والمراتان كامنتان في احد اركان الغرفة .. وصياح الرعاع وقرع الطبول في الخارج يذكر انهما باستعجال الثورة ودنو الخطر .

راحت كل منهما تسأل نفسها : ترى هل ينجح روجان في مهمته ؟ واذا لم ينجح .. فماذا تكون النتيجة ؟

وأنهما فى انتظار وفزع .. اذا بالخادم جاك ينبىء سيدته بان رجلا استطاع دخول القصر بالوثوب فوق سور الحديقة .. وان هذا الرجل يلح فى مقابلة الكونتس .

فانصرف ذهن الكونتس فى الحال الى روجان . وهتفت:

ـ دعه يأتى :

وما هى الا لحظة .. حتى عاد جاك وبرفقته رجل مهدل الثياب يخفى وجهه تحت وشاحه الممزق .. ويضع على راسه قبعة مثلثة الالوان كراية الجمهوريين .

دخل الرجل .. وازاح وشاحه عن وجه ملطخ بالدم . تبدو عليه علامات الجزع والذعر .. فانفلتت من فم الكونتس صيحة رعب .. ولكنها امرت الخادم فى الحال بالانصراف .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

واستند الرجل الى احدى الموائد ليمنع نفسه من السقوط .

وكانت هيلين كامنة فى ركن مظلم فلم يرها الرجل . ولكنها رأته .

بيد انها لم تعرفه الا عندما تكلم .. عندئذ فقط عرفت صوت المركيز دى لاتور .

قال المركيز :

ـــ عفوا يا صديقتى العزيزة ، عفوا اذا كنت ازعجتك وارعبتك وتطفلت عليك بهذه الطريقة ، وفى مثـــل هذا الوقت ، وبهذه الحالة ، ولكنك تلتمسين لى عذرا .. اننى هارب من وجوه الثائرين .. ولم ادر فى فرارى الى اى مكان الجأ .. ثم فكرت فى هذا القصر .. وقلت لنفسى اننى اذا استطعت الوصول اليه .. فقد اجد فيه السلامة .

ـــ هل انت فى خطر ؟

ـــ خطر ؟ يا انهى .. اننى اذا برزت فى الشارع اكون حسن الحظ اذا عشت خمس دقائق .

يا صديقتى .. اننى شهدت مذبحة فى (التلويلرى) لم يقع بصرى على اهول منها .. وقد فررت من هـــذه المذبحة مع القليلين فواجهنا الموت الصارخ الصاخب فى الشوارع .. وذلك هو السبب فى اننى تنكرت فى هذه الثياب القذرة .. وهذا المنظر الزرى .

ثم تهالك على احد المقاعد فقالت الكونتس :

ـــ انك احسنت صنعا بالقدوم الينا يا جرفيـــه . ستكون سالما هنا مادمنا سالمين .

ـــ ان اعظم خطأ تورطت فيه فى حياتى هو اننى بقيت فى باريس ولم آخذ حذو الكونت دى بلوجاستل .. ومهما

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

يكن من امر فيجب الفرار باسرع ما يمكن .. ان ارض فرنسا لم تعد صالحة لنا .

ثم بلل شفتيه بلسانه وقال :

ـــ هل اجد من كرمك قدحا من الماء او كأسا من النبيذ يا عزيزتى تيريزا ؟ اننى اكاد اموت ظلما قبل ان يقتلنى اولئك الاوغاد .

فهتفت الكونتس :

ـــ هيلين .. ارجوك ان تامرى جاك باحضار طعام وشراب للمركيز .

وكانت هيلين قد قبعت فى الركن المظلم فلم يرها المركيز .. ولكنه شعر الان بوجودها فهتف :

ـــ هيلين ؟ آه .. معذرة يا آنسة .. لم الاحظ وجودك .

واضطرب كرجل ضبط متلبسا بجريمة .

اجابته :

ـــ لا بأس ياسيدى .. وانى يؤسفنى جد الاسف ان نجتمع فى مثل هذه الظروف المؤلمة .

لم تكن قد رأته .. منذ ابلغته ـــ بلسان عمها ـــ انها ترفض الاقتران به .. وهو القرار الذى اتخذته بعد اذ لم يستجب لرجائها - ويمتنع عن مبارزة اندريه.

قبل يدها فقالت له :

ـــ تفضل بالجلوس ياسيدى .. فانت متعب كما ارى .

وحمل الخادم الطعام والشراب .. وراح المركيز يأكل . والكونتس تسرد عليه حكاية جوازات المرور التى انطلق روجان الشاب للاتيان بها . ثم قالت :

ـــ واعتقد ان فى استطاعتنا ان نصطحبك معنا .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

فروجان سيأتى بثلاثة جوازات .. احدهما لى والثانى لهيلين والثالث لخادمى جاك ..فاذا استطعت ان ترتدى ثياب جاك فان ..

فقاطعها المركيز وهو يضحك :

ـــ اى ثوب لا ارتدى لكى اخرج من باريس .

وحول الفجر .. اعتذر المركيز بتعبه . وانطلق الى احدى الغرف ليستريح .. وقصدت هيلين الى غرفة اخرى .. وبقيت الكونتس فى الانتظار ..

على ان انتظارها لم يطل . فقد اقبل عليها جاك بعد نصف ساعة .. وكان مضطربا مرتجف الاوصال وانباها وهو يلهث بان رجلا يطلب مقابلتها .

سألته :

ـــ الا تعرف هذا الرجل ؟ !

ـــ كلا ياسيدتى . ولم يسبق ان رايته . ويخيل الى انه من رجال الحكومة . . فقد قال انه يريد مقابلتك باسم الامة لامر هام ولذلك اضطررت ان افتح له الباب.

ففكرت الكونتس فى الامر ثم قالت :

ـــ اذا كان هذا الرجل يريد بنـــا شرا فانه لا يأتى بمفرده . دعه يدخل يا جاك . ثم اطلب الى الانسة هيلين ان تاتى لتكون بجانبى .

فخرج جاك . وعاد بعد لحظة يتبعه رجل انيـــق الثياب يسير بخطوات ثابتة .

وما كاد الرجل يخلع قبعته محييا . حتى تفرست الكونتس فى وجهه . ثم هتفت وهى تهم بالوقوف :

ـــ اندريه لويس .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصل الخامس عشر

افاعيل القدر

تفرست فى وجهه .. ولم تر فى عينيه تلك الابتسامة الساخرة التى تنم عن شعوره بأنه يعيش فى عالم كله جنون ..

كان قد فكر فى الامر مليا وهو فى طريقه الى باريس .. وهداه تفكيره الى أن مجازفته بحياته لانقاذالكونتس هو اعظم جنون أقدم عليه فى حياته ..

كان يرى أن الامومة التى تثمر ولاتعنى بثمارها .. هى أمومة حيوانية غير جديرة بالاحترام .. ولكنه شعر رغم ذلك بان انقاذ أمه هو واجب تفرضه عليه تكاليف الحياة ..

قال وهو ينظر الى الخادم :

ـــ هل استطيع ان اخلو بك ياسيدتى ؟

فصرفت الكونتس خادمها ، واستطرد اندريه :

ـــ لم يستطع روجان القدوم ، فجئت عوضا عنهنزولا على ارادة الكونت دى كركاديو .

فهتفت بصوت تنم نبراته عن الدهشة اكثر مما تنم عن الارتياح :

ـــ أنت .. انت جئت لانقاذنا ؟

ـــ نعم .. وكذلك لكى اتعرف اليك ياسيدى ..

ـــ تتعرف الى ؟ ماذا تعنى ياأندريه لويس ؟!

ـــ اقراى هذه الرسالة ياسيدتى .. انها منالكونت دى كركاديو ..

فتناولت الكونتس الرسالة .. وفضتها .. وقرأت

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

مضمونها على ضوء الشموع .. ثم أفلتت من فمها آهة عميقة ..

قالت بصوت متحشرج :

ـــ اذن فقد عرفت ياولدى

ـــ نعم ياماه ..

احدثت كلمة (ياماه) تاثيرها السحرى .

كانت تلك أول مرة شنفت هذه الكلمة أذنيها فانحدرت الدموع من عينها .

نسيت الخطر المحدق بها .. ونسيت زوجها .. واصبحت لاتذكر غير أن هذا الفتى ـــ وليد خطيئتها واثمها هو الابن الذى كانت تحن اليه طيلة الخمس والعشرين سنة الاخيرة .. الابن الذى كانت تتمنى أن تضمه الى صدرها ولو مرة واحدة .. وان تقول له بصوت تودعه كل معانى الحب والحنان :

ـــ ياولدى .

نطقت بهذه الكلمة التى كانت تلهب قلبها وشفتيها :

ـــ دعنى اضمك الى صدرى (ياولدى) ..

فتردد . ثم اقترب خطوة .. فاحتوته بين ساعديها . وشعر بكل جسمها يرتجف ..

هتفت :

ـــ اندريه .. ياولدى .. لو علمت كم كنت اتوق اليك .. لادركت كيف كان اضطرارى الى انكارك اعظم تكفير عن خطيئتى .

قال اندريه :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ هل انا بحاجة لان انكرك بأن هذا السر يجب ان يبقى بيننا ياسيدتى .. وان امومتك وبنوتى يجب الانتعديا هذه الليلة . والا تطلع عليهما شمس الغد ؟ نحن الليلة ام وابن .. وغدا يعود كل منا الى موضعه .. وننسى .. ولو فى الظاهر على الاقل .

ـــ تنسى ؟ اليس لك قلب تشعر به يااندريه ؟

نبهته هذه العبارة الى الحقيقة .. الحقيقة العملية التى هى كل فلسفته فى الحياة فتذكر الواجب الثقيل الذى امامه .. وادرك انه لايتعين عليه ان يسيطر على نفسه فقط .. بل يجب كذلك ان يسيطر عليها .. لان الاستسلام للعاطفة فى مثل تلك الظروف العصيبة هو الوبال عليهم جميعا .

وفى هذه اللحظة .. تركته الكونتس فجاة .. وتراجعت الى الوراء فى شىء من الذعر ..

وحانت من اندريه التفاتة .. فراى شبحا يجتاز الباب .. ويظهر فى ضوء الشموع ..

هتفت الكونتس :

ـــ هل سمعت شيئا ياهيلين ؟

فاجابت هيلين .. وكانت هى التى دخلت فى تلك اللحظة :

ـ لم يكن بوسعى الا ان اسمع ياسيدتى .. انك أرسلت تستدعيننى .

فنقلت الكونتس بصرها من هيلين الى اندريه .. ثم قالت للاولى :

ـــ اقراى ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وقدمت اليها رسالة الكونت .. فقراتها .. ثم نظرت الى اندريه وابتسمت .. والقت بنفسها بين ساعدى الكونتس .. فهتفت الاخيرة فى مزيج من الدهشة والسرور :

ـــ هيلين .. الا تحتقرينني ؟

فكان جواب هيلين انها قبلت وجهها المبلل بالدموع .

قال اندريه :

ـــ قد يكون من الافضل ضبط هذه العواطف وارجاؤها الى فرصة افسح .. ان الوقت ضيق ويجب ان نرحل الان قبل ان تنهار علينا جوانب باريس ..

فذكرتهن هذه العبارات بحقيقة الموقف .. واسرعتا للاستعداد للرحيل ..

وبعد لحظة .. عادت المراتان يتبعهما رجل طويل القامة يحيط جسمه بوشاح اسود يخفى وجهه تحت قبعة واسعة

لم تكن الكونتس تعلم من امر العداوة بين اندريه والمركيز الا انها عداوة سياسية .. وعلى الرغم من ان هيلين انذرتها بان اندريه لايمكن ان يحرك اصبعا لانقاذ المركيز .. فانها قررت ان تنقذ هذا الاخير .. وتوبخدعة ربما جازت على اندريه .. واذا لم تجز عليه .. فلاشك انه يصفح عنها ..

وهكذا اوعزت الى المركيز ان يتنكر فى زى الخادم جاك .. ولكنها اخطات اذ لم تنبه المركيز الى حقيقة الموقف . فلم تذكر له ان الذى سيتولى انقاذهم جميعا هو خصمه اندريه لويس ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

نظر اندريه الى ذلك الرجل الطويل القامة .. ولاحظ ان فى اصبعه خاتما يتالق .. فتقدم ليراه عن كثب

ولما تقدم .. سقط ضوء الشموع على وجهه . فعرفه المركيز .. وقال على الفور .. بذلك الصوت الثابت الذى تدل نبراته على الكبرياء والحزم :

ـــ سيدى.. اننى لااستطيع انتهاز فرصة جهلك بالحقيقة . واذا امكن لهاتين السيدتين اقناعك بانقاذى .. فان من حقك على الاقل ان تعرف من ذا الذىستنقذه

لم تكن الكونتس قد حسبت حسابا لكبرياءالمركيزونبله .. ومقته لاساليب المواربة .. وهكذا وقف الرجل منتصب القامة .. مرفوع الراس .. على استعداد لان يموت كما عاش بلا خوف .. وبلا خديعة ..

اقترب اندريه خطوة اخرى .. ونظر اليه بحدة .. ثم انبسطت اسارير وجهه .. وانفجر ضاحكا

فقطب المركيز حاجبيه .. وشعر بكبريائه تداس تحت الاقدام ..

قال : اتضحك ؟

ـــ وهل هناك مايضحك اكثر من ذلك ؟؟

ـــ ان رايك فيما يضحك ومالايضحك عجيب يامسيو مورو ..

ـــ هذا صحيح .. فالمفاجآت تضحكنى دائما .. وقد فاجاتنى انت الليلة بنقسك فى صورة لم اكن اتوقعها .. فاجاتنى بنقسك فى صورة الرجل الامين .

فارتجفت شفتا المركيز .. ولكنه لم يحاول انيجيب واستطرد اندريه :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ ومن أجل هذا ياسيدى .. فاننى أميل الى معاملتك بالرحمة .. فاترك لك ثلاث دقائق لمغادرة هذا البيت .. واتخاذ ماشئت من الاجراءات لحماية نفسك ..

فصاحت الكونتس فى الم :

ـــ آه .. كلا ياأندريه .. اصغ الى ..

ـــ عفوا ياسيدتى .. هذا اقصى ماأستطيع عمله .. بل وان فى عملى هذا خرقا لواجبى .

واذا بقى المركيز هنا فانه لايهلك نفسه فحسب .. بل يسوقك ايضا الى التهلكة ..

لقد امهلته ثلاث دقائق .. واذا لم ينتهز هذه المهلة .. فسأكون مضطرا لان اذهب به الى اقرب مركز للثوار .. فلا تمضى ساعة الا ويكون راسه معلقا فى احد الميادين .

انه رجل مشهور بعداوته للثورة والثوار .. وهو احد النبلاء الذين يتمنى الشعب الاقتصاص منهم ..

والان ياسيدى .. لقد بينت لك وجوه الموقف .. فاحزم أمرك على رأى .. وفى الحال ..من أجل هاتين السيدتين ..

فاقتربت منه الكونتس. وامسكت بساعده .وصاحت:

ـــ ولكنك لاتعلم ياأندريه .. لاتعلم ان .. بالله كن رحيما .. يجب أن تكون رحيما ..

ـــ اننى رحيم ياسيدتى .. وارحم به مما يستحق.. وهو يدرك ماأعنى ..

لقد كان من سخرية الاقدار ان نلتقى هنا الان .. ولكنى ارضاء لكما لن أنتهز هذه الفرصة .. ويحسبى

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ان يفعل ماعرضته عليه ..

فقال المركيز ببرود .. ويده تعبث فى طيات ثوبه :

ـــ يسرنى ان تسلك معى هذا المسلك يامسيو مورو .. فذلك يساعدنى على ان اصم اذنى عن صيحات ضميرى .. انك وقفت امامى فى كل طريق سلكته .. وجعلت من نفسك سيفا مسلطا على رقبتى فى كل ركن. وحاولت الفتك بى باكثر من وسيلة .. وعرقلت اعمالى. وافسدت تدابيرى . وفوت على من الفرص اكثر مما تتصور .. وكنت روح الشر الذى يتعقبنى .. ويطاردنى

وهنا قاطعته الكونتس بأن صاحت .. وقد توقعت ماسوف يكون :

ـــ صبرا .. اصغ الى ياجرفيه .. هذا مخيف ..

فأجاب :

ـــ هذا مخيف .. ولكن لامناص منه .. اننى رجل قانط يائس . رجل مهزوم يريد الفرار بحياته .. ومفتاح النجدة فى يد هذا المخلوق . يضاف الى ذلك ان بينى وبينه حسابا يجب تصفيته .

واخرج يده من تحت وشاحه .. فاذا بين اصابعه غدارة ..

صاحت الكونتس صيحة ذعر .. والقت بنفسها عليه .. وامسكت بساعده بكل قوتها ..

هتف وهو يحاول التخلص منها :

ـــ تيريزا .. هل جننت .. اتريدين الهلاك لى ولنفسك ؟! هذا الرجل يحمل جوازات المرور .. التى تعنى السلامة لنا .. لنا .. اما هو فانه ليس شيئا مذكورا ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

وكانت هيلين ترقب هذا المنظر فى فزع وذعر .. ولكن عقلها كان يعمل .. ويعمل بسرعة ..

قالت بحدة :

ـ احرق جوازات المرور ياأندريه .. احرقها بسرعة .. على ضوء الشموع ..

ولكن اندريه انتهز فرصة تعلق الكونتس بساعد المركيز . فاخرج غدارته بدوره . وقال :

ـ بل ارى من الافضل ان الهب راسه .. افسحى السبيل ياسيدتى ..

ولكن الكونتس لم تطعه .. بلحجبت المركيز بجسمها .. دون ان تفلت ساعده .. وصاحت :

ـ كلا .. بحق السماء ياأندريه ..

ـ افسحى السبيل ياسيدتى .. ودعى هذا القاتل يلقى جزاءه .. انه يعرض حياتنا جميعا للخطر .. وقد كان جديرا ان يلقى حتفه منذ زمن .. افسحى السبيل.

وتقدم خطوة الى الامام .. وصو ب بالغدارة ليصيب غريمه من فوق كتفها .

وهنا القت الكونتس حاجزا رهيبا بين عداوة الرجلين صاحت :

ـ انه ابوك ياأندريه .. جرفيه .. هذا ولدك .. هذا ولدنا .. اقرا الرسالة .. آه ياالهى ..

وسقطت على الارض فاقدة الرشد ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

الفصل السادس عشر

العدوان

تقابلت اعين الرجلين فوق جسم المراة التى كانت ام احدهما .. وعشيقة الاخر .. ونمت نظراتهما عن ذعر لاحد له ..

اما هيلين .. فانها جمدت فى مكانها .. كانها استحالت الى تمثال ..

وكان المركيز اول من ملكنفسه .. فمد يده.. وتناول الرسالة .. وقراها .. واستغرق فىذلك وقتا طويلا ..

على ان أحدا لم يعبأ .. فقد كانت هيلين فى شغل بالنظر الى أندريه ..

راحت تنظر اليه فى عجب .. واشفاق .. اما هو فلم يحول عينيه عن الكونتس

وفرغ المركيز من قراءة الرسالة .. وركع بجانب الكونتس . وغمغم :

— تريزا ..

ورأى أندريه — كما يرى الحالم — ان المركيز قد انهض الكونتس واجلسها على احد المقاعد . ثم سمعه يسالها :

— متى عرفت هذه الحقيقة ياتريزا ؟

فاجابته بلسان متلعثم :

— انا .. انا .. كنت اعرفها دائما .. دائما .. لقد

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

عهدت به الى الكونت كركاديو ..

ـــ ولماذا لم تقولى الحقيقة ؟ لماذا خدعتنى ؟ لمـــاذا قلت لى ان الغلام توفى بعد ولادته بأيام ؟ لماذا ياتريزا ؟ لماذا ؟

ـــ كنت خائفة .. رأيت من الافضل الا يعلم أحد .. ولا انت .. وحتى الامس لم يكن يعلم بالحقيقة ســـوى كركاديو .. ولكنه اراد أن يرغمه على انقـــــاذى .. فكاشـفه بكل شىء ..

ـــ ولكن انا ياتريزا .. لقد كان من حقى ان اعلم ..

ـــ من حقك ؟ وماذا كان فى اســتطاعتك ان تفعل ؟ اكنت تعترف به ؟ وبعد .. فقد كان هناك زوجى .. وكانت هناك أسرتى ، ثم انك كنت خائفا ، وهو خوف ذهب بحبك لى ، وارغمك على ان تنكرنى وتنكر لى ..

كلا .. لم يكن بودى ان تعرف الحقيقة ابدا .. ولكنى ذكرتها الان .. لانقذكما .. معا ..

فجلس المركيز على احد المقاعد .. ودفن وجهه بين كفيه ..

وساد صمت عميق مؤلم .. لم يكن يسمع خلاله سوى صدى الطبول التى تقرع فى شوارع المدينةالثائرة

واخيرا تكلم اندريه . فقال بصوت هادىء :

ـــ ارجو ان تعلم ياسيدى المركيز ان هذه الحقيقـــة المقيتة المخيفة بالنسبة الينا معا لايمـــكن ان تغير من الواقع شيئا لانها لاتمحو شيئا مما بيننا ..

فاليك ياسيدى جواز المرور الذى جئت به لخـــادم الكونتس ..

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

.. خذه واهرب به .. ورجائى اليك فى مقابل ذلك الا تدعنى اراك او اسمع عنك بعد الان ..

فصاحت امه :

ـــ اندريه .. اليس لك قلب ؟ ماذا فعل بك لكى تضمر له كل هذه الكراهية المريرة ..

ـــ سأقول لك ماذا فعل ياسيدتى .. انه قتل رجلا كان اعز اصدقائى .. وقتله بفظاعة ووحشية ، ثم اغرى فتاة كنت انوى الاقتران بها . اغراها .. ولوثها .. و.

فقاطعه المركيز :

ـــ كفى .. كفى .. انك قاسى القلب .. وهى قسوة ورثتها مع الدم الذى يجرى فى عروقك .

ـــ ارجو ان توفر على سماع هذا .

ـــ حسنا .. لن اشير الى هذه الحقيقة بعد الان ..

واجال بصره بين اندريه والكونتس واستطرد :

ـــ من المحتمل الا اراكما بعد الان .. انتما اللذان كان يجب ان تكونا اقرب الناس الى .. واعزهم على .. وكلنا جميعا الاعيب فى يد القدر .. والقدر لاعب ماهر .. يقهرنا على ان نكفر فى الحياة عما اقترفنا من ذنوب .. ذلك هو الدرس الذى تعلمته فى الحياة . فانئى ارتكبت خيانة انجبت ولدا .. وكان هذا الولد نقمة على فى الحياة .وانتهى بان قوض صرح حياتى وسعادتى ..

على ان رضوخى لهذا المصير . خير ماكفر به عن اخطائى ..

وتناول يد الكونتس وقبلها .. وهو يقول :

ـــ وداعا ياتريزا ..

ولاول مرة .. افلت منه زمام نفسه فارتجف صوته.

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ونهضت الكونتس وعانقته دون خجل ..
نفخت حوادث تلك الليلة في نار غرامها القديم ..
فتألقت للمرة الاخيرة .. قبل أن تخمد الى الابد ..
قالت الكونتس -
ـــ اذهب فى حراسة الله ياجرفيه
فامسك وجهها بين كفيه لحظة .. ثم قبلها .. وتحول الى اندريه .. فرآه باسطا يده وبها جواز المرور ..
قال : هو ذا جواز المرور ياسيدى .. خذه .. إنه أول وآخر هدية منى اليك .. انه هديه الحياة .. وهو تصفية آخر حساب بيننا .. فخذه .. واذهب فى سلام
فتناوله المركيز .. ونظر بامعان الى ذلك الوجه النحيف الصارم .. وبسط يده لابنه
قال : لنتصافح بحق السماء
فتنهد اندريه وقال : وداعا ياسيدى ..
ـــ انك قاسى القلب .. ولكنك على حق فى قسوتك .. ولولا هذه الظروف . لكان من دواعى فخرى أنتكون ولدى .. وداعا .. ثم ترك يد ولده .. وأحنى كل منهما قامته للاخر بإحترام ..
وتحول المركيز الى هيلين .. واحنى قامته وخرج .

الفصل السابع عشر

شروق الشمس

أخذ اندريه لويس يسير فى حديقة قصر كركاديو فى (ميدون) وهو مطرق برأسه . وعلى وجهه علامات التفكير .

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

امكنه فى اليوم السابق ان ينقذ والدته وهيلين وان يعود بهما الى ميدون . وصحت عزيمتهم جميعا على الرحيل الى (كوبلنز) فى ذلك اليوم ..

وإنه يسير فى الحديقة .. اذا بيد توضع على كتفه .. واذا بهيلين تقول له بصوتها العذب :

ـــ ارى انك بكرت فى النهوض ..

فاجابها :

ـــ اننى لم ارقد على الاطلاق . بل قضيت الليل كله جالسا امام النافذة .

ـــ مسكين انت ياأندريه ..

ـــ نعم اننى مسكين جدا .. لاننى لااعرف شيئا .. ولا افهم شيئا حتى نفسى ..

ـــ ماذا تعنى على وجه التحقيق ؟

فنظر اليها وقال :

ـــ ظن :ننى امقت أبى لانه قتل فلموران فقط ... اننى كنت أمقته كذلك لانه اراد الاســـتيلاء عليك .. ولاننى توهمت انك تحبينه ..

فحملقت فى وجهه بدهشة وسالته :

ـــ وماالذى جعلك تتوهم ذلك ؟

ـــ اهتمامك به .. وقد بدا هذا الاهتمام باجلى معانيه يوم جئت تلحفين على بان أعدل عن مبارزته ..

فصاحت دون ان تشعر :

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

ـــ اهتمامى به ؟؟ لقد كان كل اهتمامى من اجلك انت.

ـــ من اجلى .. بعد ان عرف الناس جميعا اننى بارزت اربعة اشخاص فى أسبوع واحد.. وتغلبت عليهم جميعا؟

ـ ولكنه كان يختلف عن غيره .. كان مشهورا ببراعته .. وصلابته.. وقد قال عمى ان اية قوة على الارض لن تنقذك من سيفه .. اذا انت تبارزت معه ..

ـــ ولكنك فقدت الرشد عندما رايت الجرح الذى اصاب ساعده ..

ـــ الجرح ؟ اننى لم ار جراحه وانما سمعت الكونتس تقول انه هو الدوق الذى عاد بمركبته .. فتوهمت انه قتلك ..

فدهش .. وغمغم :

ـــ ولذلك اغمى عليك ؟

فنظرت اليه بعينيها الواسعتين . واحمر وجهها . واطرقت براسها ..

هتف وهو يتناول يديها :

ـــ هيلين .. هيلين .. اذن فانا الذى كنت موضع اهتمامك .. وجزعك ..

ـــ نعم .. انت ، وانت وحدك ايها الاعمى .. ولم يخطر لى قط ان اتزوج به .. فكرت فى ذلك مرة واحدة فقط ، حين رايتك مع تلك الفتاة كليمين ..

ـ يا إلهي .. هل انا حالم .. أو مجنون ..

ـــ كلا يااندريه .. لست حالما ولامجنونا .. ولـــكنك أعمى ..

« تمت »

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

التحويل لصفحات
فردية والمعالجة
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية

بقيادة
** معرفتي **

www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا لمن قام بسحب الكتاب

روايات الجيب

خير ما أنتجته قرائح كتاب القصة فى الشرق والغرب

رواية العدد القادم

البارون فى مأزق

قصة بوليسية

للكاتب الإنجليزى

جون كريزى

مؤلف مسلسلة (البارون) التلفزيونية

ترجمة : عبد الفتاح البكرى

العدد رقم ٢٢ (مجموعة جديدة) عدد خاص

روايات الجيب : مجلة قصصية تصدر يوم السبت من كل أسبوع

تأسست سنة ١٩٣٦

رئيس التحرير المسئول : عمر عبد العزيز أمين

www.ibtesamah.com/vb me3refaty

www.ibtesamah.com/vb me3refaty